

الْجَامِعَةُ الْبَنَانِيَّةُ  
كُلِّيَّةُ الْحُقُوقِ وَالْعُلُومِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِدَارِيَّةِ  
الْفِرْعُ الْأَوَّلُ

مُسْتَقْبَلُ الْعَلَاqَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ - الرُّوسِيَّةِ  
- مَجَالَاتُ تَقَارُبٍ وَقَضَايَا خِلَافٍ -

رِسَالَةٌ لِنَيْلِ دِبْلُومِ الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا فِي الْعَلَاqَاتِ الدُّوَلِيَّةِ وَالدُّبْلُومَاسِيَّةِ

إِعْدَادُ:

زَهْرَاءُ عِمَادِ الشَّرْتُونِي

لِجْنَةُ الْمُنَاقَشَةِ

رئيساً	الأستاذ المشرف	الدكتور موسى إبراهيم
عضواً	أستاذ مساعد	الدكتورة وردية عساف
عضواً	أستاذ	الدكتور كميل حبيب

«الْجَامِعَةُ اللَّبْنَانِيَّةُ غَيْرُ مَسْئُولَةٍ عَنِ الْآرَاءِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْبَحْثِ، وَهِيَ  
تُعَبِّرُ عَنِ رَأْيِ صَاحِبِهَا فَقَطُّ.»

## الإهداء

إلى والديّ العزیزین فاطمة وعماد اللدین سَهرا اللیالی طوعاً وكأبداً مَشَقَّةِ الأیام لتربیتی  
وتعلیمی...

إلی إخوتی: علی، بنول، ملاك، مُحَمَّد و قاسم،

إلی زوجی العزیز والعالی مُحَمَّد صادق،

إلی أولئك الجنود المجهولون في الأرض، المعروفون في السماء، الرابضون خلف التلال وفي  
السهول وفوق الجبال وعلى حدود وطني العالی لبنان، لِدُودٍ عَنْ أبنائه، ولِدِفاعٍ عَنْ تُرابه،

إلی كُلِّ شهیدٍ عمَدَ بِدمائه أرضِ الوطن، وإلی دَمعةٍ كُلِّ یتیم، وآهاتِ كُلِّ جريحٍ، ومُعانةٍ كُلِّ  
أسیرٍ قابعٍ خلفِ فُضبانِ الإحتلالِ الصُهیونی الغاصبِ،

إلی وطنی لبنان العزیز بثلاثيته: شعباً، جيشاً ومقاومة،

إلی كُلِّ طالبٍ علمٍ طموحٍ يسعى بعلمه إلى رفَعِ إسمِ لبنان عالياً بين الأمم العالمة،

إلی كُلِّ مَنْ علمني حرفاً وأضاء لي شمعةً في طريق العلم والمعرفة،

إلی الجامعة اللبنانية التي رسمت فيها أولى خطوات نجاجي العلمي،

أهدي هذا العمل المتواضع، سائلةً الله عزَّ وجلَّ أن يوفقنا لما فيه رضاهُ وخيرُ الوطنِ وأمتِهِ.

## كَلِمَةٌ شُكْرٍ وَتَقْدِيرٍ

لا يسعني بدايةً إلا أن أتوجه بالشكر إلى الباري عزَّ وجلَّ على جزيلِ نِعَمِهِ التي تفضلَ بها عليّ، ولا بدُّ لي هنا من أن أتوجه بالشكر الخاصِّ والجزيلِ إلى البروفسير الدكتور موسى إبراهيم الذي أشرفَ على رسالتي بكاملِ تفصيليها، ولم يبخل عليّ بتوجيهاته الأكاديمية وخبرته العلمية، فكان لي نعم الأستاذ والمُشرف.

كما وأتوجه بالشكر إلى الجامعة اللبنانية هذا الصرح العلميِّ العملاقِ ممثلةً بكاديرها الإداريِّ والأكاديميِّ، وكلِّ الدكاترة الأجلاء الذين واكبوا مسيرتي الجامعيَّة من السنة الأولى ولغاية الآن، وإلى كلِّ من ساهمَ وساعدَ في إنجازِ هذا العملِ بطريقةٍ مباشرةٍ أو غيرَ مباشرةٍ.

لُكُم جَمِيعاً مِنِّي جَزِيلَ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ وَالإِحْتِرَامِ

# خُطَّةُ البَحْثِ

المقدمة.

القسم الأول: إطار العلاقات التركيّة -الروسية.

الفصل الأول: مراحل ومتغيّرات العلاقات التركيّة -الروسية.

المبحث الأول: تطور العلاقات التركيّة - الروسية منذ عهد السلطنة العثمانية ولغاية

العام 2016 م.

المبحث الثاني: متغيّرات العلاقات التركيّة - الروسية

الفصل الثاني: محدّدات العلاقات التركيّة -الروسية.

المبحث الأول: المحدّدات الداخلية للعلاقات التركيّة -الروسية.

المبحث الثاني: المحدّدات الخارجية للعلاقات التركيّة - الروسية.

القسم الثاني: مستقبل العلاقات بين التعاون الإقتصادي والخلاف السياسي.

الفصل الأول: مجالات التقارب بين تركيا وروسيا وقضايا الخلاف.

المبحث الأول: مجالات التقارب التركي - الروسي.

المبحث الثاني: قضايا الخلاف التركي - الروسي.

الفصل الثاني: مستقبل العلاقات التركيّة -الروسية.

المبحث الأول: آفاق التعاون المتبادل بين تركيا وروسيا.

المبحث الثاني: العلاقات التركيّة - الروسية... نظرة مستقبلية.

الخاتمة.

## المُقدِّمة

إنّ دراسة العلاقات بين الدول تتطلب دراسةً وفهماً دقيقاً لمختلف العوامل والمتغيّرات والمحدّدات المؤثّرة بشكلٍ مباشرٍ وغير مباشرٍ على صنّاع هذه السياسات، وعليه فإنّ الباحث في مجال العلاقات الدوليّة، لا بد له من أن يفهم، أو يحاول كشف التوازنات التي تقوم عليها تلك العلاقات، وهذا ما يستدعي من الباحث دراسة التاريخ السياسيّ، والاقتصاديّ، والثقافيّ للعلاقات بين الدول المراد تناولها بالبحث.

في موضوع بحثنا، فقد تميّزت العلاقات التركيّة-الروسيّة بسجلٍ حافلٍ من النزاع والمواجهة والتنافس حيناً، والتفاوض والمعاهدات والتعاون بناءً على المصالح الاقتصادية حيناً آخر، فقد خاض الطرفان سبعة عشر حرباً خلال الفترة الممتدة من العام 1568م حتى العام 1917م، وعرفت العلاقات التركيّة-الروسيّة خلال القرون الأربعة الماضية حروباً ونزاعاتٍ وتوتراتٍ كبيرة، وقد نشأ عداءٌ كبيرٌ بين تركيا العثمانيّة وروسيا القيصرية، بسبب الصراع على النفوذ، صراعٌ عمّقه تجاورهما الجغرافي، معطوفاً على التاريخ والثقافة والسياسة.

إنّ روسيا التي كانت ترى نفسها "روما الثالثة"، وكان يراودها حلم استعادة أمجاد الماضي البيزنطي، لم تكن لتتسى أن العثمانيين هم من انتزعوا القسطنطينيّة عاصمة الإمبراطوريّة الأرثوذكسيّة "روما الثانية" في العام 1453 م؛ لذلك كان الصراع بين الدولتين تحركه الأطماع التوسعيّة، وتغذيه الدوافع الدينيّة.

منذ دخول الدولة العثمانيّة مرحلة الضعف والتدهور في بداية القرن الثامن عشر، وظهر روسيا على مستوى الأحداث الدوليّة مزهوة بقوتها، بدأت تلعب دورها في قضم أراضي وممتلكات "الرجل المريض" في القوقاز، وآسيا الوسطى، ونقليصها، ولولا نظام "توازن القوى" بين الدول الأوروبيّة الكبرى في القرن التاسع عشر، لأجهزت روسيا على الدولة العثمانيّة، ومع هذا لا يمكن إغفال دور روسيا في مساعدة شعوب البلقان، وتشجيعها على التمرد على حكامها بدعاوى الرابطة السلافية والعقيدة الأرثوذكسيّة، إلى أن تفكّكت الدولة العثمانيّة، وقامت الجمهوريّة التركيّة

في عهد مصطفى أتاتورك عام 1923م، في وقتٍ كان قد انتهى فيه الحكم القيصري في روسيا على أيدي البلاشفة عام 1917 م.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، شهدت العلاقات بين البلدين تحسناً ملحوظاً ، ونمت أكثر بعد توقيع معاهدة "الحياد وعدم الاعتداء" في 17 تشرين الأول عام 1925م، من خلال المساعدات الاقتصادية التي قدمتها روسيا لتركيا، والزيارات المتبادلة بين البلدين، إلا أنّ هذه العلاقات عادت وتوترت خلال الحرب العالمية الثانية، بسبب ما رأت فيه روسيا تقارباً تركياً اقتصادياً وسياسياً مع ألمانيا النازية. وتعمّق الخلاف بين الدولتين بسبب انضمام تركيا إلى حلف شمال الأطلسي عام 1952م، وكان ذلك بمثابة تخندق تركيا في الطرف المعادي لروسيا، زعيمة حلف وارسو إبان فترة الحرب الباردة.

بعد تفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991م، أظهرت أحداث وقضايا إقليمية كبيرة التباينات في مواقف البلدين على الصعيد السياسي، كالمسألة الجورجية، وإقليم ناكورني كارباخ، جزيرة قبرص، التقارب الروسي الإيراني. لكن ورغم ما سبق ذكره، فقد استمر التعاون الاقتصادي بين البلدين في مختلف المجالات.

مع بداية الألفية الثالثة و وصول الرئيس بوتين إلى سدة الحكم في روسيا الاتحادية في 22 أيار من عام 2000م، بدأت كلتا الدولتين بتقويم علاقاتهما الاقتصادية، السياسية، العسكرية، والتقنية، وتحسّنت هذه العلاقات أكثر مع تسلّم حزب العدالة والتنمية الحكم في تركيا، بتاريخ 19 تشرين الثاني من عام 2002م.

في هذه الفترة شهد التعاون الاقتصادي التركي الروسي نقلةً كبيرةً، وصلت معها موسكو في سنواتٍ قليلةٍ إلى ثاني أكبر شريكٍ لتركيا بعد ألمانيا الاتحادية، وأصبحت تركيا وجهة السّياح الروس، بعدد لم يتجاوزه إلا عدد السّياح الألمان. إلا أنه وعلى الصعيد السياسي شهدت هذه الفترة أحداثاً جسام على حدود الدولتين، وفي منطقة الشرق الأوسط، وبخاصة بعد ثورات "الربيع العربي"، حيث أيقنت تركيا أن مستقبل روسيا قابل لأن يتخذ مساراتٍ جديدة، فكلّ مسار مقوماته الخاصة لتحقيق سياسة إثبات الذات الروسية الجديدة بعد معاناة عقدٍ من الزمن، كما شعرت تركيا

أنّ ثقتها بحلفائها تتضاءل، لاسيما إن هي تورطت عسكرياً في نزاع من النزاعات الراهنة أو المحتملة في جوارها.

#### ■ سبب إختيار الدراسة:

إنّ سبب اختيارنا للعلاقات التركيّة الروسيّة كموضوعٍ لرسالتنا، لما لدولتين من أهمية الآن على الصعيد الإقليمي والعالمي، فروسيا باعتبارها دولةً عظمتها وإصرارها منذ تولّى الرئيس فلاديمير بوتين على استعادة مكانتها في النظام الدولي، واستعادة قوتها في الداخل والخارج، وتركيا كقوة إقليمية صاعدة. كما أنّ هذه العلاقة بين الدولتين أصبحت تجذب اهتمام الباحثين في مجال العلاقات الدوليّة، نظراً للتطورات السياسيّة، والعسكريّة، والاقتصاديّة في المنطقة والتي كان لتركيا وروسيا دورٌ أساسي في رسم خريطة الأحداث التي تجري اليوم على الساحة الدوليّة، وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط.

#### ■ أهميّة الدراسة:

إنّ موضوعاً بهذه الأهمية يجب أن يكون موضع دراسةٍ من قبل الباحثين أصحاب الاختصاص في لبنان، حيث وجدنا أن هناك ندرةً في الأعمال التي تناولت هذا الموضوع. ومن هنا يكتسب البحث أهميته العملية كونه موضوعاً لم يطرح بهذا الشكل من قبل الباحثين في لبنان عامةً، وبخاصة في الجامعة اللبنانية، الأمر الذي يجعل من هذه الدراسة لبنةً تضاف إلى المكتبة الجامعية.

أما أهميته العلميّة فتكمن في دراسة حالة بين فاعلين دوليين، من بين مجموعة حالات تم دراستها، يظهر من خلالها أنّ السياسة الداخلية لدولة ما ترتبط بالسياسة الخارجية، وتُظهر البراغماتية التي تحكم العلاقات بين الدول. كما تؤكد هذه الدراسة أنّ الواقعية السياسية التي يتم انتقادها أحياناً، هي على ما يبدو الأصلح لإظهار العلاقة بين الدولتين، اللتين تتمتعان بالعقلنة والبراغماتية، ولاسيما أنّ مدرسة الواقعية السياسية بأبعادها الأساسية تركز على المصلحة القومية العليا، والبعد الاقتصادي الذي أصبح أولوية. وعلى مستوى المصداق فإنّ هذه البحث يركز على تحليل ودراسة أبعاد صعود وهبوط العلاقات الروسية التركية، وسياسات البلدين، وتقاطعها،



وافتراقها، لأن العلاقات الدولية بشكل عام لا تسير في خط مستقيم، ودراسة كيفية تأثير هذا التطور الإيجابي أو السلبي على طبيعة العلاقات الثنائية، وتأثيره على التفاعلات الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك، ولاسيما في ظلّ التطورات الهامة التي شهدتها العلاقات التركية الروسية مع بداية القرن الواحد والعشرين.

## ■ الإشكالية:

تظهر إشكالية هذه الدراسة من عمق العلاقة التاريخية بين البلدين، ومساراتها المتعددة، وتميزها في العلاقات الدولية، وهذه المسارات تتراوح بين التقارب والتباعد، فمن جهة تباعدها الأطماع التوسعية، والذرائع الدينية، ومن جهة أخرى تقاربها الشراكة العميقة في المصالح، فإن كان صحيحاً أنّ البلدين يحرصان على تنمية علاقاتهما، والحفاظ على مستوى معين من التقارب حمايةً لمصالحهما المتبادلة، إلا أنّ التاريخ سجل محطاتٍ قاسيةً بين البلدين أدت في كثيرٍ منها إلى إضعاف التعاون بين الدولتين إلى حدوده الدنيا.

وعليه من شأن ذلك أن يطرح الأسئلة الآتية: ما هو إطار العلاقات التركية-الروسية؟ وما هو الثابت والمتغير في هذه العلاقات؟ وما هي محددات العلاقات التركية - الروسية؟ كيف يمكن أن يكون مستقبل هذه العلاقات القائمة على ازدواجية متناقضة بين تعاونٍ اقتصاديٍّ وخلافٍ سياسيٍّ؟ وما هو تأثير القضايا الخلافية على مستقبل هذه العلاقات؟ وهل ستترك الأحداث المتلاحقة في منطقة الشرق الأوسط وتداعياتها، أثراً سلبياً على مستقبل العلاقات بين الدولتين، رغم محاولاتٍ متبادلة لتفكيك الأزمات المتلاحقة وتدوير زواياها؟

## ■ الفرضيات:

إنّ العلاقات التركية-الروسية يحكمها التاريخ السياسي الذي رافق ولادة هذه العلاقات منذ ما قبل انهيار الدولة العثمانية، لذا فإن فرضية البحث الرئيسية تقول إنّ العلاقات التركية - الروسية كانت وستبقى في حالةٍ جدليةٍ، بحيث تنتقل من أزمةٍ إلى تسوية، طالما أنها تركز على لعبة المصالح ومقتضيات الأحداث السياسية المحلية، والإقليمية، والدولية.

## ■ المقاربة المنهجية:

ومن المقاربات المنهجية التي اعتمدها في بحثنا، هي اتباعنا للمنهج التاريخي، وأخذة في عين الاعتبار في معرض سرد أهم المحطات، والأحداث، والمتغيرات التاريخية، التي مرت بها العلاقات بين الدولتين منذ نشأتها مروراً بتطورها، وصولاً إلى انهيارها في وقتٍ متقارب. الأمر الذي مكننا من فهم طبيعة مسار العلاقات التركية-الروسية بشكلٍ صحيح وواضح.

كما اعتمدنا المنهج الاستقرائي التحليلي الذي ساعدنا في تحليل وتفسير محددات عوامل الثبات التي ساهمت في التقارب التركي - الروسي من جهة، والتحديات والمشكلات الإقليمية والدولية التي اعترضت طريقهما، وساهمت في تباعهما سياسياً من جهةٍ ثانية. ومن خلاله أيضاً، تمكنا من استقراء المستقبل، وتوقع ما يمكن أن يكون عليه مستقبل البلدين، وذلك وفقاً للمعطيات التي تمت دراستها وتحليلها في رسالتنا.

## ■ الصعوبات:

إنّ معالجة الإشكالية المذكورة أعلاه، بما طرحه من أسئلة متشعبة، وفي بعض الأحيان متداخلة، ومعقدة، ليس بالأمر اليسير، وذلك في ظلّ تقارب وتشابه معظم البحوث والدراسات، التي قاربت موضوع العلاقات التركية-الروسية، ولاسيما الحديثة منها، فالصعوبة كانت باستخراج المعلومات المرتبطة مباشرة بموضوع البحث ووضعها في السياق المطلوب، والأنسب لمعالجة الإشكالية المطروحة.

من جهة ثانية كانت الصعوبة في محاولة تحليل واستقراء مستقبل العلاقات ما بين الدولتين، على أساس أن تعقد الأزمات وتغيّر اللاعبين الدوليين باستمرار ودخول عوامل حديثة، يجعل من الصعوبة بمكان الوصول إلى نتيجة مرجحة حتى لا نقول أكيدة.

## ■ النطاق الزمني للدراسة:

الدراسة تتناول العلاقة الروسية التركية، بشكلٍ خاص بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، وبداية تولي الرئيس بوتين الحكم في روسيا عام 2000، وما تلا ذلك من تقدم شهادته روسيا في كافة المجالات، وعلى كافة الأصعدة، وصولاً إلى الولاية الثانية للرئيس الروسي بوتين، وبالتحديد عام

2016، وهو ما يجعل الدراسة من بين الدراسات الجامعية الأكثر حداثة، لأنَّ الأزمات والتغيّرات والتطوّرات التي تركز عليها الدراسة لها تأثير كبير في مستقبل العلاقات بين البلدين.

### ■ تقسيم الدراسة:

وفي سبيل تحقيق الهدف من وراء هذه الرسالة، إعتدنا تقسيم الرسالة إلى قسمين، الأول بعنوان "إطار العلاقات التركيّة-الروسية"، والثاني بعنوان "مستقبل العلاقات التركية-الروسية بين التعاون الاقتصادي والخلاف السياسي". تناولنا في الفصل الأول من القسم الأول، "مراحل ومتغيّرات العلاقات التركيّة-الروسية"، (تحدثنا عن أبرز المحطات التاريخية في حياة كلا الدولتين والمتغيّرات التي طرأت عليها والتي ساهمت بتحديد التوجهات السياسية لكلا الدولتين)، وفي الفصل الثاني، تناولنا "محددات العلاقات التركيّة-الروسية" التي تراوحت بين الداخلية والخارجية والتي كان لها الأثر الفعّال في رسم السياسة الخارجية لكلا البلدين. أما في القسم الثاني، فتناولنا في الفصل الأول منه "مجالات التقارب بين تركيا وروسيا وقضايا الخلاف"، وفي الفصل الثاني "مستقبل العلاقات التركيّة-الروسية".

## القسم الأول: إطار العلاقات التركية - الروسية.

اتسمت العلاقات التركية-الروسية منذ القدم، وحتى بداية القرن الحالي، بوجود العديد من التباينات والتوترات، ومرّت بمراحل من التصالح والتعاون، فروسيا القيصرية بحكم موقعها الجغرافي، سعت دائماً إلى التوسّع نحو الجنوب، للوصول إلى المياه الدافئة لتأمين مصالحها، لكنها اصطدمت بقوى دولية عملت على الحد من توسّع الإمبراطورية الروسية حفاظاً على التوازنات في إطار التنافس السياسي في القارة الأوروبية، إضافةً إلى رفض الإمبراطورية العثمانية لذلك لأنّه يضرّ بمصالحها الحيويّة. وتميّزت هذه العلاقات بأنها كانت تحت تأثير متغيّر خارجي، هو التقارب والتباعد بين الدولتين، وبعض البلدان الغربية الرائدة مثل بريطانيا العظمى وألمانيا، وإذا كان اللاعبون الدوليّون على المسرح قد تغيرت مسمياتهم اليوم، فإنّ بواعث الصراع تظل كما هي، دون تغيّر - الثروة والموقع الاستراتيجي - وهما جناحا القوة لأي إمبراطورية تطمح في التمدد والهيمنة.<sup>(1)</sup>

من هنا، لا بد وفي سياق معالجة وتحليل إطار العلاقات التركية-الروسية منذ نشأة الدولتين وصولاً الى العام 2016، التطرّق إلى المراحل التي مرّت بها العلاقات التركية - الروسية وتطورها عبر الزمن، والمتغيّرات التي شهدتها هذه المراحل وأثرت على هذه العلاقات في الفصل الأول. ومن ثم الحديث عن المحدّدات التي ضبّطت شكل ونمط العلاقات التركية-الروسية، وتتنوع هذه المحدّدات بين داخلية وأخرى خارجية (إقليمية ودولية) في الفصل الثاني .

<sup>1</sup> عامر على راضي العلق: "ملامح جديدة في العلاقات التركية-الروسية، دراسات دولية"، مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد، العدد 40، بغداد، أبريل 2009، ص110.

## الفصل الأول: مراحل ومتغيرات العلاقات التركية - الروسية.

إنّ الباحث في العلاقات التركية- الروسية، يجد نفسه يغوص في تاريخ لا يمتد لعشرة أو عشرين أو حتى مائة سنة فقط، لأنّ العلاقة بين الطرفين لها تاريخ عميق عمره خمسة قرون، تخللتها مراحل مختلفة من التقارب حيناً والتنافر والحروب حيناً آخر.<sup>(2)</sup>

تعتبر العلاقات بين روسيا وتركيا من أكثر العلاقات الدولية تشعباً وحساسية (تركيا عضو في حلف الناتو، وروسيا في الجبهة المقابلة للحلف)، بالإضافة الى تجاورهما الجغرافي وتنافسهما في مناطق نفوذهما المشترك ولا سيما في مناطق آسيا الوسطى والقوقاز، وعليه سنتناول في المبحث الأول من هذا الفصل تطور العلاقات التركية- الروسية منذ عهد السلطنة العثمانية ولغاية العام 2016 م، مروراً بالتقلبات السياسية التي رافقت هذه الفترة (نضيء من خلال هذه الفقرة وبشكل عام على أبرز المحطات التاريخية التي مرّت بها العلاقات بين الدولتين)، وفي المبحث الثاني سنتحدث عن المتغيرات التي طرأت على هذه العلاقات التركية - الروسية في مراحلها الأربعة.

---

<sup>2</sup> نور الدين قلالة: مقال بعنوان: "روسيا وتركيا... زواج كاثوليكي"، اسلام اون لاين، 2016/9/5، نشر على الرابط الإلكتروني: <https://islamonline.net/18229> ، (تاريخ الدخول: 2017/3/9).

## المبحث الأول: تطور العلاقات التركيّة - الروسيّة منذ عهد السلطنة العثمانية ولغاية العام 2016م.

في سبيل دراسة العلاقات التركيّة- الروسيّة من زمن السلطنة إلى أن تولّى الرئيس بوتين السلطة في ولايته الثانية في روسيا الاتحادية، وتزامنهما مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى رئاسة الحكومة التركيّة، وما رافقها من تحولاتٍ ومحطاتٍ في أنظمة الحكم وشكل الدولتين، عمدنا إلى تناول هذا المبحث في أربع محطاتٍ مرتبطةٍ بأبرز الأحداثِ المفصليةِ والمهمّةِ في تاريخ الدولتين وهي:

### أولاً: مرحلة الأحداث والصراعات (1298 - 1917)م.

يقول المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي "Arnold Toynbee"، الخلافة العثمانية هي الدولة الوحيدة التي جمعت الشرق الأوسط تحت حكمها أطول حقبة في التاريخ، وذلك أمرٌ لم توفّق إليه الإمبراطوريات الفارسية، أو الرومانية، أو العربية. كما أنها جمعت الأقوام الناطقة بالعربية كافة تحت راية واحدة، وإنّ إدارة الخلافة العثمانية للشرق الأوسط، كانت خير إدارة على مدى التاريخ وحتى يومنا هذا"<sup>(3)</sup>. وتعتبر هذه المرحلة الأطول من حيث الفترة الزمنية التي سنتناول دراستها، والبحث فيها سيكون بإيجاز نسبياً، لأنها غنيّة بالأحداث والصراعات، والتدخلات الدولية في سياسة البلدين، فروسيا هي دولة حديثة نسبياً مقارنة بالدولة العثمانية. فخلال حقبة التوسع العثماني الطويلة، التي استمرت منذ تأسيس الدولة العثمانية في عام 1298م حتى نهايات القرن السابع عشر، لم تكن هناك قوةً روسيةً تستطيع الوقوف أمام العثمانيين.

تعود جذور الدولة الروسية إلى دوقية موسكو، 1283-1527م، التي عاشت معظم فترة وجودها تحت سيطرة التتار، وما إن أخذت سيطرة التتار في الضعف والتراجع خلال القرن

---

<sup>3</sup> Kemal H. Karpat, Arnold Toynbee: The Ottoman State and its Place in the World History, E.J.Brill, Leiden, 1974, p 15-18.

الخامس عشر، حتى بدأت الدوقية في التوسع. ولكن ولادة الدولة القيصريّة 1527-1721م، إرتبطت بصعود إيفان الرابع، إلى الحكم، وسياسته الدمويّة التي عزّزت من سلطة الدولة في موسكو على حساب النبلاء. وقد عاشت الدولة الجديدة، التي أصبحت مركز قوة، صراعاتٍ مستمرةً ضد الليتوانيين، والبولنديين، والسويديين، لم تكن فيها الجانب المنتصر دائماً. وبعد فترةٍ من الفوضى في القرن السابع عشر، وفي عام 1613م تحديداً، اختار كبار الدولة الروسية مايكل رومانوف قيصرًا، ليؤسس بذلك السلالة التي إستمرت في الحكم حتى الثورة الشيوعيّة في عام 1917م.<sup>(4)</sup> أما الشخصية الرئيسيّة في تاريخ السلالة، فكان بطرس الأكبر، الذي حكم ما بين العامين 1672-1725م، الذي عمل على إستعارة الأنماط الأوروبيّة الغربيّة في تحديث آلة الدولة؛ فبنى سان بطرسبورغ، بإعتبارها نافذة روسيا على أوروبا، ونقل العاصمة من موسكو إلى المدينة الجديدة. ويمكن القول: إن تحوّل القيصريّة إلى إمبراطوريّة بدأ منذ عام 1721م، مواكباً لنجاح بطرس الأكبر في تحييد القوى الأوروبيّة الشماليّة-الغربيّة، وإطلاق عملية التوسّع نحو سيبيريا والباسيفيك، ونحو وسط آسيا والقوقاز والبحر الأسود. وفي عصر بطرس، وقع أول صدامٍ عثماني - روسي، عندما سيطرت روسيا على مدينة أزوف على البحر الأسود، ولكن هذا الصدام كان محدوداً، وغير ذي أثر كبير، على أية حال.<sup>(5)</sup> والحقيقة أنه وحتى أوائل القرن الثامن عشر ميلادي، ومع كثرة عدد الروس وإتساع مساحة بلادهم، إلا أنّ روسيا لم تكن تجرؤ على مواجهة الدولة العثمانيّة، أو المساس بممتلكاتها في أوروبا أو آسيا، بل لم يكن لها الدور الفعّال والمؤثّر على الخارطة السياسيّة الأوروبيّة.<sup>(6)</sup>

من المعروف أنّ السّلطنة العثمانيّة أسسها أرطغرل (1231-1281)م، ومن بعده إبنه عثمان (1281-1324)م، ومعهم تشكلت الدولة، فقد خاضت الدولة الحروب مع البيزنطيين، وتوسعت في الأناضول وآسيا، وإستمرّت بالتوسع في عهد يلدرم بايزيد عام 1389م، حتى فتح القسطنطينيّة عام 1453م، على يد السلطان محمد الفاتح، وقد إتّسمت هذه الفترة بتزايد النفوذ

<sup>4</sup> الأزمة التركية الروسية الديناميات والمسارات: محطات رئيسة في العلاقات الروسية - العثمانية والعلاقات الروسية التركية، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 17 ديسمبر 2015، <http://studies.aljazeera.net/ar/files/2015/12/2015>، (تاريخ الدخول: 2017/3/9).

<sup>5</sup> المرجع المذكور أعلاه.

<sup>6</sup> علي شعيب: بطرس الأكبر: قيصر روسيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1992، ص 5

العثماني في البلطيق والأناضول وصولاً إلى البحر الأسود، بعدها تولّى الحكم في السلطنة سلاطينٌ أشداء، ففي العام (1520-1566م)، تولّى الحكم السلطان سليمان القانوني وهي مرحلة عالميّة الدولة، فوقّع معاهدات مع ملوك أوروبا وروسيا تنصّ على دفع الضرائب للسلطان<sup>(7)</sup>. وفي عهد السلطان سليم الثاني شنّ العثمانيون حرباً على روسيا، فإقتحموا عاصمتها موسكو وأحرقوا الكرملين، وفرّ القيصر الروسي إيفان الرابع وذلك عام 1571 م، إلا أنه وفي الفترة الممتدة من العام 1683م وحتى عام 1786م، تضاءلت قوة الدولة العثمانيّة، وبدت ملامح الضّعف تظهر عليها، ومن أبرز ملامحها التحالف بين روسيا وألمانيا وبولونيا والبندقية والبابوية ومالطة، وشنّ الحرب الكبرى عام 1684م على الخلافة العثمانيّة وسقوط بودين عام 1686م، كما تميّزت هذه المرحلة بتوقيع الكثير من المعاهدات بين السلطنة العثمانية والدول الأوروبيّة، ألغيت بموجبها المعاهدات السابقة التي تعطي مزايا خاصّة للخلافة الإسلاميّة.<sup>(8)</sup>

بالعودة إلى مسألة العلاقات الروسيّة-العثمانيّة، نجد أنّه في فترة توحيد الولايات الروسيّة كان هناك بعض الصلات التجاريّة، وبخاصة بعد سيطرة العثمانيين على القرم، فقد كان ممثلوا الروس يزورون القسطنطينية لتسوية بعض المسائل التجاريّة<sup>(9)</sup>. وفي عام 1492م، وبالتحديد في عهد حاكم روسيا آنذاك " إيفان الثالث " (1462-1505)م ، وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي ومعه جملة من الهدايا إلى بايزيد الثاني (1481-1512)م، لتتجدد السفارة الروسيّة بعد ذلك بأربع سنوات، وتتمكّن من الحصول من الدولة العثمانية على إمتيازات للتجار الروس.<sup>(10)</sup> أمّا السفارة الدائمة للإمبراطوريّة الروسيّة بالقسطنطينية فقد أفتتحت عام 1701م.<sup>(11)</sup>

<sup>7</sup> يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، المجلد الأول، منشورات مؤسسة فيصل، اسطنبول، 1988، ص 284.

<sup>8</sup> بحث بعنوان "النظام السياسي في تركيا (نظام الحكم - المؤسسات)"، مركز سورية للبحوث والدراسات، 2014/9/1، ص 5.

<sup>9</sup> محمد عبد اللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى البحر، القاهرة، دار التراث، 1979، ص 117.

<sup>10</sup> محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق /إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، 1988، ص 183-184.

<sup>11</sup> عامر علي راضي العلاق: مرجع سابق، ص 111.



أما المرحلة الممتدة من عام 1768م إلى العام 1826م، فقد تميّزت بنكساتٍ عسكرية متلاحقةٍ للخلافة العثمانية، وعودة القوة العسكرية الروسية بالتحديد إلى تهديد حدودها الشمالية الغربية، وتحقيق انتصارات على الجيش العثماني. وفي العام 1774م، وقعت معاهدة السلام قينارجة بين الطرفين، لتكون فيما بعد مدخلاً للتدخل الروسي في شؤون السلطنة العثمانية، بذريعة رعاية السكّان المسيحيين الأرثوذكس الذين يعيشون في البلاد العثمانية، ولتؤسس أيضاً لخروج القرم نهائياً من الحكم العثماني، الذي دام قرابة 300 عام. ومنذ العام 1826م وحتى المرحلة الأخيرة من عمر الخلافة العثمانية، حاول السلاطين العثمانيون إستعادة دورهم وتحديث الجيش، غير أنّ محاولاتهم لم توقف المدّ الروسي، الذي إستعاد الساحل الشرقي للبحر الأسود عام 1829م، بعد أن كان بحيرة عثمانية يمنع غيرها من إستخدامه، وتتابع سقوط الولايات والمحميات العثمانية في القفقاس، والقرم بيد الروس، وفي هذه الأثناء تم التداول بمصطلح "الرجل المريض"، كدعوةٍ من روسيا لإقتسام نفوذ دولة الخلافة العثمانية. ومع تولّي السلطان عبد الحميد الثاني، آخر سلاطين بني عثمان وفقاً للمؤرخين، خاضت دولة الخلافة في عهده حروباً متعددة مع روسيا والدول الأوروبية، لم يحقق فيها أيّ نصر يذكر، وتناقصت مرة أخرى مساحة الدولة العثمانية لصالح أعدائها فضلاً عن تراجع موقعها العالمي، وفي الرّمق الأخير من عمر الدولة تولّى عليها سلاطين ضعاف لم يستطيعوا الحفاظ على الحدّ الأدنى من قوة الدولة، فتقاسمتها الدول الغربية مستعمرات لها فيما بينها، وحققت روسيا نفوذها التام على القوقاز والقرم، ومن ثم كان لدخولها الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور، ضد دول الحلفاء، بقيادة بريطانيا وفرنسا وروسيا وغيرها من الدول في العام 1914م، وخسارتها الحرب، وهي آخر حروبها، العامل المساعد على نهاية الدولة العثمانية وانهارها، وبذلك حقّقت روسيا حلمها في تقاسم تركة الرجل المريض، وإنتهت السلطنة العثمانية رسمياً في العام 1922م، وألغى لقب الخليفة عام 1924.<sup>(12)</sup>

إنّ ما يميّز هذه الفترة من العلاقات التركية - الروسية، هو مهادنة الروس للدولة العثمانية إبّان قوتها، فقد فاقت قدرة الإمبراطورية العثمانية في ذلك الوقت قدرات مجموع دول العالم أجمع،

<sup>12</sup> النظام السياسي في تركيا (نظام الحكم - المؤسسات)، مرجع سابق، ص7.

كما كتب المفكر الفرنسي بين هربين "PenneHerpin"<sup>(13)</sup> إذ أنه حين تمكّن السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) من الإنتصار على المجر وفتح بلغراد، أرسل إليه قيصر روسيا برقية تهنئة بهذا الظفر.<sup>(14)</sup> ولما بدأت روسيا تظهر كقوة على مستوى الأحداث الدوليّة، غربت شمس أمجاد الدولة العثمانيّة، واعتراها عوامل الضعف والشيخوخة، فأخذت روسيا على عاتقها محاربة الدولة العثمانيّة وإسقاطها، وبالتالي إخراجها من أوروبا بأسرها.<sup>(15)</sup> وتقاومت مع الدُول الإستعماريّة ممتلكاتها في أعقاب الحرب العالميّة الأولى.

### ثانياً: مرحلة المهادنة (1917 - 1991)م.

تعتبر بداية هذه المرحلة عام إنتصار الثورة البلشفية، وانتهاء حكم القيصرية في روسيا، وتأسيساً لكيانٍ جديدٍ ونمطٍ من أنماط الحكم المعاصر، عنيّ به الاتحاد السوفياتي، ترافق ذلك مع انتصار دول الحلفاء على دول المحور في الحرب العالميّة الأولى، وخروج الإمبراطوريّة العثمانيّة منهزمة منها، وقيام الحركة الكماليّة (نسبة الى كمال أتاتورك)، التي أخذت على عاتقها طرد المحتلّين والعمل على تأسيس تركيا الحديثة، بمساعدةٍ ماديّةٍ وعسكريّةٍ من الاتحاد السوفياتي، وذلك في العام 1923م.

تعتبر هذه المرحلة من تاريخ العلاقات التركيّة - الروسيّة، نهايةً للحروب بين الدولتين الجارتين، وبدأ مرحلة جديدة من العلاقات بينهما، فقد شهدت إنسحاب القوات الروسيّة من شمال الأناضول، وتخلي الحكومة الروسيّة عن إدعاءاتها في جميع الولايات التركيّة بشكل كلي في 5 كانون الأول 1917م، وإنهاء الحرب العالميّة الأولى بهزيمة الدولة العثمانيّة أولاً، وفرض دول الوفاق شروطاً قاسية على تلك الدولة، بموجب هدنة مودرس (Mudros)<sup>(16)</sup> في 30 تشرين الأول 1918م ثانياً، وبذلك طويت صفحة العداء بين الاتحاد السوفياتي والدولة العثمانيّة،

<sup>13</sup> يلماز أوزتونا: مرجع سابق ص7.

<sup>14</sup> محمد فريد بك المحامي: مرجع سابق، ص202.

<sup>15</sup> منصور العمري: الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة من (1709-1805) م، دراسة تحليلية نقدية اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية، الرياض، 2010، ص 2.

<sup>16</sup> للتفاصيل عن معاهدة مودرس ينظر: مذكرات الغازي مصطفى كمال باشا، ترجمة عبد العزيز أمين الخانجي، مطبعة النهضة، القاهرة، 1926، ص 95-98.

وفتحت صفحة جديدة بين الاتحاد السوفياتي والحركة الوطنية التركية (الحركة الكماليّة)، التي ظهرت في الأناضول سنة 1919م، بقيادة مصطفى كمال أتاتورك "Ataturk"، الذي أخذ على عاتقه مهمة تحرير الأراضي التركية، التي أُحْتُلت من قبل دول الوفاق أثناء الحرب.<sup>(17)</sup> ومعه بدأت العلاقات تتحسن بين الطرفين، وتشهد تقارباً ملحوظاً، حيث ناشد مصطفى كمال في نيسان 1920م القادة السوفييت بدعم حركته مادياً ومعنوياً.<sup>(18)</sup>

لعلّ هذا التحسن الملحوظ في العلاقات التركيّة - الروسيّة، مردهُ إلى اهتمام الحكومات السوفياتية بتركيز أسس الإشتراكية في روسيا، وتثبيت دعائم الدولة، إضافة إلى مواجهة القوى السياسية الكبيرة مثل ألمانيا وبريطانيا فرنسا وغيرها، وإلى موقف الحكومة البريطانية من النزاع الحدودي العراقي - التركي (مشكلة النفط) من جهة، وظهور الفاشية في إيطاليا، وإعلان موسوليني عن أطماعه التوسيعيّة في جنوب غرب تركيا ومنطقة البحر المتوسط من جهةٍ أخرى، ما جعل الأتراك يرتابون بشكلٍ عالٍ من الغرب. إلا أنّ هذه العلاقة لم تستطع الصمود طويلاً، ففي العام 1934م، ظهر فتور تدريجي في العلاقات التركيّة - الروسيّة، نظراً للإجراءات التي اتخذها مصطفى كمال أتاتورك رئيس الجمهورية التركيّة، بسبب شكوكه المتزايدة من نشاطات السوفييت السريّة، ضمن الحدود التركيّة أولاً، والتحوّل التدريجي باتجاه الدول الغربيّة، من خلال سلسلة المعاهدات التي أبرمت بين الطرفين ثانياً.<sup>(19)</sup>

على الرغم من التحسن النسبي في علاقات الاتحاد السوفياتي بتركيا في مرحلة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، تعد الفترة الممتدّة بين عامي (1945-1952)م أقسى فترة في تاريخ تركيا، بسبب خروج روسيا السوفياتية من الحرب العالميّة الثانية منتصرة، وبروزها كقوةٍ عظمى مهدّدةٍ لاستقرار تركيا، فقبيل نهاية تلك الحرب بأشهر معدودة، ألغى الاتحاد السوفياتي معاهدة الصداقة والحياد المبرمة بينهما في العام 1925م، واشترط لتوقيع معاهدة جديدة معها أن

<sup>17</sup> حنا عزو بهنان: العلاقات التركية - السوفيتية 1925-1935، مركز الدراسات الإقليمية-جامعة الموصل، العراق، 2007، ص 3.

<sup>18</sup> Ivar Spector: the Soviet Union and Muslim World (1917-1958), University of Washington Press, U.S.A, 1967, pp. 63-64.

<sup>19</sup> حنا عزو بهنان: مرجع سابق، ص 18.

تقوم تركيا بإعادة إقليمي قارص وأردهان اللذين كان قد تخلى عنهما بموجب "معاهدة الصداقة والأخوة" مع تركيا في آذار 1921م، وطالب بالحصول على قواعد عسكرية في منطقة المضائق، وتعديل معاهدة مونترو التي دخلت حيز التنفيذ في 9 تشرين الثاني 1936م، لتحديد نظام مرور السفن عبر مضائق البحر الأسود، كما طالب الاتحاد بعقد معاهدة دولية للدفاع عن البحر الأسود.<sup>(20)</sup> الولايات المتحدة الأمريكية من جهتها إستغلت النزاع بين تركيا والاتحاد السوفياتي فوَقَّعت على اتفاقية دين وذلك في العام 1945م، منحت الولايات المتحدة بموجبها تركيا 10 ملايين من الدولارات.<sup>(21)</sup> وتعتبر هذه الإتفاقية من المقدمات التي دفعت تركيا إلى تطوير علاقاتها مع الدول الغربية.

مع تأسيس حلف (الناتو) عام 1949م، والذي يعتبر "نظاماً أمنياً جماعياً"، قامت تركيا في كشف سياستها الخارجية في هذا الإتجاه، وساهم ارتفاع حدّة التوتر بين المعسكر الاشتراكي من جهة، والمعسكر الرأسمالي من جهة أخرى، في رغبة حلف شمال الأطلسي بإدخال تركيا فيه، لمحاصرة الاتحاد السوفياتي في منطقة البحر الأسود وأصبحت عضواً رسمياً بالحلف في 14 شباط 1952م بعد ثلاث سنوات من الجهود المتواصلة لدخول الحلف، لتكون بذلك الذراع العسكري الغربي لإحتواء الاتحاد السوفياتي، وعلى خط المواجهة الأمامي ضده وضد دول حلف وارسو والدول المؤيدة له حتى إنتهاء الحرب الباردة.<sup>(22)</sup>

إلا أنّ إنقسام أوروبا إلى معسكرين شرقي وغربي، وإنضمام تركيا إلى المعسكر الغربي لدواع استراتيجيّة وضرورات الأمن القومي بشكل واضح، ودخول القوتين العظيمنتين (النوويتين) في مرحلة ما سمي (الحرب الباردة)، أوجد هذا الإنقسام بين الشرق والغرب درجة من الاستقرار، وصارت فكرة الصراع العسكري غير مستساغة على نحو متزايد من جانب الزعماء الأمريكيين والسوفييت، الذين أدركوا أنّ أي مواجهة واسعة النطاق في المركز من شأنها التحوّل إلى مواجهة

<sup>20</sup> معمر فيصل خولي، "العلاقات التركية الروسية: من إرث الماضي الى افاق المستقبل"، (بيروت والدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص 8.

<sup>21</sup> أحمد نوري النعيمي: العلاقات التركية الروسية: دراسة في الصراع والتعاون، عمان، دار زهران للطباعة والنشر، 2011، ص 64.

<sup>22</sup> احمد نوري النعيمي: تركيا وحلف شمال الأطلسي، المطبعة الوطنية، عمان، 1981، ص 68.

نووية مؤكّدة، وأبرز ما يؤكد هذا، هو حقيقة أنّ أغلب الحروب التي إندلعت خلال حقبة الحرب الباردة كانت في دول العالم الثالث.<sup>(23)</sup>

وبالعودة إلى العلاقات التركيّة - الروسيّة، فبعد وفاة ستالين، بعثت الحكومة السوفياتية مذكرة إلى القادة الأتراك في 30 مارس 1953 م، جاء فيها " تتعهد الحكومة السوفياتية مسألة بحث العلاقات السوفياتية مع جيرانها، ومن بين ذلك إعطاء أهمية للعلاقات السوفياتية-التركيّة. وفي هذا الصدد فإن الاتحاد السوفياتي يرجع الى روح معاهدة عام 1925 م، إلا أن المسؤولين الأتراك إستقبلوا المبادرة بعدم الراحة.<sup>(24)</sup> وخلال الحرب الباردة أصبحت تركيا الكماليّة معقل لمعاداة الشيوعيّة، وركيزةً أساسيّةً من ركائز التحالف الغربي، بالمقابل فإن الاتحاد السوفياتي لم يتخلّ أبداً عن جهوده لإضعاف تركيا، ومن بين أدواته للقيام بذلك، كان دعم تمرد حزب العمال الكردستاني ضد أنقرة، في ثمانينات القرن الماضي، إلا أنّ هذه التدخلات لم تكن لتقلق تركيا، ولاسيما وأنّ الاتحاد السوفياتي كان قد دخل في حرب طويلة مع أفغانستان (1979-1989)م، وسط خسائر فادحة في صفوف القوات السوفياتية، 14453 قتيلًا وأكثر من 53 ألف جريح و265 مفقوداً،<sup>(25)</sup> إضافةً إلى التجهيزات والمعدات العسكريّة والكلفة المالية لهذه الحرب، وبدت علامات الضعف على الاتحاد السوفياتي مع نهاية الحرب والتي من إحدى تداعياتها إنتهاء مرحلة الحرب الباردة، وتفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991م.

إنّ ما يميّز هذه المرحلة من تاريخ العلاقات التركيّة - الروسيّة، هو إندفاع الروس (الاتحاد السوفياتي) لتقديم الدعم والمساعدات لبناء تركيا الحديثة في المرحلة الكماليّة، لمنع إقترابها من الغرب، إلا أن التحولات السياسية اللاحقة، وتبدل موازين القوة دفعت تركيا إلى رفض هذه

---

<sup>23</sup> روبرت جيه ماكمان، الحرب الباردة ترجمة محمد فتحي خضر، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014، ص 61.

<sup>24</sup> أحمد نوري النعيمي: العلاقات التركية الروسية: دراسة في الصراع والتعاون، عمان، دار زهران للطباعة والنشر، 2011، ص 72.

<sup>25</sup> علاء الدين السيد: "هل يشبه التدخل الروسي في سوريا حرب السوفييت في أفغانستان؟" 19 أكتوبر 2015، صحيفة ساسة بوست، مقال نشر على الرابط الإلكتروني التالي: <https://www.sasapost.com/soviet-invasion-afghanistan/>، (تاريخ الدخول: 2017/3/9).

العلاقة وزيادة التقارب مع القوى السياسية الغربية، والدخول في تحالفات معهم لمواجهة التهديدات المحتملة من الاتحاد السوفياتي.

### ثالثاً: مرحلة التوتر وعدم الاستقرار (1991 - 2000م).

إن دراسة هذه المرحلة من تطور العلاقات التركيبة - الروسية، التي تعتبر قصيرة من حيث المدة الزمنية، إلا أنها زخرت بأحداث جسام لعل أبرزها إنهيار الاتحاد السوفياتي، الذي يعتبر أهم حدثٍ سياسيٍ في القرن العشرين، وما تبعه من فشل للتجربة الإشتراكية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي، وإلغاء لحلف وارسو، وزحفٍ للحلف الأطلسي نحو حدود روسيا الغربية.

في 25 ديسمبر 1991م، ألقى الرئيس ميخائيل غورباتشوف آخر رئيس للاتحاد السوفياتي كلمة وداعٍ، أعلن فيها إستقالته من رئاسة الدولة. وفي اليوم التالي، تم إصدار إعلان الإعراف بإستقلال 15 جمهورية سابقة، لتدخل مرحلة جديدة من تاريخها، عاشت خلالها أزماتٍ سياسيةٍ، واقتصاديةٍ، واجتماعيةٍ بالغة الخطورة.<sup>(26)</sup> ومع إنتهاء وجود أكبر دولة على الخريطة، أعلنت روسيا نفسها وريثة شرعية للاتحاد السوفياتي، بينما دخل العالم أجمع في حقبةٍ جديدةٍ، إتسمت بتراجع نفوذ موسكو لمدة عقدين من الزمن، وقيام نظام القطب الأوحده والهيمنة الأمريكية على السياسة الدولية.<sup>(27)</sup> كما تم إلغاء حلف وارسو دخلت بعض الدول المستقلة عن الاتحاد السوفياتي في حلف الناتو، وفي مقدمتها بولونيا، التي كانت مركز قيادة قوات معاهدة وارسو، وأنتخب الرئيس بوريس يلتسن لفترتي حكم (1991-1999م)، أول رئيس ديموقراطي لروسيا، وكانت روسيا قد تراجعت من موقفها القوي كقوة عظمى، وأصبحت الدولة التي تسودها الفوضى والضعف السياسي والعسكري والاقتصادي.<sup>(28)</sup>

<sup>26</sup> Bobo Lo: Russian Foreign Policy in The Post-Soviet Era: Reality, Illusion and Mythmaking, (New York: Palgrave Macmillan, 2002), p.195.

<sup>27</sup> رامي القيلوبي: مقال بعنوان "انقلاب اغسطس 1991.... مقدمة لانتهاء الاتحاد السوفياتي الجديد"، صحيفة العربي الجديد، لندن، العدد: 719، 20/8/2016، ص:6.

<sup>28</sup> آيا بورشيفكايا: روسيا في الشرق الأوسط -الدوافع، الآثار، الآمال، دراسة صادرة عن معهد وشنتن، شباط 2016، مراجعة وترجمة مركز أدارك للدراسات والاستشارات، 2016، ص: 81 .

خلال هذه الفترة كانت تركيا لا تزال حبيسة علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت تسعى لوضع إستراتيجية لإحتواء الاتحاد السوفياتي، على خط يمتد من النرويج الى باكستان، وكانت تركيا عنصراً أساسياً في هذا المشروع بسبب سيطرتها على مضيق البوسفور. ولكن هذا المنطق الإستراتيجي حلّ في العام 1991 م مع سقوط الاتحاد السوفياتي، حيث بات الاتحاد مجزأ حينها، وإنسحبت القوى الروسية من جنوب القوقاز والبلقان. وأدى قيام الإنتفاضات في شمال القوقاز إلى تقويض قدرات الجيش الروسي، ونالت كلاً من أرمينيا، جورجيا، وأذربيجان، إستقلالها، كذلك الأمر لأوكرانيا التي أصبحت دولةً مستقلةً، ما جعل وضع أسطول البحر الأسود الروسي في شبه جزيرة القرم غير واضح، وللمرة الأولى منذ السنوات الأولى لقيام الاتحاد السوفياتي، تتمكن تركيا من التحرر من خوفها من روسيا، وبالتالي ذهب العنصر الحاسم في السياسة الخارجية التركية، وذهب معها الاعتماد التركي على الولايات المتحدة الأمريكية.<sup>(29)</sup> هذه التغيرات في السياسة الخارجية التركية تزامنت مع وصول التيار الإسلامي إلى السلطة، ودخوله الى الواجهة السياسية التركية، على حساب القوى السياسية المحسوبة على التيار العلماني الذي قاد تركيا منذ كمال أتاتورك، والقول بأن المكانة التركية الحقيقية وخياراتها السياسية يجب أن ترتبط بالحضارة الإسلامية، لا بالخيار العلماني المرتبط بالغرب.<sup>(30)</sup>

في هذه الفترة إتسمت العلاقات التركية- الروسية بمزيجٍ من التوتر وعدم الثقة والتعاون في مجالاتٍ مختلفةٍ منها (النفط، الغاز، السّياحة، تسهيلات جمركية، التبادل التجاري، الصناعي والزراعي...)، وكانت تركيا في مقدمة الدول التي إعترفت بروسيا الاتحادية، كوارث للاتحاد السوفياتي. لأن الإعتراف صدر في اليوم الأول من تفكك الاتحاد السوفياتي، كخطوةٍ ضروريةٍ لبدء علاقاتهما الرسمية، ففي العام 1992م، وقّع رئيسا الدولتان معاهدة "مبادئ العلاقات بين جمهورية تركيا والاتحاد السوفياتي".<sup>(31)</sup> وبنفس الوقت أدى هذا التفكك إلى ظهور ست جمهوريات إسلامية في منطقة آسيا الوسطى (أذربيجان وأوزبكستان، قيرغزستان، كازاخستان، تركمانستان،

<sup>29</sup> جورج فريدمان: مقال بعنوان "استراتيجية تركيا، نيسان 2012، ترجمة السوريون الأحرار، السوريون الأحرار، مايو 2012، <https://freesyriantranslators.net>، (تاريخ الدخول: 2017/3/14).

<sup>30</sup> محمد نور الدين: "تركيا مجدداً في دائرة الخطر الروسي"، صحيفة الحياة، بيروت، العدد 11299، 1994/12/21، ص5.

<sup>31</sup> معمر الخولي: مرجع سابق ذكره، ص9.

وطاجاكستان)، الغالبية العظمى من سكانها تعتنق الدين الإسلامي، وتتحدر من أصول تركية.<sup>(32)</sup> الأمر الذي يعني من وجهة نظر تركية، إمكانية إقامة عالم تركي تكون تركيا نواته ومركز القيادة فيه.<sup>(33)</sup>

لقد كانت تركيا أول دولة تعترف بجمهورية أذربيجان المستقلة، وأول دولة تدعم إستقلال هذه الجمهوريات في الأمم المتحدة، فقد كانت السباقة في إقامة علاقات دبلوماسية معها، داعية قادتها إلى توحيد جهودهم من أجل إنبعاث الأمة التركية، إلا أن طموح تركيا في مد جسورها بإتجاه هذه الجمهوريات، أدى إلى التباين في مواقف البلدين، وانتاب القلق روسيا من الدعم الغربي، ولاسيما الأمريكي لتركيا، لاحتواء دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإستغلال ما يتوافر لها، من روابط وصلات تاريخية ولغوية وثقافية وجغرافية.<sup>(34)</sup>

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي تباينت المواقف التركية - الروسية بشأن قضايا إقليمية كثيرة، على غرار مسألة إقليم ناغورنو- كاراباخ، والمسألة الجورجية والتقارب الروسي- الإيراني المثير لقلق أنقرة، المسألة اليوغسلافية والتدخل الروسي لصالح صربيا والجبل الأسود ضد مسلمي البوسنة والهرسك، وفكرة توسيع عضوية الإنضمام إلى حلف الناتو بإتجاه شرق أوروبا ووسطها، الذي أيدته تركيا وإرتابت منه روسيا بما يشكل من تهديد لمصالح روسيا وأمنها القومي، والحرب الشيشانية- الروسية والتعاطف الذي أبدته تركيا تجاه مسلمي الشيشان، والمسألة القبرصية ودعم الروس للقبارصة اليونان، ودعم الروس لأكراد حزب العمال الكردي.<sup>(35)</sup>

على الرغم من التباينات في علاقات تركيا بروسيا، لم ينقطع التعاون الاقتصادي بينهما، فقد بلغ معدل التبادل التجاري منذ العام 1992م حتى وقوع الأزمة الاقتصادية في روسيا عام 1998م ما بين 8 مليارات و 10 مليارات دولار سنوياً، وبلغت الصادرات التركية إلى روسيا

<sup>32</sup> محمد نور الدين: المرجع نفسه.

<sup>33</sup> Werner Gumpel: Economic and political Development in the Central Asian Turkish Republics, Eurasian Studies, Summer 2, 1994, p. 15.

<sup>34</sup> احمد جاسم الشمري ويونس عباس نعمة: "التوجه التركي نحوآسيا الوسطى والقوقاز (1990-1998)", مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية في جامعة بابل، العراق، 2014 ص 6 و 7.

<sup>35</sup> معمر الخولي: مرجع سابق، ص 18.



600 مليون دولار في عام 2000م، بينما بلغت الصادرات الروسية الى تركيا في العام عينه 3 مليارات دولار، هذا بالإضافة إلى إستثمارات في مجال النفط والبناء والسياحة، حيث وصل عدد السيّاح الروس الذين زاروا تركيا في العام 1999م، إلى 438719 سائحاً<sup>(36)</sup>.

إنّ ما ميّز العلاقات التركيّة - الروسية خلال هذه المرحلة، وهو إنتقال العلاقات بينهما من الاتحاد السوفياتي إلى روسيا التي ورثت دولة ضعيفة تسودها الفوضى على جميع المستويات، الأمر الذي وضع تركيا في حالة الدولة الأقوى في محيطها الإقليمي، ما دفع الحكومة السوفياتية إلى مهادنة القوى السياسية الإقليمية ومنها تركيا، ولم تتغيّر حالة القلق وعدم الاستقرار بين البلدين تركيا وروسيا، إلا أنها أخذت طابعاً أكثر دبلوماسية، وغلبت المصالح الاقتصادية بين البلدين وتم تطويرها بما يتوافق مع مصالح الدولتين، ولاسيما في ظل التباعد بين تركيا والدول الغربية بعد تولي مصطفى كمال أتاتوك السلطة في تركيا.

#### رابعاً: مرحلة التعاون والتنسيق (2000-2016)م.

اتسمت المرحلة السابقة من العلاقات بين الدولتين بالتوتر تارةً، وعدم الاستقرار تارةً أخرى، بسبب التنافس المباشر بين الدولتين في مناطق استراتيجية عدة، إلا أنّ العلاقات الثنائية بينهما بدأت بالتحسّن التدريجي مع تسلّم الرئيس بوتين للسلطة مطلع العام 2000م، في روسيا، ووصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في تركيا العام 2002م، وانتهاج الطرفين سياسة خارجية مرنة إزاء بعضهم البعض، استهدفت تقليل عوامل التوتر بين البلدين الجارين، وتعزيز أواصر التعاون في المجالات كافة.<sup>(37)</sup>

بتاريخ 2002/11/3م، فاز حزب العدالة والتنمية التركي ذو المرجعيّة الإسلاميّة، بالانتخابات البرلمانيّة بقوة، جعلته يتمكن من تأليف الحكومة التركيّة بمفرده، ما يعني على

<sup>36</sup> معمر الخولي: مرجع سابق، ص 19.

<sup>37</sup> د.محمد ياس خضير: "التدخل العسكري الروسي في سوريا وأفاقه المستقبلية"، مركز المستقبل للدراسات الإستراتيجية، 2015/9/21 مقال نشر على الرابط الإلكتروني التالي: <http://mcsr.net/news79>، (تاريخ الدخول: 12/3/2017).

الصعيد السياسي، وصول الخط المعادي للعلمانيّة التركيّة المتحالفة مع الغرب إلى السلطة، والبدء بالتحول نحو سياسة مختلفة عن السياسات التركيّة السابقة. تخوّفت روسيا من وصول حزب العدالة والتنمية التركي إلى الحكم، لما تمثله مرجعيّة هذا الحزب من عمق ثقافيّ وحضاريّ وأيديولوجي في المحيط الروسي، ومنطقة الشرق الأوسط، وأراضي السلطنة العثمانيّة سابقاً، إلا أنّ هذه المخاوف سرعان ما تبدّدت نتيجة لسرعة التحرك التركي باتجاه روسيا، ففي كانون الثاني من العام 2002م، وبعد أقل من شهر من وصول حزبه إلى الحكم، قام رئيس حزب العدالة والتنمية رجب طيّب أردوغان بزيارة إلى موسكو، مؤكّداً ضرورة وقوف تركيا إلى جانب روسيا في محاربة الإرهاب (القضية الشيشانية)، ومن جانبه أعرب الرئيس الروسي عن رضاه على مستوى العلاقات بتركيا، واتفق الزعيमान على تعزيز التعاون الاقتصادي بين الدولتين، بحيث ظهر ذلك جلياً في مستوى التبادلات الاقتصادية ولاسيما في مجال الطاقة والغاز الطبيعي والسياحة. وأخذت هذه العلاقة بالتطور، وتبادل الزيارات بين البلدين على مستوى رفيع، وتوثقت بتوقيع معاهدات في مختلف المجالات السياسيّة والاقتصاديّة، والأمن ومكافحة الإرهاب، الشؤون القنصليّة والثقافية، علاوة على المشكلات الدوليّة والإقليميّة.<sup>(38)</sup>

إنّ وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم بعد فترة من التخبُّط، رافقتها أزمة اقتصاديّة كادت تؤدي إلى إنهيار البلاد، فقد أخذ هذا الحزب على عاتقه مهمة إنقاذ البلاد، ولاسيما وأنه يحمل مشروعاً سياسياً - اقتصادياً - اجتماعياً يقوم على عملية إصلاح بنيوي صياغة دور تركيا ووظيفتها، فالأترك لم يديروا وجوههم عن الحلم الأوروبي، لكن أولوياتٍ عديدة أضيفت إلى اهتماماتهم، فتركيا أصبح يعنيتها أيضاً العالم العربي والإسلامي، وتعنيها إيران وباكستان وروسيا، وحتى العوالم الإفريقيّة والأمريكيّة اللاتينيّة، فهي تريد أن تصبح دولةً محوريّةً، وقوّة عظمى في النظام الدولي الجديد.<sup>(39)</sup>

<sup>38</sup> معمر الخولي: مرجع سابق، ص: 31 - 32.

<sup>39</sup> فادي عبد الله: " تركيا في القرن ال 21 - الوظيفة والدور المستجدان في ظل الجيوستراتيجية على صعيد العالم والمنطقة في ظل مشروع أميركا للشرق الأوسط الجديد"، الحزب الشيوعي اللبناني، بيروت، تشرين الأول 2010، ص: 13 - [http://www.lcparty.org/index.php?option=com\\_content&id=301](http://www.lcparty.org/index.php?option=com_content&id=301):-

[http://www.lcparty.org/index.php?option=com\\_content&id=301](http://www.lcparty.org/index.php?option=com_content&id=301):- (تاريخ الاطلاع على الدراسة 2017/3/12).

وفي إطار سياستها المعلنة حول تصغير المشكلات مع الدول المجاورة لتركيا، أو التي نظراً لها رئيس الوزراء التركي، فقد سعت الحكومة التركية إلى تصفير المشكلات مع دول الجوار، واعتمادها سياسة أكثر انفتاحاً معهم، ولذلك سعت إلى بناء علاقة قوية مع روسيا من الناحية الاقتصادية، ولاسيما في مجال الطاقة، الذي يلعب دوراً مهماً في التأسيس لعلاقات استراتيجية تقود لتقاربٍ سياسيٍ بينها، وهي في سبيل ذلك التزمت الحياد عندما قامت روسيا باجتياح جورجيا في العام 2008م، كما لم تقم بالمشاركة في العقوبات المفروضة على روسيا بسبب الأزمة الأوكرانية التي بدأت 2013م ولا زالت مستمرة.<sup>(40)</sup>

لكن الوثام الذي سارت فيه العلاقات التركية - الروسية، لم يكن ليستمر في هذه المرحلة دون المرور ببعض المطبات والعثرات التي وقفت حائلاً دون الوصول إلى علاقاتٍ مميزةٍ، وتباينت وجهات النظر بين موسكو وأنقرة بشأن ملفاتٍ كثيرةٍ، فتركيا لم تقطع علاقتها بحلف الناتو، بالمقابل روسيا عززت علاقاتها بدول مثل إيران وسوريا ومصر، التي تنير مخاوف تركيا إضافة إلى المسائل الخلافية التي سبق وأن أشرنا إليها. وتبقى المسألة الأهم التي وضعت تركيا وروسيا وجهاً لوجه في المنطقة، الموقف من ثورات الربيع العربي، فتركيا رأت في هذه الثورات تكاملاً مع مشروعها في حزب العدالة والتنمية ذي التوجهات الإسلامية، خصوصاً أنّ قوى التغيير الأساسية في الحراك الثوري محسوبة على التيار الإسلامي، وأن التغيير في الأنظمة الحاكمة يصب في مصلحتها، إلا أن هذا الحراك أزعج روسيا، فخسارتها للأنظمة في ليبيا ومصر وسوريا يعني تقليصاً لنفوذها في الشرق الأوسط، وصعود التيار الإسلامي في المنطقة يشكل خطراً على أمنها القومي<sup>(41)</sup>، وفي سبيل المحافظة على نفوذها في سوريا، قدّمت الدعم للنظام السوري عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، لإستمرار حكم الرئيس بشار الأسد، وصولاً إلى التدخل العسكري المباشر فيها عام 2015م، دونما اعتبار لتركيا كقوة إقليمية على الحدود السورية الشماليّة، بالمقابل فإنّ تركيا لم تستطع التدرّج إنّما بادرت إلى إيواء اللاجئين السوريين على حدودها، وتقديم الدعم بأشكاله المتعددة لبعض الفصائل المعارضة، وبتاريخ

<sup>40</sup> محمود سمير الرنتيسي: "العلاقات التركية-الروسية: مستقبل التعاون الاقتصادي و الخلاف السياسي" مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 11 ديسمبر 2014، ص3.

<sup>41</sup> هاني شادي: "روسيا والربيع العربي: مصالح ومخاوف"، الأهرام الرقمي، مصر، الموقع الإلكتروني: <http://www.thanwya.com/vb/showthread.php?p=4496661>، (تاريخ الدخول 3/12/2017).

2015/11/24م، بدأ أن سياسية كظم الغيظ والعض على الجرح الذي كانت تمارسه تركيا بعد الدعم الأمريكي للأكراد، والتدخل الروسي والإيراني على حدودها الجنوبية، لم يعد يجدي نفعاً، وكان من آثار هذا الإزعاج "ونفاذ الصبر" إسقاط الدفاعات الجوية التركية لطائرة مقاتلة روسية على حدودها، في رسالة عبّرت فيها تركيا عن غضبها إزاء الأحداث على حدودها، وهي رسالة لا بد منها تجاه موسكو الشريك الاقتصادي الكبير، حتى يقتنع بأن الشراكة الاقتصادية وحاجة تركيا للغاز الروسي المقدر بـ (20مليار دولار)، لا تعني القبول بالتجاوز تجاهها، أو المس بأمنها القومي<sup>(42)</sup> (ملاحظة: سيتم التطرق لموضوع إسقاط الطائرة ومحاولة الانقلاب فيما بعد).

في الخلاصة، فقد شهدت مرحلة بداية القرن الواحد والعشرين، وصول ضابط المخابرات الروسي إلى رئاسة روسيا، ورجل الاقتصاد "الإسلامي" إلى رئاسة حكومة تركيا، ما أدى إلى حدوث تطور نوعي في العلاقات التركية - الروسية، فتركيا التي بدأت تبحث عن خيارات جديدة في سياستها الخارجية، وجدت في روسيا المحاصرة غربياً شريكاً اقتصادياً كبيراً، إلا أن الصراع على النفوذ الذي ميّز هذه العلاقات بقي حاضراً.

في النهاية لاحظنا أن العلاقات بين البلدين، مرّت بمراحل متميّزة خلال تطورها التاريخي، حيث تميزت كل مرحلة بأحداث ساهمت في تطوير العلاقات، سواء كانت علاقات صراع أم علاقات تعاون، وهذا التطور المستمر للعلاقات بين الدولتين، كان محط اهتمام ومتابعة للدارسين في مجال العلاقات الدولية والباحثين فيها.

---

<sup>42</sup> جلال الورغي: "الازمة الروسية-التركية، محددات التاريخ والجغرافيا والتطلعات لادوار جديدة"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، ديسمبر 2015، ص 4.

## المبحث الثاني: متغيرات العلاقات التركية - الروسية.

يقول عالم السياسة والعلاقات الدولية "كينيث والتز"، على مرّ التاريخ تغيّرت الدول في أشكال كثيرة، لكن طبيعة الحياة الدوليّة ظلت هي دوماً نفسها صراع وتعاون".<sup>(43)</sup>

إنّ العوامل التي سننتظر إليها هي متغيرات رئيسية، ومؤثرة، فالمتغيرات الموضوعية ببساطة هي الموارد والإمكانات الدائمة أو شبه الدائمة التي تتميز بها الدولة، والتي تكون أساس قوتها الكامنة، وتتنوع هذه المتغيرات على خمس مجموعات أساسية ذات تأثير مستمر أو شبه مستمر على سياستها الخارجيّة، وهي المتغيرات الجغرافية، والاقتصاديّة، والعسكريّة، والدينيّة، والتكنولوجيّة- العلميّة، وكذلك حركة المجتمع التي تتعلق بتأثير تجاربه التاريخيّة، وقيمه الثقافيّة، وطبيعة وحدته الداخلية، بالإضافة إلى هيكله الاجتماعيّة، وطبيعة نظامه الحكومي.<sup>(44)</sup>

إن دراسة متغيرات العلاقات التركية- الروسية وتحليلها تكمن في دراسة العلاقات بين الدولتين السلمية والصراعية، والعوامل المؤثرة في طبيعة هذه العلاقات، هنا علينا أن نقوم بوصف هذه العلاقات وتحليل المؤثرات التي طرأت عليها، واستشراف موازين القوى الفاعلة في المراحل الزمنية التي أشرنا إليها سابقاً، على أن إبراز المتغيرات السياسية لهاتين الدولتين يفرض علينا التوغل في القرن التاسع عشر وما قبله، كذلك دراسة التحولات في القرن العشرين بما يمثله من انتقال الصراع من الإقليمي إلى العالمي وتنافس الإيديولوجيات، وصولاً لفهم العوامل الفاعلة في اللعبة السياسية والتوازن الدولي الناتج عن استبعاد الحلّ العسكري الشامل والتركيز على الحروب السياسية والثقافية والاقتصادية نتيجة وجود أسلحة الدمار الشامل وتأثيرها الرادع في القرن الواحد والعشرين.<sup>(45)</sup>

<sup>43</sup> جوزيف ناي: المنازعات الدولية: مقدمة للنظرية والتاريخ، ترجمة: أحمد أمين الجمل ومجدي كامل، الجمعية المصرية للنشر والثقافة، القاهرة، 1997، ص 51.

<sup>44</sup> ثامر كامل الخرجي: " العلاقات التركية الروسية، من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل"، دار المنهل، الأردن، 2004، ص 117.

<sup>45</sup> ثامر كامل الخرجي: المرجع أعلاه، ص 107.

وفي سبيل دراسة أبرز المؤثرات الفاعلة في العلاقات التركيّة - الروسيّة من مرحلة بناء السلطنة العثمانيّة إلى عصرنا هذا، فقد عمدنا إلى تناولها في المراحل الأربع التي مرّت معنا في المبحث الأوّل من الفصل الأوّل.

### أولاً: المتغيّرات في العلاقات التركيّة-الروسيّة (1298-1917)م.

أثرت المتغيّرات الإقليميّة والدوليّة على العلاقات التركيّة-الروسيّة، فمنذ نشوء الدولتين وتطورهما إلى قوتين دوليتين مرهوبتي الجانب، وصولاً إلى انهيارهما في وقت متقارب، إثر التحولات الدوليّة، وظهور قوى أخرى بدأت تأخذ دورها على المسرح الدولي، اتسمت علاقاتهما بالصراع وفقدان الثقة، ولم تستطع الدولتان (تركيا وروسيا) إنهاء الخلافات السابقة، فالحلول للأزمات التي عصفت بعلاقات البلدين لم تصل إلى أكثر من تسوية مؤقتة تليها أزمة، وهكذا، فلم يتم محو آثار الماضي بل تم التعااضي عنها "المصلحة ظرفية استدعتها الأحداث والتطورات"، وذلك للعديد من العوامل التي أثرت بها.<sup>(46)</sup>

ساهم المؤثر الجغرافي وبشكل كبير في السياسة الخارجية بين البلدين، فالجبهة الشرقيّة لموسكو لم تشكل أي تهديد، بسبب البعد الجغرافي عبر الصحراء السيبيرية، وصولاً إلى القوتين القابعتين في أقصى الشرق (اليابان والصين)، في المقلب الآخر فإن أراضي السلطنة العثمانية الواسعة المتاخمة لروسيا القيصريّة من الجنوب، وكذلك سيطرة السلطنة العثمانية على البحر الأسود، وبحر إيجه، وبحر مرمرة، والبحر المتوسط، والممرات المائية بين هذه البحار (مضيق البوسفور والدردينيل)، كانت عائقاً أمام تقدم روسيا باتجاه الشرق الأوسط وأوروبا. ولم تستطع روسيا تنفيذ سياستها التوسعيّة باتجاه الجنوب والغرب، إلا في وقت متأخر، بسبب العائق التركي ونفوذه على هذه المناطق.<sup>(47)</sup>

<sup>46</sup> بوكشيشفكي: جغرافية الاتحاد السوفيتي، ترجمه: إلياس شاهين، موسكو: دار التقدم، دت، 1970،

ص 267.

<sup>47</sup> بوكشيشفكي: المرجع نفسه.

إنّ ما تقدّم دفع روسيا إلى التوجه للبحث عن ممرات بديلة للوصول إلى المياه الدافئة، تستغني فيها عن تحكّم الأتراك بحركتها التجارية، فقد خاضت حرباً ضارية مع الفرس، استطاعت معها في نهاية الأمر الوصول إلى منطقة أبعد في تبريز (مدينة داخل إيران وعلى بعد أكثر من 100 كلم من الحدود مع أذربيجان)، وعلى الرغم من هذا التوسع إلا أن القوات الروسية لم تتقدم أكثر في المنطقة، نتيجة المقاومة العنيفة من أهلها، وكذلك جغرافية المنطقة (جبال وصحاري) كانت من المعوّقات الخطيرة التي حطمت عزيمة الروس، ودفعتهم أكثر لسياسة التصارع مع تركيا. إلا أنّ هذه الجغرافيا كانت عبئاً على السلطنة العثمانية، فأراضيها الواسعة وموقعها وثرواتها، أصبحت محط أطماع الدول الاستعمارية، كما برز المتغيّر الدولي في العلاقات التركية- الروسية، حيث كان لافتاً التدخل البريطاني الفرنسي بحرب القرم (1853-1856م) لصالح العثمانيين ضد الروس، والتحكّم بسياسة الدولة العثمانية.<sup>(48)</sup>

كذلك فقد أثر العامل الديني على مسار العلاقات العثمانية - الروسية، فالعثمانيون وبعد انتصارهم على المماليك عام 1516م، في معركة مرج دابق، انتقلت الخلافة الإسلامية من العباسيين إليهم، وآلت إليهم زعامة العالم الإسلامي، وكان قد سبقها قبل ذلك فتح القسطنطينية عام 1453م، على يد السلطان محمد الفاتح، عاصمة الدولة البيزنطية ومركز الكنيسة الأرثوذكسية، فقد بدأت في هذه الأثناء، وفي عهد إيفان الثالث (1462-1505م) بالذات، مرحلة تحرر روسيا من حكم المغول وهزيمتهم عام 1480م، لتنتهي بذلك الحقبة المغولية وليعلن حرية الروس، وكان أي " إيفان الثالث" قد تزوج من ابنة إمبراطور قسطنطين باليولوج<sup>(49)</sup>، الذي دعم موقف روسيا في ظهورها كحامية لرعايا المذهب الأرثوذكسي<sup>(50)</sup>، وفي عهد إلكسي (1645-1676م) قام بدعوة البابا<sup>(51)</sup>، ومعظم ملوك أوروبا للتحزب ضد

<sup>48</sup> أحمد النعيمي: العلاقات التركية الروسية: دراسة في الصراع والتعاون، مرجع سابق، ص 17.

<sup>49</sup> قسطنطين الحادي عشر، آخر الأباطرة البيزنطيين (1448-1453م) نادى بالاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية، وخلال حكمه سقطت القسطنطينية في يد الأتراك عام 1453م، الموسوعة العربية الميسرة، ج 2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1965م، ص 1380.

<sup>50</sup> محمد البحراوي: مرجع سابق، ص 117.

<sup>51</sup> هو الحبر الأعظم والرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية، أسقف روما، وخليفة القديس بطرس، الموسوعة العربية الميسرة، المرجع السابق، ص 296 - 267.

العثمانيين الكفرة - بحسب اعتقادهم - داعياً العالم المسيحي إلى حرب صليبية لاجتثاث العثمانيين من القارة الأوروبية، وإن كانت الدعوة لم تجد آذاناً صاغية، إلا أنها تعتبر إرهابات أولية لتوجهات روسيا ونظرتها إلى العثمانيين.<sup>(52)</sup>

كانت الدولة العثمانية في هذه الفترة مرهوبة الجانب بفضل قوتها العسكرية، وساهم اتساع أراضيها وقدرتها على التحكم بكافة مفاصل الدولة، كل ذلك مكن الدولة العثمانية في بناء قوة اقتصادية، جعلتها تتخذ مواقف دولية من مركز القوة وعدم خشية خصومها، والصمود بوجه التهديدات الخارجية للدولة، فلقد قاد السلطان سليمان القانوني 13 حملة بنفسه وأرعب أوروبا بكاملها، حتى أنه (القانوني) وافق على وضع بعض ملوك أوروبا تحت حمايته بوصفه أباً معنوياً لهم ( الملك زابوليا 1529م، والملك فرديناند 1533م)، ووقع معاهدات مع ملوك أوروبا تنص على دفع ضرائب للسلطان العثماني، إضافة إلى شروط أخرى تتعلق بمخاطبة السلطان العثماني، وقد وافق جميع ملوك أوروبا على هذه المعاهدات. إلا أن هذا الفائض من القوة، قابله من الجانب الآخر محاولات القياصرة الروس بناء قوتهم ومحاربة العثمانيين في سبيل الوصول الى المياه الدافئة، ولاسيما في عهد بطرس الأكبر (1682-1725م).<sup>(53)</sup>

لقد أولى السلاطين العثمانيين العلم اهتماماً كبيراً في مختلف الميادين، ولاسيما في التطور العلمي في صناعة الأسلحة والسفن، فعلى سبيل المثال لا الحصر، فحتى العام 1700م، كانت المدفعية العثمانية هي أقوى مدفعية في العالم،<sup>(54)</sup> ما جعل منها دولة لها تأثير قوي في علاقاتها الدولية، ولاسيما مع جارتها روسيا، وكان لهذا التطور الأثر الكبير في حذو روسيا حذوها، فأنشأ بطرس الأكبر كليات لتعليم الناشئة الحديثة ما يلزمهم في خدمة الوطن، حاذياً حذو جرمانيا وغيرها من الممالك المتمدنة، فبنى عشرات الكليات لتعليم السياسة الخارجية، ومبادئ الحرب وإدارتها، وأحضر المعلمين من الخارج، وأرسل أربعين شاباً إلى (كوتغسبرغ)

<sup>52</sup> Kate Fleet: The Cambridge History of Turkey, Volume 1: Byzantium to Turkey 1071-1453, Cambridge University Press, 2009.p297.

<sup>53</sup> يلماز أوزونونا: مرجع سابق، ص 284.

<sup>54</sup> أحمد الببيلي: "إنجازات حضارية للعثمانيين"، سوريا نيوز، دمشق، 2007/10/7، نشر المقال على الرابط [http://syria-news.com/readnews.php?sy\\_seq=63199](http://syria-news.com/readnews.php?sy_seq=63199) (تاريخ الدخول: 16/3/2017).



ليتعلموا إدارة السياسة والمال، كما سعى بطرس جاهداً للإفادة من زيارته للموانئ الأوروبية، وخبراته الميدانية، في إنشاء أسطول عظيم يضاهاى الأساطيل الأوروبية القوية آنذاك.<sup>(55)</sup>

إذاً فالمتغير الجغرافي، والعامل الديني، وظهور المتغير الدولي (تدخل الدول الأوروبية)، وكذلك متغير القوة العسكرية والاقتصادية، كل هذه المتغيرات يمكن رصدها في مرحلة ما قبل سقوط السلطنة العثمانية، إضافة الى بعض المتغيرات الثانوية والمؤثرة في العلاقات التركية - الروسية، كالقوميات والإثنيات المتعددة، المستقرة في أرجاء السلطنة العثمانية، والاستقرار الداخلي، ونشوء الأحزاب والجماعات الضاغطة.

### ثانياً: المتغيرات في العلاقات التركية-الروسية (1917-1991)م.

لعلّ المتغير الأبرز الذي أثر على العلاقات التركية - الروسية في هذه المرحلة، وجعلها محطة تاريخية مهمة في العصر الحديث، وفاعلاً جديداً في السياسات الخارجية للدول والعلاقات بينها، هو العام 1917م تاريخ انتصار الثورة البلشفية وإقامة النظام الاشتراكي، الذين أدخلوا البلاد في أزمت طاحنة بسبب انخراطهم في الحرب العالمية الأولى، وتبني الثورة للفكر الماركسي في السياسة والاقتصاد، وصولاً لإنشاء الاتحاد السوفياتي، وحلف وارسو.

عام 1917م، هو التاريخ الذي كانت تعاني فيه السلطنة العثمانية من انهزامها في الحرب العالمية الأولى، وعلى أثرها قاد مصطفى كمال أتاتورك عام 1919م، حركة شعبية لتحرير تركيا من الحلفاء، ليتم بعدها في عام 1923 إعلان قيام الجمهورية التركية على منوال الدول الغربية، واعتماد العلمانية منهاجاً في بناء الدولة التركية الحديثة. واستمرت المؤسسة الكمالية العلمانية بصعودها على حساب التيار الإسلامي الى حين تأسيس الحزب الديمقراطي عام 1946م، ووصول عدنان مندريس وجلال بايار لمنصب رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية،

---

<sup>55</sup> فولتير: تاريخ بطرس الأكبر، ترجمة أحمد الطهطاوي تحت مسمى الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر القاهرة، مطبعة بزلاق 1966م، ص 52.

ظهرت في الأعوام اللاحقة بعض التنظيمات والأحزاب التي تتبنى الإسلام، فتمّ قمعها وحظرت معظم الأحزاب التي تبنت الخطاب الإسلامي بوصفه مدخلاً للممارسة السياسية.<sup>(56)</sup>

بالعودة الى واقع الدولتين في هذه المرحلة، فإنهما وعلى مدى قرون خلت، قد تصارعتا في سياق التنافس على المصالح الحيوية لكلّ منهما، عززت تلك القوة، العوامل الدينيّة والثقافيّة والاقتصاديّة، إلا أن الأحداث المتسارعة غيرت المؤثرات والفواعل في العلاقات التركيّة – الروسيّة، فروسيا الأرثوذكسية تحولت إلى الشيوعيّة ونحّت الكنيسة جانباً، وبنّت علاقاتها الدولية على التكتلات التي تبنت الأفكار الشيوعيّة، وحاربت من أجلها، وأصبحت عضواً في الساحة الدوليّة، وتقاسمت الهيمنة الدوليّة مع الولايات المتحدة ما بين 1945-1991م. بالمقابل، وكما أشرنا سابقاً، فإن الأتراك ألغوا الخلافة الإسلاميّة، في إشارة واضحة إلى عدم اعتبار الإسلام مصدراً رئيسياً للحكم، واستبداله بالنظام الرأسمالي العلماني، وتبنوا الأفكار العلمانيّة، متوجهين بذلك نحو إقامة علاقاتٍ وطيدةٍ مع الغرب، مع أن روسيا حرصت بعد تسلم أتاتورك الحكم في تركيا، على إقامة علاقاتٍ متينةٍ معها، وقدمت المساعدات لمساندة تركيا في النهوض اقتصادياً، إلا أن تركيا أكدت على أن علاقتها بروسيا لها الطابع السياسي الصرف، وعدم صلتها لا من قريب أو بعيد بالشيوعيّة في تركيا.<sup>(57)</sup>

في العام 1922م، أعلن قيام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية من أربع دول، وبين عامي 1924-1940م، اكتمل الاتحاد السوفياتي، وأصبح أكبر دولة من حيث المساحة، وخاض الحرب العالميّة الثانية إلى جانب الحلفاء، وخرج منها منتصراً وقوياً، وأخذ ستالين بالضغط على تركيا من أجل سيطرة مشتركة على المضائق، وإقامة قواعد عسكرية في تركيا، وقد أدت مقاومة تركيا لهذه الضغوط والمطالب، إلى مزيد من الضغط الروسي من أجل اندلاع ثورةٍ شيوعيّةٍ في تركيا.<sup>(58)</sup>

---

<sup>56</sup> Angel Rabasa ,F. Stephen Larrabee: The Rise of Political Islam in Turkey, RAND Corporation, Arlington, 2008, p.36-42.

<sup>57</sup> حنا عزوبهان: مرجع سابق، ص6.

<sup>58</sup> جيفري مانكوف: "رجب طيب أردوغان وفلاديمير بوتين في مؤتمر صحفي في اسطنبول"، نون بوست، 2016/2/28، <http://www.noonpost.org> . (تاريخ الدخول: 16/3/2017).

إنّ استعمال مؤثر القوّة من قبل روسيا على تركيا، وممارسة الضغوط لتحويل علاقات تركيّة عن مسارها ودفعها باتجاه المعسكر الشرقي، واستشعار تركيا الخوف من روسيا - فأراضي روسيا اليوم كانت بالأمس مستعمرات تركيا - دفع تركيا لفتح قنوات التواصل والتعاون مع الغرب أكثر، والانضمام إلى المعسكر الغربي، وأصبحت من العام 1945م وحتى العام 1991م، حبيسة علاقة مع الولايات المتحدة، التي كانت تسعى لوضع استراتيجية لاحتواء الاتحاد السوفياتي، على خط يمتد من النرويج إلى باكستان، وكانت تركيا عنصراً أساسياً بسبب سيطرتها على مضيق البوسفور.<sup>(59)</sup>

في هذه الفترة برزت قوّة روسيا على المستوى الدولي، من خلال انضمام الاتحاد إلى عصبة الأمم في العام 1934م، التي حلّت محلها في عام 1945م منظمة الأمم المتحدة، وأصبح الاتحاد السوفياتي إحدى الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، مع امتلاك حق النقض (الفيتو). وفي العام 1949م، صنع الاتحاد السوفياتي أول قنبلة ذرية، وأنشأ منظمة " الكوميكون" الاقتصادية لتوطيد سيطرتها على الدول الاشتراكية، رداً على مشروع مارشال الأميركي لدعم اقتصاديات دول أوروبا الغربية التي دمرتها الحرب العالميّة الثانية، وفي هذه المرحلة أنهى الاتحاد السوفياتي تحالفه بالغرب و دشّن مرحلة "الحرب الباردة" معه.<sup>(60)</sup>

من جهتها ساهمت ثورة الاتصالات التي شهدها القرن العشرين في تحريك الشعور القومي والاثني والديني والعرق في روسيا وتركيا، ودفع هذا الشعور إلى مطالبة كل فريق بحقوقه داخل البلد الآخر، ما أدى بشكل كبير إلى إضعاف البلدين نتيجة للاضطرابات الداخليّة الناتجة عن تحرك هذه الجماعات. كما شهد القرن العشرين ثورة علمية وتقنية كانت رائدتها أمريكا والدول المتحالفة معها، ونجاحهم على المستوى الاقتصادي، ورفع مستوى المعيشة لشعوبهم، في حين لم تستطع روسيا اللحاق بهم، فتخلفت عنهم، ما أثار تأثيراً واضحاً على بداية أفول المعسكر الشرقي، وصولاً إلى تفكك الاتحاد السوفياتي، وسيطرة القطب الواحد وبداية مرحلة جديدة من

<sup>59</sup> فريدمان جورج: استراتيجية تركيا ، مرجع سابق، ص 1.

<sup>60</sup> "الاتحاد السوفياتي من الهيمنة الى الافول"، موسوعة الجزيرة، الدوحة، 2016/10/20، مقال نشر على الرابط الالكتروني التالي: <http://www.Aljazeera.net/encyclopedia/countries> (تاريخ الدخول: 16/3/2017).

السياسات الدولية. ومع نهاية المشهد الشرقي، كانت تركيا لا تزال منضوية في تحالفها مع المعسكر الغربي، إلا أنها لم تستطع أن تواكب ثورته العلمية والتقنية بالشكل المطلوب.<sup>(61)</sup>

تميّزت هذه المرحلة بتقدم المؤثرات الدوليّة على الإقليميّة، وظهور قوى جديدة مؤثرة على الساحة الدوليّة، لتحل محل القوى التقليدية، والتي أخذت مكانها من خلال الهيمنة على القرارات الصادرة عن المنظمات الدوليّة. ومن هنا، فإنه يمكن القول أنّ هذه المؤثرات في العلاقات التركيّة- الروسيّة لم تترجم إلى حروب أو صراعات كبرى كالتّي حصلت في الحقبة الماضيّة.

### ثالثاً: المتغيّرات في العلاقات التركيّة-الروسيّة (1991 - 2000)م.

إذا كان العامل القومي قد لعب دوراً رئيسياً في انهيار الاتحاد السوفياتي، فهناك أيضاً عوامل أخرى مثل العامل الاقتصادي الذي ساهم بشكل كبير في إنهاء الإتحاد، فقد أنهك سباق التسلح القدرات الإقتصاديّة للاتحاد السوفياتي، الذي كان ينفق نسبة كبيرة من ميزانيته على الصناعات الحربيّة والجيش، فضلاً عن تورطه في حرب أفغانستان. وفي الواقع بذلت السلطة في عهد غورباتشوف الكثير من الجهد لمعالجة المشاكل الاقتصاديّة والقوميّة والدينيّة، لكن لم يسعفها الوقت، لأنها جاءت متأخرة، ويشير الباحثون أيضاً إلى دور الصراع على السلطة بين يلتسن وغورباتشوف في انهيار الاتحاد السوفياتي.<sup>(62)</sup>

في الجهة المقابلة، فقد عانت تركيا من اضطرابات سياسيّة نتيجة تدخل العسكر في شؤون البلاد، ومع انقلاب 1980 م، ومن خلال دستور 1982م، أحكمت المؤسسة العسكريّة قبضتها على الدولة والمجتمع، وعززت من نفوذها العسكري داخل الدستور، ومنذ ذلك الحين بدأ حراك ديموقراطي قوي ومتسارع على يد الرئيس الراحل تورجوت أوزال، الذي سلك القنوات الشرعيّة للتغيير والإصلاح، وتعزز ذلك مع سقوط الاتحاد السوفياتي، وهيمنة النظام الغربي الرأسمالي،

<sup>61</sup> "الاتحاد السوفياتي من الهيمنة الى الافول"، المرجع نفسه.

<sup>62</sup> وليد بدران: "كيف سقط الاتحاد السوفياتي"، هافينغتون بوست عربي، بريطانيا، 2017/2/9 مقال نشر على [http://www.huffpostarabi.com/2017/01/25/story\\_n\\_14388002.html](http://www.huffpostarabi.com/2017/01/25/story_n_14388002.html): الإلكتروني التالي: (تاريخ الدخول: 17/3/2017).

فانفتحت تركيا على العالم الخارجي، وأخذت تندمج مع مؤسساته الإقليمية والدولية، وتلاقت التيارات الفكرية والسياسية المختلفة، وقفز الحراك الاجتماعي والسياسي قفزات طفوية متتابعة خلال العقدين الأخيرين.<sup>(63)</sup> فمسيرة التحول الديمقراطي هذه منحت معها القوى السياسية ولاسيما الأحزاب الإسلامية، الكثير من التجارب، صقلت من خلالها خبرتها وأدخلتها الى الحياة السياسية التركية، لتحل بعد فترة مركز الصدارة فيها.

إذاً ففي متغيّر التركيبة الدولية، فقد سقط الإتحاد السوفيتي وتحول النظام الدولي من ثنائي القطبية إلى أحادي القطبية، حيث هيمنت الولايات المتحدة بما تمتلكه من إمكانيات عسكرية واقتصادية وسياسية ضخمة على مجمل السياسة الدولية. وبدأت ملامح التدخل الأمريكي في العراق بعد غزوة الكويت، وقيادة الولايات المتحدة تحالفاً دولياً لإنهاء الاحتلال، وما نتج عنه من سقوط نظام صدام حسين لاحقاً، ثم الانسحاب الأمريكي من المنطقة، الذي أدى إلى نشوء فراغ أمني وضعف في قدرة الدولة على المحافظة على سيادة العراق، هذا الفراغ سعت كل من روسيا وتركيا إلى ملئه، ولاسيما في الشمال والوسط العراقي، وكذلك الصد الأوروبي المتكرر لتركيا، في عملية انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي، رافق ذلك الصعود التركي في المجالين الاقتصادي والسياسي، كل تلك المؤثرات أعطت تركيا هامشاً أكبر في تحركها على الساحة الدولية. هذا الواقع الجديد، أعطى الأتراك الحرية في التفكير في علاقات أخرى، وفتح آفاق جديدة من التعاون مع دول لم تكن تتطلع إليها في الماضي بحكم تحالفاتها السابقة، وتطوير علاقاتها الدولية، ودفعها إلى التحرك شمالاً باتجاه روسيا، وشرقاً باتجاه الشيشان والقوقاز، وبلاد البلقان ومنطقة الشرق الأوسط.<sup>(64)</sup>

بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، أصبحت روسيا الاتحادية تتحكم في خطوط نقل النفط وغاز جمهوريات آسيا الوسطى، بحكم مرور خطوط الأنابيب القادمة من هذه الجمهوريات عبر الأراضي الروسية إلى أوروبا، الأمر الذي يجعل في استطاعة موسكو فرض شروطها وأسعارها

<sup>63</sup> طارق عبد الجليل: العسكر والدستور في تركيا من القبضة الحديدية. الى دستور بلا عسكر، مصر، دار النهضة للنشر، 2012، ص 14-15.

<sup>64</sup> محمد سليمان الزواوي: بحر النار تصاعد محفزات الصراع شرق المتوسط، ط1، مركز البيان للبحوث والدراسات، مصر، 2015، ص 85-86.

والتحكم في مسار هذه الخطوط وما تحتويه. ولهذا السبب شرع الأوروبيون منذ منتصف التسعينيات في التقرب لهذه الجمهوريات، ولاسيما منها جمهوريات آسيا الوسطى وبحر قزوين "كازاخستان وتركمانستان وأذربيجان" الذين يملكون احتياطات هائلة من النفط والغاز بهدف إقناعهم بتحويل نقل إنتاجهم عبر خطوط جديدة لا تمر عبر الأراضي الروسية.<sup>(65)</sup>

إن الجغرافيا التركيّة، ما زالت حاضرة في الصراع التركي - الروسي وتتحكم بالعلاقات الدوليّة وتلعب دوراً مؤثراً فيها، فالدولتان تعانيان من اقتصاد متعثر، فالعامل الاقتصادي في العلاقات التركي - الروسي تقدم على سائر العوامل الأخرى نظراً لأهميته وحاجة كل دولة إلى الأخرى، وتغاضى عن الكثير من الخلافات الناشئة بين الدولتين، فحاجة روسيا إلى الممر التركي لضرورتها الاقتصادية ( النفط والغاز والقمح والصناعات العسكرية...)، والتبادلات التجارية مع أنقرة، يقابله من الجانب التركي الحاجة إلى سوق روسيا التجاري الواسع أمام البضائع التركية، إضافة إلى مصلحة الدولتين في ليّ نزاع الأوروبيين، وحاجتهم لاستمرار النفط والغاز الروسي عبر الأراضي التركية.<sup>(66)</sup>

أخيراً يمكن القول إنه بالرغم من العديد من المعوّقات والخلافات الحاصلة بين الدولتين، إلا أن روسيا وتركيا أسستا لبداية شراكة اقتصادية حقيقة بينهما.

#### رابعاً: المتغيرات في العلاقات التركيّة-الروسية (2000-2016)م.

تكتسب اليوم العلاقات التركيّة - الروسية أهمية كبيرة، بسبب وجود العديد من المؤثرات الإقليمية والدوليّة، أهمها التغيير في بنية النظام الدولي، وتحوله من القطبية الأحادية إلى وجود عدد من الفاعلين الدوليين، والمؤثرين على النظام الإقليمي، حيث تتقاطع نفوذ الدولتين، وحيث تبرز تركيا فيه كلاعب مركزي جديد، تطمح أن تكون فيه دولة مركزية فاعلة، وذلك مع صعود

---

<sup>65</sup> صلاح الصيفي: "بتترول بحر قزوين وصراع القوى الكبرى"، الإسلام اليوم، برلين، 2007/6/5، مقال نشر على الرابط الإلكتروني التالي: <http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-58-9444.htm>، (تاريخ الدخول: 17/3/2017).

<sup>66</sup> محمد سليمان الزواوي: بحر النار تصاعد محفزات الصراع شرق المتوسط، مرجع سابق، ص 88.

حزب العدالة والتنمية للحكم عام 2002، والذي عبرت عنه رؤية السياسة الخارجية التركية، بقيادة مهندسها ووزير خارجيتها السابق أحمد داود أوغلو في كتابه العمق الاستراتيجي.<sup>(67)</sup>

بدأت تركيا تلعب دوراً مهماً في السياسات الدولية، وتحاول أن تتمدد في محيطها، مدعومة بنمو اقتصادي، وضعها ضمن أفضل الاقتصاديات في العالم، وضمن مجموعة العشرين الأكثر تأثيراً، وبدأت سعيها لاستعادة نفوذ الامبراطورية العثمانية السابقة، وتوقع لها أحد المحللين الإستراتيجيين وهو جورج فريدمان في كتابه "المائة عام القادمة"، أن تستعيد تركيا قيادتها في مناطق نفوذها السابقة أيام الإمبراطورية العثمانية.<sup>(68)</sup>

هذه المتغيرات والمؤثرات التركية التي ذكرناها، قابلها على الجانب الروسي وصول الرئيس فلاديمير وفيتش بوتين الى رئاسة الحكم في روسيا العام 2000م، وهو الضابط القادم من جهاز المخابرات الروسية، ففي حملته الانتخابية 2012م تحدث عن (روسيا الحديثة)، وهو المصطلح الذي أطلقه القيصر الأكثر شهرة في التاريخ الروسي "بطرس الأكبر على الأراضي التي ضمها بالقوة لدولته مطلع القرن الثامن عشر، و بذلك حوّل روسيا إلى إمبراطورية وأطلق على نفسه لقب الإمبراطور بيتر الأكبر.<sup>(69)</sup> في إشارة إلى أن ميل الرئيسين لاستحضار التاريخ عاملاً حاسماً في إدارة علاقاتهما بالدول الأخرى.

روسيا وتركيا أرادتا النهوض وأخذ مكانتهما على الصعيد الدولي، في منطقة تمزقها الصراعات الدولية والطائفية، وتتناحر فيها القوميات والإثنيات، تتدخل فيها القوى الإقليمية و الدولية الآتية من خلف البحار في محاولات لإعادة رسم خرائط جديدة للمنطقة، إلا أن الدولتين وجدتتا وسيلة لتحقيق أهداف أكبر من خلفهما في العديد من الملفات المتباينة، رسمت فيها روسيا وتركيا معاهدات اقتصادية طويلة الأمد، ولاسيما أنّ المؤتمر الدبلوماسي لعب دوراً كبيراً

---

<sup>67</sup> محمد سليمان الزواوي: مرجع سابق، ص8.

<sup>68</sup> George Friedman: The Next 100 years, A Forecast for the 21 st Century, Doubleday (January27, 2009) P: 203.

<sup>69</sup> وضاح خنفر: "الأزمة التركية الروسية بين مرارات التاريخ وضرورات الجغرافيا"، هافينغتون، بريطانيا، 2015/12/3، مقال مأخوذ من الرابط: <http://www.huffpostarabi.com/wadahkhanfar/>، (تاريخ الدخول: 17/3/2017). [\\_2827\\_b\\_8706176.html](http://www.huffpostarabi.com/wadahkhanfar/2015/12/3/2827_b_8706176.html)

في حل الخلافات المتشعبة بينهما، فتركيا تغض الطرف عن تدخلات روسيا العسكرية في محيطها (التدخل الروسي في سوريا مثلاً)، وروسيا وقفت إلى جانب تركيا في محاولات الانقلاب على حليفها أردوغان وإزاحته عن السلطة (التنديد الفوري من قبل روسيا بمحاولة الانقلاب).<sup>(70)</sup>

في الأزمة السورية، التي اندلعت في 15 آذار من العام 2011م ضد النظام السوري المتحالف مع روسيا، والتي كادت الأزمة السورية أن تطيح بالعلاقات التركية - الروسية، حيث أسقطت تركيا طائرة عسكرية روسية على الحدود السورية التركية، وقد اعتبرها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين طعنة في الظهر من قبل حلفائه الأتراك، وقام بفرض عقوبات على تركيا طالت مجملها القطاع الإقتصادي، إضافة إلى قيام راسة هيئة الأركان الروسية بقطع علاقاتها العسكرية مع أنقرة، لكن سرعان ما تدارك الرئيسان خطورة الأمر، فقدمتا التنازلات السريعة والمتبادلة، والقيام بخطوات استراتيجية، وعادت علاقات التطبيع بين البلدين عام 2016م، والتي قامت على تغليب المنفعة والعلاقات الاقتصادية على الخصام العسكري.<sup>(71)</sup>

في النهاية صحيح أن العلاقات بين البلدين منذ نشأتها وصولاً إلى يومنا الحاضر قد مرّت بالكثير من التطورات التاريخية، والتغيّرات المحليّة، والإقليميّة، والدولية، أثرت بشكلٍ أو بآخر على توجهات السياسات الخارجية لكلٍ من البلدين، حيث اتسمت هذه السياسات بالتقارب حيناً والتباعد حيناً آخر، إلا أن هناك مجموعة من المحددات الداخلية والخارجية، ساهمت أيضاً بشكلٍ كبيرٍ وفَعَالٍ في رسم وبلورة السياسات الخارجية لكلٍ منهما.

---

<sup>70</sup> أحمد دياب: أبعاد الصراع التركي - الروسي وتداعياته: مجلة السياسة الدولية، 2016، ص1، مقال نشر على موقع مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية: <http://rawabetcenter.com/archives/18561> (تاريخ الإطلاع على المقال 2017/3/24).

<sup>71</sup> يوسف، جاد: "بوتين: اسقاط الطائرة "طعنة في الظهر"، صحيفة الوسط، البحرين، العدد 4826، 23 نوفمبر 2015، ص 24.



## الفصل الثاني: محدّدات العلاقات التركيّة - الروسيّة.

إن الدولة التي تمتلك الأساس الصحيح لبناء سياسة خارجية، فإنها تكون فاعلاً إقليمياً ودولياً أما التي تفتقد لهذا للأساس، فإنها تكون محل تأثر بالآخرين لا مصدراً للتأثير فيهم.<sup>(72)</sup> إن رسم السياسة الخارجية للدول يرتبط بمجموعة من المحددات تفرضها معطيات البيئتين الداخليّة والخارجيّة، فالمحددات الداخليّة تتنوع بدءاً من الموقع الجغرافي ودوره في تحديد أهمية الدولة، إلى تنوع الموارد الطبيعيّة، وتوفرها الذي يعطي للدولة قوة اقتصادية وثقة في النفس في حال استخدامها بشكل جيد، كما تلعب المحددات الشخصية والسياسية الدور الهام في توجيه السياسة الخارجية، وفقاً لأطر فكرية أو إيديولوجية، وحتى ثقافية وحضارية وتاريخية. أما المحددات الخارجية، فهي تتراوح بين المحددات الإقليمية التي ترتبط بالحفاظ على المصالح الاقتصادية، والسياسية، وحماية الدولة لأمنها القومي، وأخرى دولية ترتبط بالنسق الدولي وتفاعل الدول وتربطها مع بعضها البعض، وما ينتج عنها من التزامات قانونية وأدبية، كل ذلك يساهم في توجيه السياسة الخارجية للدول.<sup>(73)</sup>

في هذا الفصل سوف نعالج محدّدات العلاقات التركيّة - الروسيّة في مبحثين، يتناول المبحث الأول منه المحددات الداخليّة للعلاقات التركيّة - الروسيّة، بينما يتناول المبحث الثاني المحددات الخارجية والتي تتراوح بين الإقليمية والدولية، وذلك في مرحلة ما بعد العام 2000م، ونأخذ هذه المحددات بإيجاز واختصار.

<sup>72</sup> زهير بوعمامة: سياسة إدارة الرئيس بيل كلينتون في إعادة بناء نظام الأمن في أوروبا ما بعد الحرب الباردة، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007-2008، ص 63.

<sup>73</sup> زايد عبيد الله مصباح: السياسة الخارجية، ط2، دار التال، طرابلس، 1999، ص 129.

## المبحث الأول: المحددات الداخلية للعلاقات التركية - الروسية.

إن المحددات الداخلية للعلاقات التركية - الروسية، هي التي تقع داخل إقليم الدولة وبالتكوين الذاتي والبنوي لها، والتي من خلالها تتمكن الدولة من صنع سياستها الخارجية، وتحدد أهدافها وتوجهاتها في إقامة علاقاتها الدولية. لذلك فإن امتلاك أي دولة لبيئة داخلية متماسكة وقوية، يعني بالضرورة أنها قادرة على صنع سياسة خارجية مؤثرة في محيطها الإقليمي والدولي، إلا أن افتقادها لهذا التماسك سيقود إلى عدم قدرتها على التأثير بالفاعلين الآخرين على الساحة الدولية والإقليمية.

وانطلاقاً مما تقدم سوف نتحدث عن أهم المحددات الداخلية للعلاقات التركية-الروسية والتي تشمل المحددات التالية:

### أولاً: المحدد الجغرافي.

بعد زوال الاتحاد السوفياتي، أصبحت مساحة روسيا الاتحادية 17,075,400 كم مربع، وهي بذلك أكبر الدول من حيث المساحة وعدد السكان، وتضم روسيا الاتحادية ثلاثة أرباع أرض الاتحاد السوفياتي السابق ونصف سكانه، وتمتد الأراضي الروسية في آسيا من أقصى شرق القارة الآسيوية إلى أقصى غربها، مواصلة امتدادها في أوروبا، وهي بهذا الامتداد تمثل ما يمكن تسميته بسقف القارة الآسيوية، إذ أنها تحتل أقصى الجزء الشمالي منها<sup>(74)</sup>.

تضم روسيا حالياً حوالي 83 كياناً فيدرالياً، يحدها من الشمال المحيط المتجمد الشمالي وأبحره الخمسة المتفرعة عنه، ومن جهة الشرق المحيط الهادئ وبحر أخوتسك واليابان، ومن الجنوب يحدها كل من كوريا الشمالية والصين ومنغوليا وكازخستان، إضافةً إلى جورجيا

<sup>74</sup> منى محمد دردير: السياسة الخارجية الروسية تجاه إيران خلال الفترة (2000-2011)، رسالة ماجستير جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، 2013، ص: 31

وأذربيجان والبحر الأسود، أما من الغرب فلها حدود مشتركة مع كلٍ من النرويج وفنلندا وإستونيا ولااتفيا وليتوانيا وبولندا (عن طريق كالينينغراد سكايا أوبلاست)، كما لها حدود مشتركة مع بلاروسيا وروسيا البيضاء وأوكرانيا<sup>(75)</sup>.

في المقابل، تحتل تركيا موقعاً جغرافياً مهماً، فهي تطلّ على البحار التالية: البحر الأسود، والبحر الأبيض المتوسط، وبحر إيجه، وتضم بحر مرمرة، وتقع تركيا في آسيا الصغرى، يحدّها من الشرق كل من إيران وأرمينيا، ومن الغرب بلغاريا واليونان، ومن الشمال جورجيا وشواطئ البحر الأسود، ومن الجنوب العراق وسوريا وشواطئ البحر الأبيض المتوسط بالإضافة الى الشواطئ البحرية مع جزيرة قبرص، وتبلغ مساحة الأراضي التركيّة حوالي 783,562 كلم مربع.<sup>(76)</sup> وتتضح الأهميّة الجغرافيّة للدولة التركيّة، حيث تتوسط قارات العالم القديم الثلاث: آسيا وأوروبا وإفريقيا، فقد منحها هذا الموقع الجغرافي المميز منذ القدم قدرة على التفاعل الحيوي في المحيط الإقليمي، بحيث تؤثر وتتأثر بالعناصر السياسيّة والاجتماعية والاقتصاديّة والثقافيّة القائمة على تخومها من الدول والشعوب المجاورة لها. وترجع أهميّة الموقع الجغرافي التركي بسبب المضائق التي تتمثّل في البوسفور في الشمال الشرقي، والدردينيل الواقع في الجنوب الغربي، ويتوسطها بحر مرمرة، فوصول السفن الروسيّة التجاريّة والحربيّة الى المياه الدافئة، محكوم بالممرّ الإجمالي عبر المضائق التركيّة.<sup>(77)</sup>

في العام 1774 م، تمكّن السوفييت من كسر الطوق على الشواطئ الشماليّة للبحر الأسود، الذي كان محتكراً من قبل تركيا عبر معاهدة كوجيك كنارجي، وبعد الحرب العالميّة الأولى تم وضع المضائق تحت إشرافٍ دولي، كما تحاول روسيا منذ أوائل تسعينيات القرن الماضي الاستفادة من الموقع الجغرافي لتركيا، كونها ممراً تجارياً نحو المتوسط وأوروبا، ولاسيما في مجال الغاز الطبيعي، حيث أن 50% من تجارتها تمر عبر الممرات التركيّة.<sup>(78)</sup>

<sup>75</sup> راجع خريطة روسيا في الملحق رقم 1.

<sup>76</sup> راجع خريطة تركيا في الملحق رقم 2.

<sup>77</sup> فتحة محي الدين طه أحمد ، مرجع سابق ، ص 8.

<sup>78</sup> أحمد النعيمي: تركيا وحلف شمال الأطلسي، المطبعة الوطنية، مرجع سابق، ص 44 - 47.

مما تقدّم نرى أنّ موقع تركيا الجغرافي جعلها دولة ذات أهميةٍ بالغةٍ في محيطها الجغرافي، وسمح لها تقلّد دور إقليمي مهم، جعلها تحدّد مسار علاقاتها مع دول الجوار، ولاسيما روسيا التي رأت أنه من مصلحتها الاستراتيجية، الإبقاء على الحد الأدنى من العلاقات الدوليّة مع هذه الجارة المشاكسة، وتجدر الإشارة الى أنّ الموقع الجغرافي المميّز ليس كافٍ لوحده في تحديد دور فاعل للسياسة الخارجيّة، دون توافر المحدّدات المؤثرة الأخرى.

## ثانياً: الموارد الطبيعيّة.

تعدّ روسيا أغنى دول العالم من حيث مواردها الطبيعيّة، إذ تملك أكبر احتياطي من الغابات في العالم، والبحيرات فهي تحوز على ربع كمية المياه العذبة في العالم، وبها إمكانات هائلة من الطاقة الكهرومائيّة. كما تزخر بكميات هائلة من المعادن، مثل الفحم والحديد والقصدير والرصاص، والألماس والذهب والفضّة، ومعادن أخرى استراتيجية عديدة، وهي غنيّة بالغاز الطبيعي والنفط. أما تركيا فتزخر بموارد عديدة للثروة الطبيعيّة أهمها: الفحم الحجري لا سيما فحم الليجنيت، والحديد الخام، والنحاس والكروم، والأنتيمونيا، والزنّيق، والذهب، والباريت، والبورات (أحد أملاح حمض البوريك)، وسلستايت (الزرقا)، والصنفرة والكبريت، والحجر الجيري، وحجر الخفان، والأحجار الكريمة، والكبريت، والطفلة، والأراضي الزراعيّة، والطاقة المائيّة التي تعتبر عنصراً مهماً لها فهي تملك ما يقارب 26 حوضاً مائياً، وفيها أيضاً أكثر من 120 بحيرة طبيعيّة و 579 بحيرة صناعية، بالإضافة الى العديد من الأنهار مثل دجلة والفرات.<sup>(79)</sup>

خلال العقدين الماضيين بدأت تركيا وروسيا، باستثمار مواردهما الطبيعيّة بأفضل شكلٍ ممكنٍ في سبيل بناء "روسيا القوية" و"تركيا الحديثة"، لا سيما في بداية القرن الحادي والعشرين، وأثّرت على تاريخ العلاقات بين الدولتين، وساهمت في نقل العلاقات من الصراع والمواجهة إلى

<sup>79</sup> الطبيعة الجغرافية لتركيا وروسيا، موسوعة المقاتل الإلكترونيّة،

[http://www.mouqatel.com/openshare/behoth/dwal-modn1/Russia,turkey/sec02.doc-](http://www.mouqatel.com/openshare/behoth/dwal-modn1/Russia,turkey/sec02.doc-cvt.htm)

[.cvt.htm](http://www.mouqatel.com/openshare/behoth/dwal-modn1/Russia,turkey/sec02.doc-cvt.htm) (الإطلاع على المقال:2017/3/18).

بناء علاقات استراتيجية، مبنية على مصالح اقتصادية (لتسويق الموارد الطبيعية وفتح أسواق استهلاكية للتصريف، على سبيل المثال).<sup>(80)</sup>

لقد ساهمت الموارد الطبيعية المتوفرة في روسيا وتركيا ولونسب متفاوتة في استقلاليتها الاقتصادية، ومكنتهما من لعب دورٍ فاعلٍ ومؤثرٍ في محيطهما الإقليمي والدولي، كما ومكنتهما كذلك من التأثير على السياسات الخارجية للدول الأخرى، واتخاذ مواقف دولية تتواءم مع توجهات سياستها الخارجية.

### ثالثاً: المحدد البشري.

يؤثر العامل البشري في مسار العلاقات الدولية، باعتباره عنصراً مهماً في بناء القوة العسكرية للدول، لما لها من تأثيرٍ في تحقيق أهداف السياسة الخارجية، بالنسبة الى تركيا فقد شهدت زيادة ملحوظة في عدد سكانها الذي بلغ حوالي 70,950,000 نسمة عام 2006م، ليبلغ عام 2016م حوالي 79,814,871 نسمة.<sup>(81)</sup> أما روسيا فقد شهدت زيادة في عدد سكانها من 142,800,000 نسمة عام 2006 إلى 146,519,759 نسمة عام 2016 م.<sup>(82)</sup>

في تركيا يتزايد عدد السكان بشكلٍ منتظم ومرتفع، ولا يشعر المسؤولون الأتراك بالخوف من هذه الناحية، فقد حض الرئيس التركي رجب طيب أردوغان النساء التركيات على الإنجاب، على ألا يقل عدد أبنائهن عن ثلاثة، ودعا أيضاً الجاليات التركية المنتشرة في أوروبا إلى زيادة الإنجاب الى خمسة أطفال، ولعب دورٍ أكبر في البلدان المقيمين فيها.<sup>(83)</sup>

---

<sup>80</sup> فتحية محي الدين طه أحمد: "تطور العلاقات الروسية التركية، 2000-2016"، المركز الديمقراطي العربي، مصر، 2016، ص 8.

<sup>81</sup> أنظر الملحق رقم 3.

<sup>82</sup> أنظر الملحق رقم 4.

<sup>83</sup> أردوغان يدعو الأتراك في أوروبا الى انجاب خمسة أطفال وليس ثلاثة، جريدة النهار، بيروت، العدد الصادر بتاريخ 2017/3/17.

لا بد من الإشارة هنا الى أن خطط التشجيع على الإنجاب بدأت تؤتي ثمارها في تركيا، التي زاد عدد سكّانها عام 2017 بنحو 3 ملايين نسمة عن عام 2016، ليصل إجمالي تعدادهم وفق أرقام معهد الإحصاء التركي الرسمي، إلى أكثر من 82.8 مليون نسمة. فقد أتت هذه الزيادة الكبيرة في أعداد السكان، بعد سلسلة حوافز دفعت بها الحكومة التركية للتشجيع على الإنجاب، مثل دعم الرعاية النهارية للأمهات اللواتي لديهن أطفال تتراوح أعمارهم ما بين 2 - 5 سنوات، بالإضافة للحوافز المادية، حيث منحت الحكومة التركية بناءً على تعليمات رئيس الوزراء، الحكومة التركية قطعة ذهبية بقيمة 300 ليرة للمولود الأول، وقطعة ذهبية للمولود الثاني بقيمة 400 ليرة، وبعد المولود الثالث تقدم قطعة ذهبية بقيمة 600 ليرة تركية، في حين بلغت المساعدات المالية التي قدمتها وزارة الشؤون الاجتماعية في العام الماضي منذ مايو/أيار 2016 حتى إبريل/نيسان 2017، نحو 451 مليون ليرة تركية.<sup>(84)</sup>

بالمقابل إنّ عدد سكان روسيا ونسبة الزيادة فيها، أمرٌ يقلق المسؤولين الروس، فروسيا دولةٌ كبيرة المساحة وتسعى للحفاظ على مكانتها الدوليّة وهي بحاجة إلى جيشٍ قويٍّ قادرٍ على أن يحمي الحدود والأراضي الشاسعة الغنيّة بالموارد الطبيعيّة، الأمر الذي دعا الحكومة الروسيّة إلى حضّ الشعب الروسي على زيادة الإنجاب، فقد تحدث رئيس الوزراء الروسي دميتري مدفيديف أكثر من مرّة أمام مجلس الدوما عن الإنجازات التي تحققت في مجال التعداد السكاني، ومواجهة المشكلة الديمغرافيّة، حيث أكد أن هناك تزايداً طبيعياً ملحوظاً في نسبة عدد السكان شهدته روسيا في السنوات الأخيرة لا سيما في العامين 2015 و2016، وأشار مدفيديف أيضاً إلى أنّ من بين العوامل الرئيسيّة لتحسين الحالة الديمغرافيّة تطبيق الدولة المطرد لسياستها في المجال الاجتماعي وتحفيز العائلات الروسية على زيادة الإنجاب، ومنها دفع إعانات ماديّة ملموسة لدى ولادة طفل ثاني أو ثالث في العائلة، ومن أكثر الخطوات نجاحاً والأهم تأثيراً في هذا المجال، ما يسمى برأس مال الأمومة، وهو مبلغ من المال تُخص به الأمهات بعد إنجابهن الطفل الثاني ومن بعده. ومنذ اعتماد روسيا هذه السياسة في الأول من يناير/كانون الثاني 2007، استفادت منه أكثر من 5 ملايين امرأة روسية، علماً بأن المنحة التي تمنح على الطفل الثاني وكل مولود

<sup>84</sup> عدنان عبد الرزاق: "تركيا: عدد السكان يزيد 3 ملايين نسمة خلال 2017 بسبب حوافز الحكومة"، صحيفة العربي الجديد، لندن، العدد 1226، 9 يناير 2018، ص 18.

بعده تعادل بأرقام اليوم حوالي 12 ألف دولار، قابلة للتعديل دورياً، وفق معدلات التضخم. و لا بد من الإشارة هنا إلى أن روسيا هي تاسع أكبر دولة من حيث عدد السكان في العالم، بحيث قدر عدد سكانها في العام 2017 ما يقارب 146,809,643 مليون نسمة، أي ما نسبته 1.97% من مجمل سكان العالم.<sup>(85)</sup>

في الخلاصة، فقد بدا واضحاً وجلياً اهتمام الدولتين الروسيّة والتركيّة بزيادة العامل البشريّ في كلّ منهما في آنٍ معاً وبنسبٍ متفاوتة، في سياستهما التنموية على الصعيدين الاجتماعي والاقتصاديّ، وذلك لما له من تأثيرٍ كبيرٍ وفعالٍ على سياستهما الخارجيّة وعلاقاتهما الدوليّة.

#### رابعاً: محدّد الشخصية.

تعتبر شخصيّة رأس السلطة السياسيّة الحاكمة وصناع القرار في الدولة من أهم العوامل المؤثرة في تحديد العلاقات الخارجيّة للدول، لأنه غالباً ما تؤثر سلوكيات صانعو القرار على السياسة الخارجيّة، حتى في كثيرٍ من الأحيان تؤرّخ أحداثاً سياسيّة هامة باسم الشخصية المؤثرة والمساهمة في صنعها.

الرئيس الروسي فلاديمير وفيتش بوتين يوصف بالسياسيّ الغامض، وهو قيصر روسيا الليبرالي الحالي، والشيعوي السابق، الذي يحلم بعودة أمجاد الدولة الروسيّة العظمى، بشقيها القيصري والسوفيّاتي. لا ينطبق عليه وصف "الدب الروسي" بقدر ما ينطبق عليه لقب "الثعلب"، في دهائه السياسيّ وإصراره على العودة بروسيا إلى نادي الدول العظمى<sup>(86)</sup>. كما أن الرئيس بوتين قادماً من المؤسسة العسكريّة وشيعويّ سابق، يساري النزعة، ومن أهم سمات هذه الشخصية أنها تسلطيّة قويّة، تميل إلى التعصّب الوطنيّ والقوميّ، والسيطرة على المرؤوسين.

---

<sup>85</sup> منذر بدر حلوم: "أرض بلا شعب... روسيا وسياسة دعم النمو السكاني"، صحيفة العربي الجديد، لندن، العدد: 12، 13 سبتمبر 2014، ص 8.

<sup>86</sup> فلاديمير بوتين ذئب يكره الأتوف الغليظة ويلقي أعداءه في المرحاض"، جريدة العرب، لندن، 2013/9/21، العدد: 8327، ص 12.

بالرغم من أنّ هذه الشخصية الكاريزمية متسلطة قويّة إلا أنها دبلوماسية، استطاعت أن تفرض نفسها على المستوى الدولي. (87)

أمّا الرئيس التركي رجب طيب أردوغان السلطان الجديد كما يصفه البعض، الإسلاميّ الخارج من قيود العسكر، المتمرّد على أستاذه نجم الدين أريكان، هو المتدرج في مراكز المؤسسة الحزبيّة، التي كانت تسيطر تحت قيود المؤسسة العسكريّة، ومتمرّد على أنظمة المدرسة العلمانيّة، اقتصاديٌّ ناجح، ومن أهم سمّاته الشخصية له أنه يملك ثقةً عاليةً بالنفس، ويحترم ذاته، هذه الشخصية الجريئة والمعاندة اكتسبت قبولاً شعبياً عالياً على المستويين الداخلي والخارجي، ما ساعد أردوغان على أن ينتهج سياسةً خارجيةً فاعلة. (88) وبالرغم من تزايد الانتقادات لسياسته تمكّن أردوغان من فرض نفسه سيداً بلا منازع في تركيا، بعد أن أثبتت الانتخابات الرئاسيّة أنه السياسيّ الأكثر شعبيّةً وجاذبيّةً في بلاده منذ مصطفى كمال أتاتورك مؤسس تركيا الحديثة، فأردوغان صنع عقداً من النمو الاقتصادي القوي، واستقراراً سياسياً كانت البلاد قد فقدته (89).

من هنا يمكن القول إن غالبية القرارات التي ترسم العلاقات الدوليّة في كلٍ من روسيا وتركيا، مرتبطةً في الوقت الراهن بشخص الرئيسين بوتين وأردوغان، فالعامل القيادي لعب دوراً مهماً في عملية صنع القرار الخارجي لكلٍ من تركيا وروسيا، وتحديد توجهاتهما السياسية في علاقاتهما الدولية.

### خامساً: المحدّد السياسي.

تتمثّل أساساً في طبيعة النظام السياسيّ للدولة، والذي يلعب دوراً مؤثراً وكبيراً في رسم السياسة الخارجيّة لأيّ دولةٍ وتحديد توجهاتها اتجاه الدول الأخرى، فالنظم الديمقراطيّة عادةً ما

<sup>87</sup> ليليا شيفتسوبا: روسيا بوتين، ترجمة: بسام شيحا، ط1، الدار العربيّة للعلوم، بيروت، 2006، ص 205

<sup>88</sup> شريف سعد الدين تغيان: الشيخ الرئيس رجب طيب أردوغان: مؤذن اسطنبول ومحطم الصنم الاتاتوركى، دمشق-القاهرة، دار الكتاب العربي، 2011، ص 56.

<sup>89</sup> شريف سعد الدين تغيان: المرجع نفسه.



تعكس سياساتٍ خارجيةٍ سلميةٍ، وهي نظمٌ تتسم بالتعددية وارتفاع نسب المشاركة السياسية. أما النظم التسلطية فهي تعكس سياساتٍ عدوانيةٍ توسعيةٍ. (90)

ووفقاً للدستور الروسي، فإن روسيا دولةً اتحاديةً فيدراليةً ذات نظام حكمٍ شبه رئاسي، حيث رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ورئيس الوزراء، وتتمحور روسيا كدولةٍ اتحادية ديمقراطيةٍ تمثيليةٍ متعددة الأحزاب (المادتين 1 و 13 من الدستور الروسي)، مع حكومة فيدراليةٍ مكونةٍ من ثلاثة سلطات، تشريعيةٍ، تنفيذيةٍ، وقضائيةٍ، ويتم انتخاب رئيس الجمهورية بالانتخاب الشعبي المباشر، لولاية مدتها ست سنوات (ينص الدستور في المادة رقم 81 في الفقرة الثالثة، أنه لا يجوز لنفس الشخص أن يشغل منصب رئيس الاتحاد الروسي لأكثر من ولايتين على التوالي)، كما أن رئيس الاتحاد الروسي هو رأس السلطة التنفيذية والقائد الأعلى للقوات المسلحة، ويعين مجلس الوزراء والضباط الذين يديرون ويطبّقون القوانين الاتحادية وسياساتها. (91)

أما تركيا فهي دولةٌ جمهورية ديمقراطية، (المادة 2 من الدستور التركي)، برلمانية، منذ تأسيسها في العام 1923م على يد مصطفى كمال أتاتورك، دستور تركيا يحكم الإطار القانوني للدولة، ويضع تركياً كدولةٍ مركزيةٍ موحدةٍ، رئيس الجمهورية فيها هو رئيس الدولة، وله دورٌ شرفيٌّ إلى حدٍ كبير، وينتخب لمدة خمس سنواتٍ عن طريق الانتخاب المباشر (تنص المادة 101 من الدستور التركي أنه لا يجوز لشخص أن يشغل منصب رئيس الجمهورية لأكثر من ولايتين)، وتمارس السلطة التنفيذية في تركيا من قبل رئيس مجلس الوزراء ومجلس الوزراء الذين يشكلون الحكومة، وينتخب رئيس مجلس الوزراء من قبل البرلمان من خلال التصويت على الثقة في الحكومة، وعادةً يتراأس رئيس الحزب الذي يملك أكبر عدد مقاعد في البرلمان رئاسة الوزراء<sup>(92)</sup>. وتجدر الإشارة هنا، الى أنه وتحت شعار من أجل تركيا القوية، استطاع الرئيس رجب طيب أردوغان وحزبه بعد قرابة خمسة عشر عاماً من الصراع مع أركان الدولة العميقة،

<sup>90</sup> زايد عبید الله مصباح، مرجع سابق، ص 257.

<sup>91</sup> النظام السياسي في روسيا، وزارة التعليم والبحث العلمي لروسيا الاتحادية، (<http://ar.russia.edu.ru>) تاريخ الاطلاع على المقال 2017/3/18).

<sup>92</sup> محمد عبد القادر خليل: الاستفتاء الدستوري في تركيا | النتائج والتداعيات، مركز صناعة الفكر للدراسات والابحاث، تركيا، 2017، ص 5.

تمرير مشروع نظام الحكم الرئاسي، وإخراجه من قبة البرلمان إلى فضاء الاستفتاء الشعبي، حيث صوّت الأتراك نهار الأحد بتاريخ 16 نيسان 2017م بـ51.3% بنعم على التعديلات الدستورية، يتمتع فيها رئيس الجمهورية بصلاحيات واسعة، شبيهة بالنظامين الفرنسي والأمريكي تؤهله ليصبح سلطان تركيا الجديد، مسدلاً الستار على حقبة زمنية طويلة من تاريخ الصراع مع المؤسسة العسكرية.<sup>(93)</sup>

مع التوضيح بأنّ الدولة العميقة أو الدولة المتجذرة أو دولة بداخل دولة، مفهوم شائع يستخدم لوصف أجهزة حكم غير منتخبة تتحكم بمسير الدولة (كالجيش أو المؤسسات البيروقراطية المدنية أو الأمنية أو الأحزاب الحاكمة)، قد تصاعدت قوتها في المرحلة الممتدة من ثمانينيات القرن العشرين إلى مطلع القرن الحالي بقوة نظراً لحالة الفساد الحكومي وعدم قدرة أي حزبٍ سياسيٍ تركي على الوصول إلى الحكم بهامشٍ تصويطيّ يؤهله لقيادة البلاد وتطبيق خطةٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ واضحة، فترافقت قوة الدولة العميقة مع ضعف الحكومات التركيّة التي وصلت للحكم في هذه المرحلة. ويضاف إلى ضعف الحكومات المتعاقبة، رغبة القوى الغربيّة، ولاسيما الولايات المتحدة الأميركيّة في التصدي لمشاريعٍ دوليةٍ لا تخدم مصالحها في موقعٍ استراتيجي يربط قارتين ببعضهما، فكان الخوف من التمدّد الشيوعيّ في تركيا من جهة، وتصاعد وتيرة نشاط الحركات الكرديّة دافعين إلى تشكيل تنظيماتٍ سرّيّة وشبكة علاقاتٍ خارج الأطر الرسميّة للدولة، تعتمد بتمويلها على بعض الدول الغربيّة، وشبكات الجريمة المنظّمة، وتحظى بحماية بعض السفارات الأجنبيّة وبعض قادة الجيش والأجهزة الأمنيّة التركيّة.<sup>(94)</sup>

لا بد من الإشارة هنا إلى أن العلاقات الروسية- التركية تتأثّر بالانتخابات، حيث تتعرض الأحزاب الحاكمة لجرده حسابٍ من الأحزاب المعارضة والجماعات الضاغطة، ما يجعلها تحدّ من حركتها الخارجيّة للتفرغ للداخل ومعالجة مشاكلها.<sup>(95)</sup>

<sup>93</sup> محمد عبد القادر خليل: مرجع سابق ذكره، ص3.

<sup>94</sup> Patrick H.O'Neil: the Deep State: An Emerging Concept in Comparative Politics, University of Puget Sound ،Draft Paper: August 2013, p 11-14.

<sup>95</sup> Şener Aktürk: "Russian-Turkish Relations in the 21st Century, 2000-2012", Turkish Studies, Istanbul, 2013 p.3. (Accessed: 21/5/2017).

في المحصلة، إن الرئيسين بوتين وأردوغان أتيا إلى الحكم عن طريق الانتخابات الشعبية المباشرة، في ظل نظام يسمح بتعدد الأحزاب (ولاية الرئيس بوتين ست سنوات، والرئيس أردوغان خمس سنوات)، ما يدلّ على مرحلة استقرار سياسيٍ طويلةٍ نسبياً، تسمح لهما ببناء سياسةٍ خارجيةٍ فاعلة، ما يعطي انطباعاً حسناً عن الدولة في الخارج، ويساعد على انفتاح الدولتين على بعضهما، وبناء علاقاتٍ طويلة الأجل تؤسس لشراكةٍ اقتصاديةٍ قوية.

## سادساً: المحدد العسكري

تعتبر القوة العسكرية المؤشر الرئيسيّ لقوة الدولة، والأداة الفعّالة لتحقيق أهدافها المرسومة في سياساتها الخارجية، فامتلاك الدولة ترسانةً عسكريةً ضخمةً، وقياداتٍ عسكريةً ذات كفاءةٍ عالية، بالإضافة إلى امتلاكها تكنولوجياً عسكريةً متطورة، يمكنها من الحصول على مختلف الأسلحة الذكيّة والمدمرة، مع توفر عقيدةٍ عسكريةٍ فعّالة.<sup>(96)</sup> كل هذا يعطي للدولة وزن وهيبة دوليتين ويساعدها على تحقيق أهداف سياستها الخارجية.

من المعلوم بأن روسيا دولةً تمتلك ترسانةً عسكريةً قويّةً، إضافةً إلى قوتها في المجال النووي، وكانت إبان الحرب الباردة تقف بوجه حلف الناتو بتزعمها لحلف وارسو، فروسيا دولةٌ مصنّعة ومصدّرة للسلاح لكثير من الدول.

تعتبر تركيا دولةً قويّةً بالنسبة لروسيا، فهي تعتمد في تسليحها على استيراد السلاح من دول حلف الناتو ودول أخرى، وبعد وصول الرئيس أردوغان إلى السلطة، أكد في أكثر من مناسبة أنّ بلاده تتوي الامتاع بشكلٍ تامٍ عن استيراد منتجات الصناعات الدفاعية بحلول عام 2023م. وقال أردوغان خلال افتتاحه معرض المنتجات العسكرية "IDEF-2015"، في إسطنبول "مايو 2015" حين بدأنا نشاطنا السياسيّ عام 2002 م، بلغ اعتماد تركيا على المعدات العسكرية المستوردة 80%، والآن ننتج بأنفسنا 54%، منها، لكن هدفنا بحلول عام 2023م، أن نتخلّص بشكلٍ كاملٍ من استيراد الصناعات العسكرية". (ولكن لماذا التركيز على العام 2023 م؟، السبب هو ترويج الأتراك بأن معاهدة لوزان التي أبرموها مع الحلفاء

<sup>96</sup> عبد القادر محمد فهمي: "المدخل إلى الاستراتيجية"، عمان، دار مجدلاوي، 2006، ص 41

المنتصرين والتي فرضت شروط مؤلمة على الأتراك، منها اعتبار الممرات والمضائق البحريّة ممرات دولية لا يحق لتركياّ تحصيل رسوم من السفن المارة فيه، كما نصت على إعلان علمانيّة الدولة وغيرها من الشروط، إن هذه المعاهدة سيكون قد مرّ عليها مائة عام في سنة 2023 م، ومن هنا نفهم تصريحات أردوغان المتتالية بأنّه بحلول عام 2023 م ستنتهي تركياّ القديمة، حتى أنّه قد وضع استراتيجية سميت "برؤية 2023" التي تتضمن ازدهاراً اقتصادياً وإنمائياً وحتى سياسياً عبر إمكانيةّ الدخول إلى الاتحاد الأوروبيّ في حلول العام 2023م). وذكر الرئيس التركي أن القوة الإنتاجية للصناعات الدفاعية التركية تجاوزت 5 مليارات دولار، حيث يخصّص كل عام من الميزانية للبحوث العلمية التّقنية مليار دولار، هذا وتخطط تركيا لرفع قيمة صادراتها العسكرية لأكثر من ملياري دولار في السنوات القادمة، لتقفز من المرتبة الـ 15 إلى العاشرة عالمياً لجهة التصدير العسكري عام 2023 بما يقارب الـ 25 مليار دولار.<sup>(97)</sup>

يُذكر أن الصادرات الدفاعية التركية بلغت في العام 2008 حوالي 600 مليون دولار، لتتضاعف في نهاية العام 2012 وتصل إلى 1.2 مليار دولار، أما في العام 2013 فقد تجاوز عدد الشركات العاملة في المجال العسكري الـ 500 شركة، لتُصدّر ما قيمته 1.5 مليار دولار، بينما تتجاوز قيمة الصادرات الدفاعية التركية في العام 2014 الـ 1.8 مليار دولار.<sup>(98)</sup>

واستناداً إلى تقرير نشره موقع (غلوبال فاير باور)، الذي يرصد حجم القوة العسكرية لدول العالم، فإن روسيا تحتل المركز الثاني على مستوى العالم بعد الولايات المتحدة، في حين تحتل تركيا في المركز العاشر، لتكون بذلك القوة العسكرية الخامسة ضمن الحلف الأطلسي (الناتو) بعد الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا. حيث يظهر الرسم البياني في الملحق رقم 5<sup>(99)</sup>، أن في صفوف القوات الروسية الآن أكثر من 760 ألف جندي، مع ما يزيد على 15 ألف دبابة وقرابة عشرة آلاف مدفع حربي ومن أنواع مختلفة. فضلاً عن قاذفات صواريخ متعددة الأشكال

---

<sup>97</sup> أحمد المصري: "الصناعات العسكرية التركية-مراكز القوة"، صحيفة تركيا بوست، إسطنبول، 2015/11/10، مقال نشر على موقع الإلكتروني التالي: <http://www.turkey-post.net/p-95472/>

(تاريخ الدخول: 2017/3/20).

<sup>98</sup> أحمد المصري: المرجع أعلاه.

<sup>99</sup> أنظر الملحق رقم 5.

والأنواع والتي يزيد عددها على 3700 آلية. هذا وتصل موازنة القوات الروسية المسلحة الى أكثر من ستين مليار دولار. بالمقابل تتألف القوات التركية مما يزيد عن 400 ألف جندي، بالإضافة الى أكثر من 3700 دبابة، وأكثر من عشرة آلاف قطعة حربية أخرى بين آليات مدرعة، ومدافع ذات أنواع متعددة، كما تمتلك تركيا أكثر من ألف طائرة من الأنواع القتالية والقاذفة والاعتراضية. كما تضم القوة البحرية التركية أكثر من مئة سفينة حربية من أحجام ونوعيات مختلفة، والفارق العسكري بين روسيا وتركيا واضح من خلال الموازنة العسكرية: 60 مليار دولار لروسيا، و18 مليار دولار لتركيا، أي بفارق خمس مرات.<sup>(100)</sup>

وبالعودة إلى الفرق في القوى العسكريّة بين كلٍ من تركيا وروسيا، نستطيع أن نلتمس من خلال الرسم البياني في الملحق رقم 5<sup>(101)</sup>، والذي يوضح حجم ميزان القوى العسكريّة كلٍ من روسيا وتركيا، بأن ميزان القوى يميل لصالح روسيا، وتسعى تركيا للحاق بها، سعياً منها لإقامة توازن قوى يجعلها في موقع قويّ وفعال يعطيها دوراً فاعلاً في بلورة سياستها الخارجيّة مع محيطها ويخفف من فائض القوة التي تمارسه روسيا عليها.

في النهاية، يمكن القول أنّ القوّة العسكريّة لكلٍ من تركيا وروسيا والإنفاق عليها بشكل كبير، يمكن أن يؤثر على جوانب أخرى من المحدّدات المؤثّرة في العلاقات الروسيّة-التركيّة، فهذه المحدّدات مجتمعةً تكمل بعضها البعض.

---

<sup>100</sup> يوسف خالد المرزوقي: "ميزان القوى العسكرية بين روسيا وتركيا"، جريدة الأنباء، الكويت، العدد: 14289،

2015/11/27، ص26.

<sup>101</sup> أنظر الملحق رقم 5

## المبحث الثاني: المحددات الخارجية للعلاقات التركية – الروسية.

تتراوح العلاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية، بين من يرى أن السياسة الخارجية لدولة معينة هي انعكاس للسياسات الناتجة عن تفاعل متغيرات البيئة الداخلية، وبين الرأي التقليدي القائل بالفصل التام بين السياستين، إلى درجة اعتبار أن "السياسة الخارجية تبدأ حيث تنتهي السياسة الداخلية".<sup>(102)</sup> ولعلّ عدم الفصل الحاد بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية لدولة ما هو الأرجح، لأن كلا السياستين تصنع وتصاغ داخل حدود الدولة، ومن قبل الحكومات المتعاقبة، ووفقاً للدستور، وبما ينسجم مع تطلعات الشعب، ويحقق المصالح الوطنية العليا، ويرتكز على القوة الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، والاستقرار الأمني الداخلي.

إنّ المحددات السياسيّة الخارجية التركيّة توضع وفق مقاييس المصلحة القوميّة التركيّة، والتغيّرات في البيئة الدوليّة والإقليميّة ومستجداتها، وتتولى الحكومة التركيّة ممثلةً برئيس الحكومة ووزير الخارجية رسم معالم السياسة الخارجية، وبما يتسق مع المتطلبات والتهديدات الأمنيّة والسياسيّة التي تناقش في مجلس الأمن القومي. (103)

بعد توليه الحكم في تركيا عمد حزب العدالة والتنمية إلى إعادة بناء السياسة الخارجية التركيّة وفق مفاهيم ومبادئ جديدة تنسجم مع بنيته الفكرية، وتاريخ ومصالح تركيا. هذه المفاهيم والمبادئ أکسبت السياسة الخارجية التركيّة بعداً جديداً، ولاسيما بعد تولي أحمد داوود أوغلو مهام وزارة الخارجية، منها العمق الاستراتيجي، الدبلوماسية الاستباقية، المشاركة الفعّالة والنشطة في النطاق العالمي، شراكة نموذجية متعددة الأبعاد...، ولكن يبقى التصور الذاتي للسياسة الخارجية من أهمها، فالسياسة الخارجية التركيّة تقوم على تحليل الاستمرارية الحضاريّة والتحوّلات الدوليّة،

<sup>102</sup> Henry A Kissinger: Domestic Politics and Foreign Policy, in: James N. Rosenau, International Politics and Foreign Policy. The Free Press, New York, 1969, p.261.

<sup>103</sup> Murat Yeşiltaş, Ali Balç: A Dictionary of Turkish Foreign Policy in the AK Party Era A Conceptual Map, Republic of Turkey Ministry of Foreign Affairs Center for Strategic Research, Ankara, 2013, p. 6.

وبناء السياسة الخارجية على العمق التاريخي والحضاري، فكل سياسة خارجية حسب هذا المفهوم يجب أن توضع في إطارها الهادف والمستند إلى التصور الذاتي (التركي) لها.<sup>(104)</sup>

وعليه فإن السياسات الدولية لها محدّداتها الخارجية، التي ترتبط بها وتتفاعل معها على مسرح العلاقات الدولية، لذا سيتم في إطار هذا المبحث، بحث وتحليل المحدّدات الخارجية التي تؤثر على نمط العلاقات التركية - الروسية، وهذه المحدّدات تنبع من البيئة الخارجية المحيطة بكل من تركيا وروسيا، سواء كانت إقليمية أو دولية، وتتمثل المحدّدات الإقليمية في تلك الدول التي تؤثر في شكل ونمط العلاقات بين البلدين، أما المحدّدات الخارجية فتتمثل في طبيعة النظام الدولي وأثره على علاقات البلدين، سواء العلاقات الروسية الإيرانية، أو العلاقات التركية الأمريكية، أو علاقة كل منهما بالاتحاد الأوروبي.

انطلاقاً مما تقدم سوف يتم تقسيم المحدّدات الخارجية للعلاقات بين البلدين إلى قسمين: المحدّدات الإقليمية والمحدّدات الدولية.

### أولاً: المحدّدات الإقليمية في العلاقات التركية - الروسية.

تحفل المحدّدات الإقليمية في العلاقات التركية - الروسية بالكثير من النقاط، التي يمكن البحث فيها نظراً لتاريخ العلاقات الطويل بين البلدين، وما نتج عنها من قضايا وخلافات ومصالح مشتركة بينهما، وسبق أن أشرنا إلى هذه النقاط في الفصل الأول من بحثنا هذا، وهنا سيتم التركيز على نقطة رئيسية، وهي منطقة آسيا الوسطى والقوقاز، التي تعتبر منطقة جغرافية مغلقة تقع في قلب قارة آسيا، وتحولت إلى منطقة تجاذب دولي، أطرافه قوى كبرى كالصين والولايات المتحدة الأمريكية، أو بعض القوى الإقليمية الصاعدة كتركيا وإيران.

---

<sup>104</sup> Murat Yeşiltaş, Ali Balç: A Dictionary of Turkish Foreign Policy in the AK Party Era A Conceptual Map, op.cit, p.7.

أصبحت منطقة آسيا الوسطى والقوقاز مجالاً للتنافس بين روسيا وتركيا في حقبة ما بعد الحرب الباردة، إلا أن البلدين تمكّنا من إيجاد أرضية مشتركة لتطوير الفرص المشتركة، وبخاصة منذ ولاية الرئيس فلاديمير بوتين الأولى في مارس 2000م، وتوّلي حزب العدالة والتنمية برئاسة رجب طيب أردوغان رئاسة الحكومة في عام 2002م، حيث اتجهت العلاقات التركيّة - الروسيّة نحو مرحلة أكثر واقعيّة من شأنها أن تركز أساساً على التعاون بدلاً من الصراع، ولذلك تم توقيع "خطة العمل المشتركة" للتعاون في أوراسيا بين البلدين في 16 نوفمبر 2001م، وهي الوثيقة الرسميّة الأولى التي ذكرت بناء "شراكة متعدّدة الأبعاد"، حيث تمثّل هذه المنطقة المجال الحيويّ لروسيا ومنطقة نفوذها الأساسيّة.<sup>(105)</sup>

تمثّل منطقة آسيا الوسطى والقوقاز قلب العالم، وتتاخم حدودها المباشرة عددًا من الدول الكبرى على الصعيدين الدوليّ والإقليميّ؛ فهي تقع جنوب روسيا، وغرب الصين، وشمال أفغانستان، وشمال وشرق إيران، وشرق تركيا. كما وتعتبر هذه المنطقة مفتاح هام وموطنيّ قدم استراتيجي لعدد من القوى الدوليّة والإقليميّة، بالإضافة إلى الأهميّة الاقتصاديّة التي تتمتع بها المنطقة في ظل احتوائها على موارد طبيعيّة وفيرة، واحتياطات كبيرة من مصادر النفط والغاز التي تدفع القوى الدوليّة والإقليميّة إلى محاولة السيطرة عليها.<sup>(106)</sup> وإنّ لمنطقة آسيا الوسطى أهميّة جيواستراتيجيّة كبيرة بالنسبة للاعبين الدوليين فحسب رأي ماكنيدر (صاحب نظرية المحور الجغرافي للتاريخ)، الذي قال إن من يسيطر على آسيا الوسطى يسيطر على العالم.<sup>(107)</sup>

بعد تفكّك الاتحاد السوفياتي، بدأت الأطماع الخارجيّة بآسيا الوسطى تطفو على السطح، ومقولة "إذا رأيت حريقاً في منطقة ما فتش عن النفط"، بالغة الدلالة، تختصر الصراع الجيوسياسيّ الدائر في منطقة آسيا الوسطى حول النفط والغاز والثروات المعدنيّة بين اللاعبين الاستراتيجيين الكبار في عالم ما بعد الحرب الباردة.<sup>(108)</sup> يقول مستشار الأمن القوميّ الأميركي

<sup>105</sup> فتحة محي الدين طه أحمد: مرجع سابق، ص 11.

<sup>106</sup> حنان ابوسكين: "بين الصراع والتعاون: التنافس الدولي في آسيا الوسطى"، القاهرة: المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة، حزيران 2014، ص 1.

<sup>107</sup> حنان ابوسكين: "المرجع أعلاه، ص 5.

<sup>108</sup> محمد نجيب السعد: "آسيا الوسطى..ساحة صراع وتنافس دولي"، صحيفة الوطن، عمان، العدد: 11717، 12/9/2015، ص 14.



الأسبق بريجنسكي أن منطقة آسيا الوسطى معبر حيويّ للمناطق الآسيوية المهمّة، ومصدر للاعبين الاستراتيجيين في آسيا والعالم، لتحقيق المصالح الاستراتيجية الضخمة للولايات المتحدة الأميركية التي تتمثل في احتواء الصعود الصيني المطرد والمتنامي اقتصادياً وعسكرياً وثقافياً، ومبعث القلق الشديد في الأوساط الأكاديمية ودوائر التخطيط الأميركية، وكذلك عزل روسيا التي تشكل المصدر الثاني للقلق الاستراتيجي الأميركي في مناطق نفوذها السابق، وتوسيع المظلة الأمنية لحلف الناتو إلى حدود روسيا الجنوبية الغربية، وتحييد ورقة الطاقة بمنع روسيا من التحكم في خطوط نقل النفط عبر الممرات السوفياتية القديمة.<sup>(109)</sup>

إذاً فقد أدى انهيار الاتحاد السوفياتي السابق وسيطرة نظام القطب الواحد على العالم إلى تراجع تأثير موسكو في معادلة التوازن الاستراتيجي العالمي، ما كان له انطباعات سلبية على علاقة موسكو الدولية والإقليمية، وأدى أيضاً إلى تراجع النفوذ الروسي عن كثير من مناطق الإرث السوفياتي. وتعتبر آسيا الوسطى إحدى أهم المناطق الإستراتيجية، التي بدأ فيها النفوذ الروسي في التراجع مباشرة بعد إعلان استقلالها عن الاتحاد السوفياتي، حيث كانت أول من أعلنت استقلالها بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. والملاحظ أن السياسة الخارجية الروسية إتجاه هذه المنطقة لا تزال مرتبطة بعامل الموقع الجيوسياسي للمنطقة، ومتطلبات الأمن القومي الروسي. فتاريخياً تعتبر منطقة آسيا الوسطى منطقة نفوذ روسي، درجت الأدبيات السياسية على وصفها بالحديقة الخلفية لروسيا.<sup>(110)</sup>

هذه السياسة تركّزت على مجابهة التحدّيات القادمة من الجنوب (حيث الصين والحركات الإسلامية) بالعودة إلى إعادة بعث الدور الروسي في المنطقة على جميع المستويات من خلال إستراتيجية بمنظورين، أولهما "أوروبي - أطلنطي" والثاني "أوراسي جديد"، فطبقاً للمنظور الأول، ركّزت روسيا على الاندماج مع الحضارة الغربية، وتشجيع آسيا الوسطى على السير في ذات الإتجاه مع عدم التدخل النشط لحماية مصالحها في آسيا الوسطى. ولكن منذ عام 1999م بدأت روسيا تتحول نحو رؤية أوراسية تركّز على التدخل لحماية مصالحها في آسيا الوسطى

<sup>109</sup> Olga Oliker and David A Shlapak: U.S. Interests in Central Asia: Policy Priorities and Military Roles, RAND Corporation, 2005, p.132.

<sup>110</sup> محمد نجيب السعد: المرجع نفسه.

والقوقاز، حيث شعرت روسيا بعد أحداث سبتمبر أن أمنها القومي يتعرض لتهديدات جدية، بسبب عدم الاستقرار السياسي، وتنامي الحركات الانفصالية والإسلامية في وسط آسيا. هذه التحديات دفعت بروسيا إلى الاحتفاظ بقواعد عسكرية في طاجكستان وكازاخستان وقيرغيزستان وتركمانيستان في إطار التنافس الدولي على عسكرة آسيا الوسطى. وعلى صعيد المسائل المتعلقة بالتعاون الاقتصادي والتبادل التجاري، تعمل روسيا على زيادة التعاون الاقتصادي في مجالات الطاقة والنقل والمياه مع دول آسيا الوسطى، وبخاصة في إطار مبادرات التكامل والتعاون الإقليميين في منظمة شنغهاي للتعاون الاقتصادي. كما أن روسيا تهتم أساساً بحماية مصالحها وعلى رأسها مصير الروس في تلك الدول، واستقرار الأمن في تلك المنطقة. (111)

أما بالنسبة لتركيا فهي ليس لها صلات جغرافية مباشرة مع آسيا الوسطى، إلا أنها بمثابة الوطن الأم لشعوب تلك الدول، وهي تطلق على تلك المنطقة تركستان تأكيداً لهويتها الثقافية، وقد أدى إنهاء الاتحاد السوفياتي السابق، وإستقلال الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، إلى بروز "عالم تركي" شكل محور جذب اقتصادي وعرقي وسياسي بالنسبة لتركيا، وقد أدى زوال الضغط الناجم عن وجود دولة الاتحاد السوفياتي، وظهور فراغ في هذه المنطقة الغنية بالموارد الهائلة، إلى ظهور طموح تركي نحو إقامة روابط اقتصادية وسياسية مع هذه الجمهوريات، وبادرت تركيا إلى الإعراف بهذه الجمهوريات، وإقامة العلاقات معها فور إعلان إستقلالها عن روسيا، وقد قامت تركيا بخطوات اقتصادية وثقافية وسياسية اتجاهاً بغية إعادة الروابط معها، وتوطيد العلاقات في شتى المجالات تمهيداً لعلاقات أوثق من التعاون الثنائي والإقليمي، إلا أن طموح تركيا هذا إصطدم بمجموعة من العقبات تتعلق بعدم قدرة تركيا الاقتصادية للقيام بدورها الإقليمي وخوف الجمهوريات نفسها من تطلعات تركيا إتجاههم، ووجود روسيا كقوة إقليمية لا تزال تهيمن على هذه الجمهوريات في العديد من المجالات، ووجود تحالف روسي أرمني غير معلن في مواجهة التحالف التركي الأذربيجاني المعلن في هذه المنطقة، والبعد الإيراني الذي يسعى للعب دور مهم في الجمهوريات المستقلة لأسباب عسكرية

<sup>111</sup> نرمين عزت عوض: "الاستمرار والتغيير في السياسة الخارجية الروسية تجاه دول اسيا الوسطى والقوقاز (1991:2010)", رسالة ماجستير، (جامعة القاهرة، العلوم السياسية، مصر، 2013)، ص 29-32.

واقتصادية وثقافية، إضافة إلى الضغوطات الغربية (الولايات المتحدة وأوروبا وإسرائيل، مع تباين دور كل طرف من هذه الأطراف، ونظرته إلى دور تركيا في آسيا الوسطى).<sup>(112)</sup>

قبل مجيء العدالة والتنمية إلى الحكم، إنتهجت تركيا سياسة الدولة الجسر، وبدعم من الولايات المتحدة من خلال إنشاء خط (باكو-تفليس - جيهان ) لنقل النفط من آسيا الوسطى إلى ميناء جيهان التركي على البحر الأبيض المتوسط، ما جعلها في حالة تنافس اقتصادي مع روسيا، وأثارت مشاعر الإنزعاج لديها، ومن المفيد القول بأن الخطأ الذي إرتكبته السياسة الخارجية التركية إبان تلك الفترة، بعدم الأخذ بعين الإعتبار المصالح الروسية عند التعامل مع دول آسيا الوسطى والقوقاز، قد تم تصحيحه، والإنتباه إليه، ولاسيما بعد إستلام حزب العدالة والتنمية للحكم في تركيا عام 2000 م.<sup>(113)</sup>

كذلك من المهم أن نتحدث عن المسألة الكردية لما لها من تأثير في مسار العلاقات التركية - الروسية، حيث يعيش معظم الأكراد في آسيا الوسطى وأطرافها الجنوبية، يقدر عدد الأكراد بثلاثين مليون تقريباً يتوزعون في: تركيا 50%، إيران 25%، العراق 16%، سوريا 4%، أذربيجان وأرمينيا وجورجيا وآسيا الوسطى 1%، أوروبا 3%، لبنان 1%.<sup>(114)</sup>

كان الأكراد من ضمن الشعوب التي تعيش في كنف السلطنة العثمانية سابقاً، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى وخسارة السلطنة العثمانية لأراضيها، نشئت الأكراد في دول عديدة الأكثر خطورة في منطقة الشرق الأوسط والغنية بمصادر الطاقة من نفط وغاز، حيث يتفرع منها الكثير من الإشكاليات الجيوستراتيجية، وأصبحت تشغل حيزاً مهماً من السياسة العالمية، ووسائل الإعلام. الإهتمام الروسي بالأكراد قديم، حيث يعود لبداية القرن التاسع عشر حين إستخدمتهم روسيا القصرية كمحاربين أشداء في حروبها مع الدولتين الفارسية والعثمانية مقابل مساعدات عسكرية ومالية وعود باقامة دولة كردية وكذلك دعمت القوات السوفياتية بشكل مباشر إقامة جمهورية مهاباد الكردية في إيران عام 1964م، لكن الروس سرعان ما تخلوا عن دعمهم

<sup>112</sup> د. محمود عبد العظيم حنفي: الشرق الأوسط: صراعات ومصالح، لا ناشر، 2002، ص 41 و 46.

<sup>113</sup> Suat Kiniklioglu: "Turkey and Russia: Partnership by Exclusion?" Turkish Policy Quarterly, Turkey, April-June 2006, Vol. 8 Nr.2, p34.

<sup>114</sup> د. نسيم الخوري: الأكراد أو "الدولة" المتعثرة بين الوقائع والوعود!، الدفاع الوطني، العدد 56، نيسان 2006.

ووعودهم في سبيل مصالحهم المشتركة مع هذه الدول، وتبقى النقطة المضيئة بين الروس والأكراد هي إقامة روسيا للعديد من مراكز الدراسات والثقافة والاعلام الكرديّة. (115)

في منتصف عقد العشرينيات من القرن الماضي، شهدت العلاقات التركيّة - الروسيّة تحسناً ملحوظاً، فقد أسهمت مشكلة الموصل بشكلٍ غير مباشر في ذلك التحسن، وعلى مختلف الأصعدة، إذ أن حسم تلك المشكلة من قبل عصابة الأمم في 25 كانون الأول 1925م بإبقاء ولاية الموصل (موصل، كركوك، السليمانية، أربيل) ضمن العراق، أدى إلى رد فعلٍ قوي من جانب تركيا تجاه الدول الغربية ولاسيما بريطانيا، بسبب نفوذها في تلك العصابة وضغوطها على الحكومة التركيّة، وشكوك تركيا تجاه السياسة البريطانيّة، وبخاصة ما أشيع في تلك الفترة من أنّ الحكومة البريطانيّة كانت وراء القلاقل التي شهدتها تركيا في شباط 1925م، إثر نشوب الحركة الكرديّة المسلّحة، ووقوف السوفييت بجانب تركيا، وأيدوا طلبها بضم الموصل إليها. (116)

إلاّ أنّه وبعد إندلاع الأزمة السوريّة، وتدخل روسيا المباشر بدعم النظام السوري، وتباين وجهات النظر حول حل الأزمة مع تركيا، بدأت روسيا بإستعمال أوراقها في سوريا، وبدأ معها إنفتاحٌ باتجاه أكراد سوريا بعد أن أصبحوا رقماً صعباً ومهماً في شمال سوريا وشرقها، ولاسيما بعد معركة كوباني/عين عرب، والتي نجح الكرد فيها بالحاق الهزيمة بتنظيم الدولة الإسلاميّة (داعش). وتريد روسيا إستمالة الكرد لجانبها، للقول للأطراف الأخرى إنّ روسيا هي مركز الحل للأزمة من جهة، ومن جهةٍ ثانيةٍ لإستخدامهم في البعد الإقليمي للصراع وتحديداً مع تركيا، إلاّ أن الغزل الروسي للأكراد تأخر إذ أن واشنطن سبقتها إلى ذلك بكثير، فهي نسجت مع حزب العمال الكردستاني تحالفاً أمنياً وعسكرياً على الأرض، وهي تؤمن الغطاء الجوي في المعارك التي تخوضها وحدات حماية الشعب الكرديّة، وتقدم أسلحة لهم والخبراء لتدريبهم، وهذا ما يصعب من مهمة موسكو في إقامة تحالفٍ عسكريٍّ مع الأكراد. (117)

<sup>115</sup> خورشيد دلي: "الورقة الكرديّة في الصراع الروسي-التركي"، الجزيرة نت، 3/12/2015، مقال نشر على الانترنت التالي: <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/12/2/الورقة->

[الورقة-](http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/12/2/الورقة-) الكرديّة-في-الصراع-الروسي-التركي، (تاريخ الدخول: 14/5/2017).

<sup>116</sup> حنا عزو بهنان: مرجع سابق، ص 4.

<sup>117</sup> خورشيد دلي: "الورقة الكرديّة في الصراع الروسي-التركي"، المرجع نفسه.

تتزايد مخاوف الأتراك من توسيع النفوذ الكردي قرب حدودها الجنوبية لأسباب تتعلق بالأمن الاستراتيجي لتركيا والخوف من انفصال الأقلية الكردية الكبيرة داخل تركيا، في ظل دعم عسكري روسي وأميركي من خلال تقديم مساعدات للمقاتلين الأكراد، في المقابل فإن الولايات المتحدة وروسيا تعاونتا بصورةٍ نادرةٍ لمنع حليفتهما تركيا من السيطرة على مدينة منبج شمال سوريا، حيث ترى الولايات المتحدة وروسيا أن الأكراد هم القوة الحيوية في قتال تنظيم داعش، في حين تعدّهم تركيا إرهابيين، وفي ظلّ إشتداد الأزمة إجتمع رؤساء أركان الولايات المتحدة وروسيا وتركيا في إنطاليا التركية (بتاريخ 2017/3/11) في محاولة لتهدئة التوتر بين الأطراف<sup>(118)</sup>.

في المحصلة، نرى أن تركيا بحاجة لبناء علاقةٍ قويّةٍ مع آسيا الوسطى (مناطق نفوذها القديمة)، فهي تقوّي شروط تفاوضها في علاقاتها الإقليمية والدولية، وصياغة سياساتها الخارجية، وتعزز من شراكتها مع روسيا، وتزيد من قدرتها التفاوضية مع أوروبا، وتعطيها فرص أكبر للمناورة مع الغرب.

## ثانياً: المحددات الدولية في العلاقات التركية-الروسية.

بالرغم من تعدّد تعاريف السياسة الخارجية، إلا أنّها لا تخرج عن إطار سلوكيات الدولة وأنشطتها الخارجية التي تسعى إلى تحقيق أهدافٍ مرسومةٍ مسبقاً، سواء كانت أهدافاً قريبةً أم بعيدةً الأمد، وهذه الأهداف قد تكون مبنيةً على إستراتيجية الدولة في إنتهاج سياسةٍ خارجيةٍ ما أوبناءً لردة فعلٍ تجاه تحالفٍ يؤثّر على مصالحها الإقليمية، وتتعدّد هذه الأهداف، فمنها اقتصاديٌّ ومنها عسكريٌّ، ومنها ثقافيٌّ.

في هذه النبذة سنتناول العلاقات الروسية الإيرانية من جهة، والعلاقات التركية الأميركية من جهةٍ أخرى، لما لهاتين العلاقتين من تأثير على العلاقات التركية الروسية، إضافةً إلى موقف كلا الدولتين من الاتحاد الأوروبي من جهةٍ ثالثة. فروسيا تعتبر أن إتساع الاتحاد الأوروبي

---

<sup>118</sup> بلومبيرغ: أمريكا وروسيا يتعاونان في سوريا ضد تركيا"، صحيفة ترك برس، إسطنبول، 2017/3/11، مقال نشر على موقع الصحيفة الالكتروني <http://www.turkpress.co/node/31894>، (تاريخ الدخول: 15/2017/5).

جغرافياً يهدد أمنها القومي، كما ينظر الاتحاد الأوروبي سلبياً إلى التوسع الروسي في أوكرانيا، والسيطرة على شبه جزيرة القرم، في حين تعاني تركيا من مشاكل مع الإتحاد تمنعها من دخول ساحته. أضف إلى ذلك أنّ تركيا تعتبر إيران منافساً إقليمياً لها، وعلى ساحة العالم الإسلامي، ولذلك فإنّ أي تقارب روسي إيراني لا يصب في مصلحة تركيا. في المقابل فإنّ روسيا تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية عدواً استراتيجياً لها، ولذلك فإنّ أي تقارب بين تركيا والولايات المتحدة، لا يصب في مصلحتها.

## 1. العلاقات الروسية - الإيرانية.

تمرّ العلاقات الروسية - الإيرانية بمرحلة من التعاون الإستراتيجي في كثير من المجالات والقضايا ذات الإهتمام المشترك بالنسبة لكل منهما، نتيجة مواجهة الدولتين لكثير من التحديات على المستوى الإقليمي والدولي، فالعلاقات الروسية - الإيرانية تجمعها مصالح مشتركة في مسألة الوضع القانوني لبحر قزوين، الذي يعتبر مجالاً حيويّاً للبلدين، يدفعهما أكثر إلى التعاون والتنسيق لمنع تمدد نفوذ الولايات المتحدة وتركيا في القوقاز وآسيا الوسطى، من خلال سعي الولايات المتحدة لتوسيع حلف الناتو شرقاً والذي يطال عدداً من الدول المجاورة لهما.<sup>(119)</sup>

إن الدافع الأهم في تنامي العلاقات الروسية الإيرانية، يتمثل في الخوف من قيام ما يسمى بـ "تركيا الكبرى" العضو الفاعل في حلف شمال الأطلسي، ما قد يؤدي لسيطرة حلف الأطلسي على المنطقة، وسعي البلدان الى إعاقة بناء خط أنبوب (باكو- جيهان) الذي ينقل نفط المنطقة الى سواحل البحر المتوسط برعاية أميركية. وتكثف التعاون بين الطرفين (الروسي والإيراني) في الميدان النووي، حيث ساعدت روسيا ايران في بناء مفاعل نووي في (بوشهر) ووقعت روسيا في يوليو 2002 برنامج عمل مع ايران مدته (10 اعوام) لتوسيع التعاون تضمن خططاً لأنشاء (خمسة مفاعلات نووية) اخرى في ايران، ومع ان روسيا اصرت على ان تعاونها يقتصر على التطوير السلمي المدني للطاقة النووية، إلا ان التعاون النووي المتنامي مع ايران اصبح مصدر

<sup>119</sup> د.زياد منصور: "إيران وروسيا... توجّس من التاريخ وشراكة مصالح أكثر من خيار استراتيجي"، جريدة الجمهورية، العدد: 860، بيروت، 2017/5/10، ص 16.

قلق المسؤولين في الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا، كما حاولت روسيا الاستفادة من الموقع الجيوسياسي الإيراني لمواجهة التغلغل التركي في جمهوريات آسيا الوسطى.<sup>(120)</sup>

إنّ روسيا التي تطمح لاستعادة دورها كدولة عظمى لها مكانتها الدوليّة، تجد في إيران الدولة الأكثر أهميّةً من حيث موقعها الإستراتيجي، كونها بين أعنى منطقتين بالنفط في العالم من جهة، وتشرف على مضيق هرمز وعلى جزء كبير من الخليج العربي من جهة ثانية، وعلى حدود جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز من جهةٍ ثالثة، وكذلك من خلال نفوذها الواسع في منطقة الشرق الأوسط، وتأثيرها في مجريات الأحداث في منطقةٍ مليئةٍ بالصراعات تطمح الى بسط نفوذها حتى شاطئ المتوسط.<sup>(121)</sup>

بالرغم من العلاقات المتطورة بين تركيا وروسيا، إلا أنّ عوامل الخلاف وعدم الثقة تظلّ حاضرةً بعمقها التاريخي، فإن تحالفات تركيا مع الولايات المتحدة والناو، يجعل روسيا حذرةً في التعامل معها، ويدفعها إلى إقامة علاقاتٍ وطيدةٍ مع الدول المنافسة لتركيا في مشاريعها المستقبلية. فروسيا ذهبت إلى بناء علاقاتٍ جيدةٍ مع إيران، التي تعتبر سوقاً اقتصادياً مهماً لروسيا لتصريف إنتاجاتها العسكرية والتقنيّة، ومساعدتها في حل الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع الصناعي العسكري الروسي، وتمكينها من تطوير قدراتها العسكرية والاقتصادية لمواكبة التطورات التقنيّة ومنافسة الأسواق العالمية. وتسعى روسيا من خلال علاقتها مع إيران، إلى لعب دورٍ أكثر فعالية في محيط تركيا الجغرافي وعمقها الإستراتيجي والثقافي، ولاسيما من خلال دعم روسيا لملف إيران النووي المثير لقلق تركيا، عبر الاستفادة من الموقع الجيوسياسي الإيراني لمواجهة التغلغل التركي، والحد من تأثير التدخل الثقافي من قبل دول الخليج لدى مسلمي آسيا والوسطى والقوقاز.<sup>(122)</sup>

<sup>120</sup> Nikolay Kozhanov, "Russia's Relations with Iran" The Washington Institute for Near East Policy, June 2012, p.11.

<sup>121</sup> فريد حاتم الشحف: العلاقات الروسية - الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوسياسية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس، دار الطليعة، دمشق، 2005، ص:64

<sup>122</sup> د.سعد الحمداني: "دراسة في العلاقات الروسية الإيرانية 2003-2010"، جامعة المستنصرية، العراق، 2012، ص 16-18.

يبقى السؤال هنا، هل سيبقى الوضع على حاله بعد تدخل الدولتين في الحرب الأهلية السورية؟ فالدولتان لهما مصلحة في بقاء الرئيس بشار الأسد، ولكن هل ستقبل روسيا بمشاركة إيران لهيمنتها على القرار السوري؟ وكيف ستتم معالجة قضية تقاسم النفوذ والوصاية؟، يبدو أن المستقبل سيشهد تطوراتٍ غير متوقعة قد تؤدي إلى إنتهاء أو إنفجار الحرب الباردة بين روسيا وإيران، بسبب الملفات المشتركة ولاسيما الملف السوري.

## 2. العلاقات التركية-الأمريكية.

ترجع البداية الحقيقية للعلاقات التركية الأمريكية إلى فترة الحرب الباردة، وكان هدف واشنطن من ورائها مواجهة التحدي الإستراتيجي الذي مثله الاتحاد السوفياتي السابق، من خلال موقع تركيا الجيوستراتيجي، حيث تطلّ على مناطق واسعة تعتبر مناطق حيوية لروسيا، حيث مثلت تركيا مع اليونان، مثلث المواجهة الأمريكية مع الاتحاد السوفياتي. ومع إنتهاء الحرب الباردة إرتبطت العلاقات بين الجانبين بالتحويلات السياسيّة والإستراتيجيّة في القارة الأوروبيّة، والتطورات الحاصلة على الساحة التركية التي شهدت تحولاتٍ على مدى العقدين الماضيين، تمثلت بإنهاء سيطرة المؤسسة العسكريّة على مقاليد الأمور، وبخاصة بعد صعود حزب العدالة والتنمية إلى سدة السلطة عام 2002 م. (123)

في السابق ( ما قبل محاولة الانقلاب الفاشلة التي شهدتها تركيا في 15 تموز 2016م، ووجهت فيه الإتهام إلى جماعة فتح الله غولن المقيم في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي رفضت الأخيرة تسليمه لتركيا، ما أثار شكوك أنقرة حول الدور الأمريكي في الانقلاب) كانت توصف علاقات تركيا بالولايات المتحدة الأمريكية بالقويّة، فتركيا تعتبر على رأس قائمة الدول التي يزورها مسؤولوا الولايات المتحدة بدعوة من واشنطن، للتباحث بشأن القضايا المهمّة في منطقة الشرق الأوسط، وهي أي تركيا وافقت على نشر قطعٍ من الدرع الصاروخية التابعة لحلف الأطلسي على أراضيها، كما أجرت تركيا العديد من الإصلاحات التشريعيّة والدستوريّة في كافة

<sup>123</sup> أحمد حسين الشيمي: "عرض كتاب مترجم العلاقات التركية-الأمريكية نحو شراكة جديدة"، إسلام أون لاين، 15/2/2015، <https://islamonline.net/10935>، (تاريخ الدخول: 21/3/2017).



المجالات تمهيداً لتدعيم موقفها من الدخول الى الاتحاد الأوروبي، لكن خطواتها هذه لم تثمر، ما جعلها أكثر رغبةً في دعم علاقاتها مع الجانب الأمريكي، ومعظم الدول في العالم، وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط. (124)

من المعلوم أن العلاقات التركيبية الأمريكية ذات خصوصية متميزة، بما يفرض على تركيا أن تحسم خياراتها بشأن تقاربها مع روسيا، فإذا كان صحيحاً أن وقوف تركيا إلى جانب روسيا قد يعزز فرصها في أن تصبح مضخةً لتدفقات النفط القادمة من منابع إحتياطيات النفط والغاز الكبرى في العالم في آسيا الوسطى وبحر قزوين وكازاخستان، إلا أنه من الصحيح أيضاً أن تقاربها يؤدي أيضاً إلى تعاطف النفوذ الروسي ومعه الإيراني في المنطقة، وهو ما يتعارض بدوره مع مواقف الولايات المتحدة ومصالحها في المنطقة، حيث يؤدي هذا التقارب إلى تراجع النفوذ الأمريكي، وهو ما سيشكل خسارة إستراتيجية نوعية لها، بما قد يدفعها إلى إستخدام بعض الأسلحة ضد تركيا كتحريك قضية الأكراد لتقويض استقرار تركيا، أو إثارة القضية الأرمينية بتبني مزاعم الأرمن، وأيضاً دعم الموقف اليوناني إزاء استقلالية قبرص، فضلاً عن الورقة الكبرى وهي نفسها لطموحات تركيا وعرقلة دخولها إلى الاتحاد الأوروبي. (125)

في النهاية إن تركيا حليفة مقربة من الولايات المتحدة والغرب، إلا أن ذلك لم يمنع وجود خلافات سياسية تجاه مشكلات منطقة الشرق الأوسط، وحول عدم وضوح موقف الاتحاد الأوروبي من مسألة إنضمام تركيا إليه. نتيجةً لذلك، يبدو أن تركيا إختارت سياسة خارجية أوسع نطاقاً، تبتعد عن التركيز التقليدي على الغرب وتحوّل نحو مقاربة أكثر توسعاً، تشمل التودّد إلى الخصوم الإستراتيجيين السابقين مثل روسيا لتصبح من شركائها الجدد.

---

<sup>124</sup> F. Stephen Larrabee: Troubled Partnership: US Turkish Relations in an Era of Global Geopolitical Change, (United States: The RND corporation, 2015): p.13.

<sup>125</sup> زياد عبدالوهاب النعيمي: "الرؤية الأمريكية في دور تركيا الإقليمي"، (جامعة الموصل: مركز الدراسات الإقليمية، 2009)، ص 1.

### 3. موقف روسيا وتركيا من الإتحاد الأوروبي.

تقع تركيا في منطقة يلتقي فيها الإتحاد الأوروبي بمناطق النفوذ الروسي. قد تكون أوكرانيا وبلدان جنوب القوقاز جيراناً شرقيين جدد للإتحاد الأوروبي، ولكن بالنسبة لتركيا هم جيران منذ القدم. فهي البلد الوحيد الذي يمكن أن ينافس روسيا في محاولة كسب قلوب وعقول الناس في تلك المنطقة بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي، بالنسبة للسكان المحليين، تمثل أنقرة نموًا اقتصاديًا هائلًا، ووجهة رئيسة للباحثين عن عمل، وللسياح، والمستهلكين، والشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم. تركيا أيضًا هي موطن الأبخاز ومواطني شمال القوقاز في الشتات. كما يتضح من خلال تكامل تجاري مع ساحل البحر الأسود في تركيا. أيضًا يمكن الاستفادة من أنقرة في مجال الديمقراطية، فهي إمتداد لمجال النفوذ الأوروبي، وتنفيذ مشاريع الممر الجنوبي للغاز، وحل الصراعات المجددة، ومن ثمّ يمكن أن تصبح أنقرة حليفًا قيمًا للإتحاد الأوروبي في مواجهة محاولات روسيا لنشر وترسيخ نفوذها في المنطقة بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي.<sup>(126)</sup>

على مرّ القرون، إتسمت العلاقات بين تركيا وروسيا بالمنافسة بسبب الحروب، لكن منذ عام 2000م، إقتربت تركيا وروسيا من بعضهما البعض، ووصف هذا التطور بأنه أفضل تقاربٍ تكتيكي، بدلًا من كونه شراكةً إستراتيجيةً. فلا تزال أنقرة وموسكو متنافسين أكثر من كونهما حليفين إقليميين، ويسعى كلا البلدين لتحقيق مصالح متباينة في جوارهما، في مجالات عديدة، مثل: الأمن، والطاقة، والتحول الديمقراطي في مناطق مثل: كراباخ، والبلقان، وآسيا الوسطى، وشرق البحر المتوسط.<sup>(127)</sup> لذلك، وعلى الرغم من دعم روسيا لطموحات أنقرة الأوروبية، يرى الكرملين أن تركيا تعدّ تهديدًا محتملًا للمصالح الروسية في أورواسيا، وعلى الرغم من أن كلا البلدين يظهران موقفًا حذرًا من توسع حلف الناتو في المنطقة (ولو لأسباب مختلفة)، فإن تركيا لا ترى إحتمال أن تكون هناك سيادةً روسيةً تركيةً مشتركة على منطقة البحر الأسود، والدليل على ذلك إنخراط أنقرة في عمليتي المسعى النشط والإنسجام في البحر الأسود؛ ودعمها أوحياها وعضوية دول البحر الأسود في الناتو، والتدريبات العسكرية وتعزيز الديمقراطية في جورجيا

<sup>126</sup> جاكوب ودكا-سارة كوسميس: "الإتحاد الأوروبي وتركيا في عصر ما بعد الربيع العربي: رسم خريطة المصالح الإستراتيجية في الجوار المضطرب"، مجلة رؤية تركية، إسطنبول، ربيع 2014، ص 3.

<sup>127</sup> جاكوب ودكا-سارة كوسميس: المرجع نفسه.

وأوكرانيا ومولدافيا، لكن هناك إستثناء هو برنامج التعاون لاستقرار القوقاز؛ المبادرة التركيّة لحل النزاع بين جورجيا وروسيا، التي تم إستبعاد الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة منها.<sup>(128)</sup>

ينبع عدم وضوح الرؤية التركيّة بشأن المبادرات التي أطلقها الغرب في المنطقة من عدم رغبة أنقرة في إستعداد موسكو، فالعلاقات بين تركيا وروسيا غير متكافئة، ولاسيما مع المحاولات الروسيّة الرامية الى جعل تركيا تعتمد على مواردها من الطاقة. لذلك فإن تركيا بحاجة إلى الغرب لموازنة علاقاتها مع روسيا، وليس من قبيل المصادفة أن المشكلات في العلاقات بين الاتحاد الأوروبي وتركيا تعود بالفائدة، في معظمها على موسكو التي تستغل قضية قبرص لعرقلة طموحات أنقرة في الإنضمام إلى الاتحاد الأوروبي. وتشعر تركيا بالقلق إزاء تكتلات التكامل الجديدة في جوارها التي تتخذ من موسكو مركزاً لها، كذلك زيادة الوجود العسكري الروسي في حوض البحر الأسود (والأسطول الروسي المتمركز في سيفاستوبول، الذي تم التمديد له حتى 2042م، وشراء سفن ميسترال الفرنسية الصنع)، وفي شمال القوقاز كذلك، فإن أنقرة قلقة من عدم تنفيذ القرارات المتعلقة بالإنسحاب من جورجيا ومولدافيا، التي تم التوصل إليها في قمة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا لعام 1999م التي عقدت بإسطنبول، ورداً على قرار تركيا بنشر منظومة الدرع الصاروخي في قاعدة كورجيك-ملاطيا، هدّدت روسيا بنشر صواريخ في شمال القوقاز. وعلاوة على ذلك، فإن كلا البلدين (تركيا وروسيا) لديه مواقف متعارضة تماماً بشأن الصراع الدائر في سوريا. لذا فإن توثيق العلاقات التركيّة مع الغرب يعزز من مكانة تركيا في العلاقات مع الشريك الأقوى.<sup>(129)</sup>

أما بالنسبة الى روسيا فعلاقتها مع دول الاتحاد الأوروبي ذات طابع استراتيجي، ورغم جهود كبار السياسيين الأوروبيين في المحافظة على علاقة صداقة ودية مع روسيا، إلا أن هذه العلاقة تتسم بالصعوبة حيث تزداد حدة الخلافات بين روسيا والاتحاد الأوروبي ليس بخصوص موضوع الطاقة ذو الأهمية المحورية فحسب، بل بخصوص مواضيع سياسية واقتصادية أخرى مثل تصدير اللحوم البولندية إلى روسيا واستقلال كوسوفو عن صربيا. وكانت بولندا استخدمت

<sup>128</sup> Birol Yesilada: EU-Turkey Relations in the 21st Century, Routledge, London, 2012, p.76.

<sup>129</sup> جاكوب ودكا-سارة كوسميس: مرجع سابق ذكره، ص4.

حقها في النقض ضمن الاتحاد الأوروبي لمنع حصول مفاوضات مع روسيا حول اتفاق شراكة مع الاتحاد الأوروبي خلال القمة الروسية-الأوروبية التي عقدت في مدينة سامارا الروسية بتاريخ 18 أيار/مايو 2007، وتعلل بولندا موقفها هذا على أنه رد فعل على الحظر الذي تفرضه روسيا على استيراد اللحوم البولندية. ومن بين القضايا الأخرى العالقة بين الاتحاد الأوروبي وروسيا النزاع الأخير بين روسيا وإستونيا بشأن إزالة نصب تذكاري روسي في العاصمة الإستونية لتخليد ذكرى جنود الجيش الأحمر الذين قتلوا في الحرب العالمية الثانية. وكذلك الخلاف بشأن وقف روسيا لإمدادات النفط عن مصفاة لتكرير النفط في ليتوانيا. كما أن موقف الدول الغربية إزاء وضع إقليم كوسوفو في صربيا يشكل مصدرا آخر للخلاف بين الجانبين، حيث تهدد روسيا باستخدام حق النقض الفيتو في مجلس الأمن في حال تقدمت الدول الغربية بقرار لتدعيم استقلال إقليم كوسوفو عن الجمهورية الصربية.<sup>(130)</sup> وجدير بالذكر، أن العلاقات بين روسيا والدول الغربية، تدهورت على خلفية الأزمة الأوكرانية، وعودة شبه جزيرة القرم إلى روسيا في آذار/ مارس عام 2014. وتعتبر أزمة العلاقات هذه بين روسيا والغرب، الأسوأ منذ انهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء حقبة الحرب الباردة، قبل أكثر من 20 عاماً.<sup>(131)</sup>

على كل حال، فإن الاتحاد الأوروبي بحاجة لتكريا بقدر حاجة الأخيرة له، بالنسبة للاتحاد، إن توجيه قوة تركيا المتنامية إلى داخل أوروبا، قد يصبح عنصراً في مواجهة نفوذ روسيا وإيران في منطقة أورواسيا، في حين أن زعزعة استقرار تركيا ووضع العراقيل أمام تحقيق حلمها الأوروبي، سيكون له عواقب سلبية على مصالح الاتحاد نفسه سواء في تزايد المشاعر القومية المعادية للغرب في تركيا، أو بفقدان حليف قوي في مكان مهم من الناحية الجيوسياسية، وعليه فإن الاتحاد لأوروبي لا يريد أن يخسر تركيا لصالح روسيا، فهذه معادلة لا يمكن له أن يتحمل تداعياتها الجيوبوليتيكية، في وقت بات فيه التهديد الذي تمثله موسكو على القارة الأوروبية أكبر من أي وقت مضى منذ إنهار الاتحاد السوفياتي.

<sup>130</sup> ديتشه فيله: "روسيا والاتحاد الأوروبي - مصالح استراتيجية وعلاقة صعبة"، dw، إمانيا، 2007/5/15، <http://p.dw.com/p/AYkl>، (تاريخ الإطلاع على المقال: 2017/5/23).

<sup>131</sup> تشيغوف يوضح كيف أخطأ الاتحاد الأوروبي في التعامل مع روسيا، موقع العهد الاخباري 2018/1/22، <https://alahednews.com.lb/fastnews/442481> (تاريخ الاطلاع على المقال 2018/3/6).

## القسم الثاني: مستقبل العلاقات التركية-الروسية بين التعاون

### الاقتصادي والخلاف السياسي.

شهدت بدايات القرن الواحد والعشرين نقلة نوعية في العلاقات التركية-الروسية لم يشهده تاريخ العلاقات بين البلدين منذ نشأتها وصولاً الى العام 2000م. إن هذه المرحلة المعاصرة من تاريخ العلاقات التركية-الروسية، قدمت نموذجاً مخالفاً لما سبق، يتمثل في تنامي التعاون السياسي والاقتصادي بين البلدين بشكل غير مسبوق، وعكست مسيرة السياسة الخارجية لكل من تركيا وروسيا، منذ تولي حزب العدالة والتنمية للحكم في تركيا والرئيس فلاديمير بوتين للحكم في روسيا، حيث إن الطرفان يحرصان على تنمية علاقتهما، والحفاظ على مستوى معين من التقارب، حمايةً لمصالحهما المتبادلة.<sup>(132)</sup>

إنطلاقاً مما تقدّم، سيتم التركيز في هذا القسم على مستقبل العلاقات التركية - الروسية، متحدثين في الفصل الأول عن أهم دوافع التقارب التركي الروسي، والمجالات التي ساعدت وتساعد على هذا التقارب بين البلدين، بالإضافة إلى بعض القضايا التي شكلت موضع خلاف في الرؤى السياسية بينهما والتي تؤثر على علاقتهما ببعضهما البعض، وفي الفصل الثاني سنتناول مستقبل العلاقات الروسية-التركية في ظل القضايا الخلافية الناشئة بينهما، ومدى تأثير هذه الخلافات على الآفاق المستقبلية للعلاقات التركية-الروسية.

---

<sup>132</sup> ناصر زيدان: دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بين بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013، ص 254.

## الفصل الأول: مجالات التقارب بين تركيا وروسيا وقضايا الخلاف.

مرّت العلاقات الروسية-التركيّة، ولاسيما في السنوات الـ 16 عشر الأخيرة بمرحلة من التنامي والتطور الإستراتيجي الملحوظ، فمن العلاقة العادية التي لا تخلو من مناكفة يفرضها التنافس الإقليمي، إلى التوتر بعد حادثة إسقاط الطائرة الروسية، ثم التطبيع مع بدايات العام 2016، وصولاً إلى ما نشهده اليوم من دخول في علاقة استراتيجية جديدة بين الطرفين في كلا البلدين لا سيما في الجانب الإقتصادي الذي له الدور الأبرز والفعال في هذا التقارب، رغم الإختلاف الكبير بينهما في الرؤى السياسية لبعض القضايا الإقليمية والدولية أبرزها الأزمة السورية، الأزمة الأوكرانية، الأزمة الجورجية، قضية ناكورني كاراباغ، أرمينيا وأذربيجان، والتي شكلت عامل تباعدٍ سياسيٍ بينهما.

انطلاقاً من ذلك سوف نعالج في المبحث الأول من هذا الفصل أهم وأبرز مجالات التقارب بين البلدين، من خلال الدوافع التي أدت إلى التقارب التركي- الروسي، ومن ثم سنتحدث في المبحث الثاني عن بعض القضايا الخلافية بين الدولتين والتي أدت إلى تباعدهما نظراً لإختلاف الرؤى السياسية بينهما.

## المبحث الأول: دوافع التقارب التركي - الروسي.

إن التقارب الحاصل بين البلدين، والمتغيرات التي طرأت على سياسة الدولتين الخارجية وصولاً إلى بناء علاقات طويلة الأمد، لم يكن ليستمر لولا الدوافع المؤثرة والمهمة لكلا الطرفين، والتي سوف نتطرق إليها وفقاً للمصلحة الناتجة عن هذا التقارب. وسنعالج هذا المبحث في جزئي دوافع التقارب التركي - الروسي ومجالاته.

### أولاً: دوافع التقارب التركي - الروسي.

#### 1. الدافع الاقتصادي.

تعتمد روسيا في إطار بناء اقتصادها والنهوض به على التعامل مع شركاء مستقلين أقوياء ذوي اقتصاديات ضخمة، فألمانيا تحتل المرتبة الثانية من حيث حجم التبادل التجاري مع روسيا بعد الصين، في حين تأتي تركيا في المرتبة السابعة.<sup>(133)</sup>

بالنسبة لتركيا، وبعد وصول أردوغان إلى السلطة، وتقدمها في المجال الاقتصادي عالمياً، حيث أصبحت تحتل المرتبة 17 عالمياً، وإملاكها إمكانيات إستراتيجية ضخمة، جعل منها قيمة اقتصادية كبيرة لروسيا، ودفع بها إلى التركيز بشكل أكبر على التعاون الاقتصادي معها، والعمل على تقويته بحيث تصبح في المستقبل شريكاً اقتصادياً يساهم في إعادة التوازن للاقتصاد الروسي، في الوقت الذي تعترض فيه روسيا للكثير من الأزمات المتلاحقة التي أثقلت كاهلها المالي، بسبب العقوبات التي يفرضها الأمريكيون والغرب عليها من جراء الأزمة الأوكرانية عام 2014.<sup>(134)</sup> حيث تخسر 1.5 % من الناتج المحلي الإجمالي وتخسر أيضاً ما بين 90 و 100

<sup>133</sup> فريد غايرلي: قفزة في التبادل التجاري بين روسيا وألمانيا، 2017/5/2، RTArabic، <https://arabic.rt.com/business/876453> -قفزة-التبادل-التجاري-روسيا-ألمانيا (تاريخ الاطلاع على المقال: 2017/6/28).

<sup>134</sup> "روسيا تتوقع اشتداد معاناتها الاقتصادية بسبب العقوبات الغربية"، جريدة المستقبل، بيروت، العدد: 5417، 2015/4/22، ص 10.

مليار دولار سنوياً، نتيجة انخفاض أسعار النفط. كما تتكبد روسيا سنوياً خسائر بلغ إجماليها 25 مليار يورو بما يمثل 1.5% من الناتج المحلي الإجمالي، وتخسر روسيا أيضاً ما بين 90 و100 مليار دولار سنوياً، نتيجة انخفاض أسعار النفط، كما يعتبر ارتفاع نسبة التضخم وانخفاض قيمة الروبل يعدان من الآثار غير المباشرة لهذه العقوبات. ويقول محللون إنَّ روسيا سوف تنزلق إلى أزمة مالية خانقة إذا إستمر هبوط أسعار النفط، ويرى آخرون أن موسكو قد تشهد أزمة اقتصادية، على اعتبار أن دخولها الحرب في سوريا سوف يكبّد الاقتصاد الروسي أعباءً إضافيةً، تتزامن مع تراجع الإيرادات النفطية للبلاد، حيث تعتبر روسيا أكبر منتج للنفط من خارج منظمة أوبك، ويعتبر النفط بالنسبة لاقتصادها المصدر الأول للدخل.<sup>(135)</sup>

لا بد من الإشارة هنا الى أن العقوبات المفروضة على روسيا، تمنع وصولها إلى الأسواق المالية الدولية، والحصول على التقنيات المتطورة في مجالاتٍ عديدةٍ منها المتعلقة بالتنقيب عن النفط والغاز والحصول على قطع الغيار. ولمواجهة تردي العلاقات السياسية والاقتصادية مع الغرب، بدأت موسكو تبحث عن توثيق علاقاتها التجارية والاقتصادية مع دول عدة (الصين، المغرب، إيران، تركيا...)، وذلك لملاء الفراغ من إستيراد المنتجات الغربية، وأيضاً لتعويض التكنولوجيا الغربية في قطاع الطاقة، فتركيا الجار الأقرب الذي لم يشارك في العقوبات التي فرضت على روسيا، ولديها مقومات اقتصادية الأمر الذي دفع بروسيا إلى التركيز بشكل أكبر على التعاون الاقتصادي معها، والعمل على تقويته بحيث تصبح في المستقبل شريكاً اقتصادياً يساهم في إعادة التوازن للاقتصاد الروسي.<sup>(136)</sup>

في المقابل تعتبر روسيا الخيار الأمثل في تحقيق الأهداف الاقتصادية للحكومة التركية، ولاسيما بعد نجاح حزب العدالة والتنمية التركي بالوصول إلى الحكم، والإستمرار فيه بثقةٍ عاليةٍ، على أساس البرامج الانتخابية المبنية على التنمية الاقتصادية والأهداف الإستراتيجية المرسومة

<sup>135</sup> رامي القيلوبي: "النزيف المالي يعيد روسيا إلى أكبر أزمة اقتصادية"، صحيفة العربي الجديد، لندن، العدد: 503، 17 يناير 2016، ص10.

<sup>136</sup> "الاقتصاد التركي خلال عقد العدالة والتنمية"، مجلة رؤية تركية، العدد الرابع عشر، إسطنبول، خريف 2014، ص10، الدراسة مأخوذة من الموقع التالي: <http://rouyaturkiyyah.com> /الاقتصاد-التركي-  
خلال-عقد-العدالة-والت/ (تاريخ الدخول: 18/5/2017).



حتى العام 2023 م، والطامحة بالوصول إلى تركيا للمرتبة العاشرة عالمياً، بحيث يصبح حجم اقتصادها تريليوني دولار، وصادراتها 500 مليار دولار، ودخل الفرد فيها 25 ألف دولار.<sup>(137)</sup>

تكمن أهمية هذا المسار في أن روسيا أهم مورد للغاز الطبيعي لتركيا، وهي ثاني أكبر شريك تجاري لتركيا. إذ تستورد تركيا سنوياً 16 مليار متر مكعب من الغاز الروسي عبر الخط البحري، إضافةً إلى 12% من وارداتها النفطية وبأسعارٍ تفضيليةٍ وأقل كلفة، فيما لوتم استيراد الغاز من بلد آخر. كما أن تركيا هي الوجهة الأولى للسياح الروس، يصل منهم إلى تركيا خمسة ملايين سائح سنوياً، وقد وقع البلدان أكثر من ستين إتفاقيةً في مجالات التعاون المختلفة، وبخاصة في مجالات الطاقة الكهربائية، وبناء سفن الشحن والنقل البحري، وقد وصل بينهما حجم التبادل التجاري على ما يزيد عن 33 مليار دولار سنوياً، ويتوقع أن يرتفع إلى مئة مليار دولار بحلول العام 2023م.<sup>(138)</sup> وكان آخر هذه الإتفاقيات توقيع تركيا عقد مع روسيا لشراء منظومة صواريخ اس 400، والتي تعتبر الصفقة الأكبر التي تعقدها أنقرة مع دولة خارج حلف شمال الأطلسي، حيث تبلغ قيمة البطارية الواحدة من هذه المنظومة 500 مليون دولار أمريكي، وتعتزم تركيا شراء 4 بطاريات منها، الصفقة التي دفعت بواشنطن إلى انتقاد الخطط التركية في مجال التسليح والتعاون العسكري.<sup>(139)</sup>

بناءً على ما تقدم تشهد العلاقات التركيّة الروسيّة، وبخاصة في مجال التعاون الاقتصادي تطوراً ملحوظاً، وتبدو على مسارٍ تصاعديٍّ متسارع، كما إن المكاسب المادية المرتقبة تبدو أكبر وأقوى أسباب هذا التقارب.

<sup>137</sup> "الاقتصاد التركي خلال عقد العدالة والتنمية"، المرجع نفسه.

<sup>138</sup> مظفر مؤيد العاني: "تركيا وروسيا. توتر سياسي وتآلف اقتصادي"، تركيا بوست، اسطنبول، 25/5/2015، مقال نشر على الرابط: <http://www.turkey-post.net/p-100924> / (تاريخ الدخول: 2017/3/26).

<sup>139</sup> سعيد عبد الرازق: "تركيا ستستلم صواريخ «إس 400» الروسية مبكراً"، صحيفة الشرق الأوسط، لندن العدد 14278 / 31 ديسمبر 2017، ص18.

## 2. الدافع الإستراتيجي.

إن التعاون بين تركيا وروسيا الجارين القريبين بدأ قبل سنوات، وحقق فوائد اقتصادية جمة وعلى أكثر من صعيد، وتبعه إعلان مشاريع طموحة للتعاون في مجال التصنيع العسكري، بالرغم من أن تركيا دولة عضو في حلف الناتو، ولديها ثاني أكبر جيش في الحلف، هذه الإنعطافة التركيّة نحو روسيا تجد لها أكثر من مبرر من خلال تعامل حلفائها الغربيين معها في أكثر من أزمة مرّت بها، ورصد ردات الفعل تجاهها، وإتهام تركيا الغرب في التدخل بالعديد من ملفاتها الداخلية. ولا بد من الإشارة إلى أن تركيا ربما قد أصابها نوع من الخذلان نتيجة ردة فعل حلف شمال الأطلسي حيال تبعات إسقاط الطائرة الروسيّة على الحدود التركيّة السورية في العام 2015م، والموقف الروسي المتشدد تجاه الحدث، مع العلم بأن تركيا لم تكن لتقدم على خطوة كهذه، إن لم تحصل على شبه ضوء أخضر أطلسي للقيام بها، وشعور تركيا بأن حلفاءها ربما أرادوا توريطها في حرب ضروس تستنزف الطرف الروسي قبل التركي، أدى بالنهاية إلى تقديم اعتذارٍ تركي لروسيا، وهو ما طالبت به روسيا لتجديد العلاقة بين الطرفين.<sup>(140)</sup>

إلا أن هذا الموقف تبعه موقفٌ مماثلٌ لناحية محاولة الانقلاب الفاشل في العام 2016م على الحكومة التركيّة، وقد صدرت مواقفٌ رسميةٌ وتسريباتٌ إعلاميةٌ تركيّةٌ تتهم الولايات المتحدة تحديداً بالتواطؤ مع الانقلابيين، مستعينةً بتاريخ الانقلابات التركيّة الأربع التي كانت واشنطن خلفها، منها إنطلاق طائراتٍ من قاعدة إنجيرليك لتزويد المقاتلات المشاركة في الانقلاب الأخير بالوقود، كما إنتقد أكثر من مسؤول تركي التفاوت بين مستوى المواقف الأوروبية، من الانقلاب ومن الإجراءات الحكومية التي تلتها، وكذلك التأخر في إدانة الانقلاب من قبل الدول الأوروبيّة وأمريكا، الأمر الذي إعتبرته أنقرة خيبة أمل. كما طالبت أنقرة واشنطن بتسليمها فتح الله غولن بإعتباره رأس التنظيم المصنف إرهابياً في تركيا، والمسؤول عن المحاولة الانقلابية تخطيطاً

---

<sup>140</sup> محمد حطيني: "في اسباب التقارب التركي الروسي"، صحيفة الوطن الفلسطينية، القدس، 7/9/2016، مقال نشر على الموقع الإلكتروني التالي <http://www.watan.ps/ar/?Action=Details&ID=12239> (تاريخ الدخول: 27/3/2017).

وتنفيذاً، بينما تطالب الأخيرة بأدلة قانونية قبل تسليمه وفق إتفاقية إعادة المجرمين، الأمر الذي اعتبره المسؤولون الأتراك مماثلة وتفضيلاً أمريكياً لغولن على العلاقات مع تركيا.<sup>(141)</sup>

منذ فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، كان التهديد السوفياتي لتركيا ومطالبته (الاتحاد السوفياتي) بالسيادة على المضائق وبعض المدن التركيّة عاملاً مساهماً في إنضمام تركيا بشكلٍ نهائي للمحور الغربي، أولاً من بوابة الحماية الأميركيّة، ثم من خلال عضوية حلف الناتو التي كانت إعلاناً رسمياً عن إنتماء أنقرة للكتلة الغربيّة كقاعدة متقدمة للناتو لوقف التمدد الشيوعي خلال الحرب الباردة<sup>(142)</sup>. وكذلك سعت تركيا منذ تأسيس الاتحاد الأوروبي والسوق الأوروبية المشتركة 1957م إلى الدخول فيه، وتقدمت بطلب انضمام بعضوية كاملة في 14 إبريل/ نيسان عام 1987م، ولغاية تاريخه لم تتل تركيا العضوية الكاملة في الاتحاد، بالرغم من الجهود الحثيثة والإصلاحات التي قامت بها تركيا، ويبدو أن القادة الأتراك وصلوا إلى قناعة مفادها بأنه لا أمل لتركيا في الإنضمام إلى الاتحاد الأوروبي، على الأقل في المدى المنظور أو القريب.<sup>(143)</sup>

اليوم يشعر الأتراك بأن الأوروبيين خذلوهم أو "خدعوهم"، عندما وضعوا في وجه تركيا مختلف العوائق والعراقيل والشروط التعجيزية، بهدف منعها من الإنضمام إلى "جنة" الاتحاد الأوروبي، حيث لم يخف أردوغان نيّاته في تغيير الوجهة نحو آسيا، واتهم وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو الأوروبيين بأنهم حزنوا على فشل الإنقلاب في تركيا، وهم ذاتهم الداعمون لتنظيم حزب العمّال الكردستاني.<sup>(144)</sup>

كان التصرف الروسي إزاء المظالم التركيّة والتعامل معها فائق الذكاء، فعلى سبيل المثال، وفي أعقاب العقوبات الاقتصادية التي وقّعها الاتحاد الأوروبي على روسيا بعد الأزمة

---

<sup>141</sup> سعيد الحاج: "اتجاهات السياسة الخارجية التركية بعد انقلاب 15 تموز"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 31/8/2016، نشر على الرابط التالي: <http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2016/08/15-160831072703797.html>، (تاريخ الدخول للإطلاع على التقرير: 27/3/2017).

<sup>142</sup>Nasuh Uslu: The Turkish-U.S.Relationships Between 1947 and 2003:The History-2 of a Distinctive Alliance,(Nova Science Publishers,New York,2003), p.111

<sup>143</sup> عمر كوش: "هل انتهى حلم تركيا الأوروبي"، العربي الجديد، لندن، العدد: 826، 2016/12/5، ص 20.

<sup>144</sup> عمر كوش: المرجع نفسه.

الأوكرانيّة، عرض الرئيس بوتين على أردوغان إمكانية زيادة صادراته الى روسيا، بما يسمح له بتخفيف أثر العقوبات على السلع الإستهلاكية، وفي نفس الوقت يفتح أسواقاً جديدة للشركات التركيّة، كان ذلك مصحوباً بوعده بمشروع بديل ينقل الغاز الى أوروبا عبر تركيا، ليحلّ محل مشروع خط أنابيب الغاز الملغى "ساوث ستريم"، في محاولةٍ روسيّةٍ واضحةٍ لإغراء تركيا بعيداً عن الغرب ليزيد اعتمادها على روسيا.<sup>(145)</sup>

كذلك كانت محاولة روسيا للإلتفاف على التدخلات الأطلسية في أراضيها السابقة وعلى حدودها الغربيّة، والتقرب من تركيا في فرصة لإضعاف حلف الاطلسي، فبعد تفكك الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة، قام حلف الناتو بتوسيع ساحة عمله وفق قرار القمة الخمسينية للناتو المنعقدة في واشنطن 1999م، وضم أحد عشر بلداً من بلدان أوروبا الشرقية، مستغلاً ضعف روسيا، فمنذ ذلك الوقت واصل حلف الناتو توسعه ليشمل المزيد من دول شرق أوروبا، وقد إتسعت شقة الخلاف عام 2008 م، في ضوء إجراء مفاوضات بين الحلف وكلّ من جورجيا وأوكرانيا للانضمام الى الحلف، هذا التوسع رافقه نشر الدرع الصاروخية في كل من رومانيا وتركيا وتشيكيا، وأجزاء متحركة على ظهر ناقلات في دول البلطيق، ليثير مخاوف روسيا العسكرية، لأنه يمنح أمريكا فرصة توجيه الضربة الأولى، ويشلّ قدرة روسيا على الرد. كما وأن التوسع الاطلسي في العمق الإستراتيجي لروسيا يعطل المفهوم الذي أطلقه الرئيس بوتين عند وصوله إلى الرئاسة الثانية، بتبني روسيا رؤية قائمة على قوة الدولة، وضمان ولاء الكنيسة الأرثوذكسية والتمسك بما تسميه "القيم الثقافيّة العريقة".<sup>(146)</sup>

تركيا من جهتها تجاوبت مع المبادرة الروسيّة، وكان قد دفعها الى ذلك رغبتها بإعادة التوازن لمحاور سياستها الخارجية، وذلك بالإتجاه شرقاً في ظل شعورها بعدم الإطمئنان للمواقف الغربية تجاهها، فتركيا الباحثة عن المكانة الاقتصادية العالميّة، رأت في هذا التقارب تعزيزاً لأهميتها في علاقاتها الخارجيّة مع دول الاتحاد الأوروبي وأمريكا، وتركيا الموقع الإستراتيجي ونقطة تقاطع

<sup>145</sup> كمال كيريششي: "خيارات تركيا الاستراتيجية بين الشرق والغرب"، ترجمة الخليج الجديد، الخليج الجديد، 2014/12/22، <http://thenewkhalij.news/node/7311> (تاريخ الدخول: 2017/4/1).

<sup>146</sup> علي العبد الله: "الناتو وروسيا وجهاً لوجه"، جريدة الحياة، لندن، العدد: 1045، 13/9/2014، ص8.

قارات العالم الثالث، بحاجة إلى توسيع شراكتها مع روسيا، وهي تسعى من خلاله إلى زيادة قوتها الاقتصادية وصولاً إلى المكانة العالمية المأمولة، وكذلك فإن حجم الأسواق الروسية تعتبر بمثابة تعويض عن فقدانها لأسواق دول الاتحاد الأوروبي. في المقابل ترى روسيا من خلال هذا التقارب أن أمن الطاقة التركي مرتبطاً إلى حدٍ كبيرٍ بإمداداتها النفطية، حيث تستورد تركيا 55% من حاجتها من الغاز الطبيعي و7% من حاجتها من النفط الروسي، ما يجعلها غير قادرة عن التخلي عن روسيا، كما تسعى روسيا من خلال تعاظم المصالح مع تركيا، للتأثير على سياسة تركيا الخارجية في المنطقة العربية في قضايا تتعلق بروسيا ونفوذها.<sup>(147)</sup>

إنّ ما سبق أظهر أن توتر علاقة تركيا بالغرب (أمريكا والاتحاد الأوروبي) ساهم بشكل أساسي في التقارب التركي-الروسي، الأمر الذي أسس لسلسلة تفاهات بين البلدين طالت الى جانب القطاع الاقتصادي جوانب أخرى أهمها الجانب السياسي والأمني والعسكري.

## ثانياً: مجالات التقارب التركي-الروسي.

يعتبر المجال الاقتصادي عاملاً أساسياً ومهماً في تحقيق التقارب والتعاون في العلاقات التركية الروسية، أنتج شراكة قوية أنهت قروناً من المواجهات السابقة، وبدأت الطموحات الإستراتيجية لكلا البلدين في التلاقي. هذا التعاون حقق فوائد اقتصادية جمّة لكلا البلدين، وتكاملاً مثيراً في أكثر من مجال، تمثل في مشاريع نقل الغاز الروسي إلى تركيا ومنها إلى أوروبا، والمشروعات المشتركة في مجال الطاقة، ولاسيما بناء روسيا لمحطة الطاقة النووية التركية، والسّياحة الروسية إلى تركيا والبناء والتبادل التجاري، وصولاً الى التعاون العسكري في مجال التصنيع وشراء الأسلحة.

ومن أهم و أبرز مجالات التقارب التركي-الروسي نذكر:

---

<sup>147</sup> كمال كيريسنتشي: المرجع نفسه.

## 1. مجال الطاقة.

تعتبر روسيا أهم مورد للغاز الطبيعي لتركيا، وتعتمد تركيا على الغاز الروسي في نحو 57% من وارداتها من الغاز الطبيعي، ونحو 3% من الواردات النفطية، فهي تستورد ما يقارب 30 مليار متر مكعب سنوياً عبر خطي أنابيب "بلوستريم" الذي يمر تحت البحر الأسود، و"الخط الغربي" عبر البلقان، فهي تعتمد بشكلٍ رئيسي على المورد الروسي وذلك بسبب ندرة وجود مصادرٍ طبيعيةٍ للطاقة. واعتمادها على الطاقة كمصدر رئيسي في مشروع بناء تركيا الحديثة، ما يجعلها ثاني أكبر مستهلك للغاز الروسي بعد ألمانيا.<sup>(148)</sup> ونشير هنا إلى اعتماد تركيا على روسيا كمورد رئيسي للطاقة، قد يضر بتركيا كثيراً في حالة قررت روسيا وقف إمدادات الغاز، أو وقف المشاريع المشتركة في مجال الطاقة.<sup>(149)</sup>

### أ. مشروع "السييل التركي".

إنفقت تركيا وروسيا على تنفيذ مشروع "السييل التركي" للغاز الطبيعي من أربعة خطوط، أحدها بحجم 15.75 مليار متر مربع، سيمتد من روسيا إلى تركيا مباشرةً عبر البحر الأسود، وهو ما سيؤدي إلى تخفيضٍ لأسعار الغاز الروسي إلى تركيا، والخطوط الأخرى بحجم 50 مليار مترٍ من تركيا إلى اليونان لإيصال الغاز الروسي لأوروبا، والذي ستستفيد تركيا منه أيضاً في القيام بدور الموزع،<sup>(150)</sup> إضافةً إلى توفير فرص عمل للعمالة التركيّة وجذب رؤوس الأموال الإستثمارية. كما شاركت تركيا بنجاح في المفاوضات حول بناء أنبوب غاز "ساوث ستريم"، الذي يمتد من روسيا إلى أوروبا تحت البحر الأسود والذي ألغي فيما بعد (بعد فرض الغرب العقوبات على روسيا بسبب الأزمة الأوكرانية).<sup>(151)</sup> كذلك تم منح ترخيص لشركة غاز بروم،

<sup>148</sup> أنظر الملحق رقم 6.

<sup>149</sup> "العلاقات الاقتصادية بين روسيا وتركيا"، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، 26/11/2015، المقال نشر على الرابط الإلكتروني التالي: <http://www.bayancenter.org/2015/11/961>، (تاريخ الدخول: 30/3/2017).

<sup>150</sup> أنظر الملحق رقم 7.

<sup>151</sup> "العلاقات الاقتصادية بين روسيا وتركيا"، المرجع نفسه.

بإنشاء خط أنبوب الغاز (السييل الجنوبي) في المنطقة التركية الاقتصادية... وتم الإتفاق بين البلدين على توريد الغاز إلى تركيا على المدى البعيد، حتى 2021م و2025م.

## ب. الطاقة الكهربائية.

يمتد التعاون بين البلدين إلى مجال الطاقة الكهربائية، والتي تعد من أكثر مجالات التعاون الاقتصادي بين البلدين، حيث تشارك مؤسسة "تكنوستروي إكسبورت" الروسية للتجارة الخارجية، في إنشاء السدّ والمحطة الكهروذرية "ديرينر" بقدرة 670 ميغاواط، في مقاطعة أرتفين التركية. ويذكر أنه في 29 ديسمبر عام 2008م، حصلت شركة "إنتر راوي إس - تي جي آر" التي تم التركية، على ترخيص بإستيراد الطاقة الكهربائية من روسيا عبر أراضي جورجيا.<sup>(152)</sup>

## ت. الطاقة النووية.

من الجدير بالإشارة أن التعاون في مجال الطاقة إمتد ليشمل الطاقة النووية، حيث تكشف البيانات الواردة من البلدين، عن إتجاه روسيا للمشاركة في بناء أول محطة نووية "أك كويو" في تركيا على ساحل البحر الأبيض المتوسط بالقرب من مدينة "مرسين" جنوب تركيا، حيث وافقت روسيا على الإسهام في عملية بناء محطة للطاقة النووية والتي يقوم تصميمها على إنشاء 4 مفاعلات بقدرة 1.200 ميغاوات، ومن المقرر أن تدخل الخدمة في عام 2019م. ويذكر أن تكلفة المشروع تقدر بحوالي 22 مليار دولار ممولة بالكامل من قبل شركة تابعة لمجموعة "روساتوم"، الحكومية الروسية للطاقة النووية، مع إرسال الوفود المستند إلى روسيا لإعادة المعالجة. ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل سبقه قيام شركتي "أتوم ستروي إكسبورت" الروسية و"أرغ إنشاعات تجارة وصناعة" التركية في 11 مايو عام 2007م، بتوقيع مذكرة تفاهم

<sup>152</sup> محمد طلعت: "العلاقات التركية الروسية...مجالات التقارب وقضايا الخلاف"، مجلة رؤية تركية، العدد 3 إسطنبول، 20/6/2013، ص 3.

بينهما، حول إقامة التعاون الإستراتيجي في تسويق تكنولوجيات السلع والمعدات والخدمات المتعلقة بصناعة الطاقة الذرية في تركيا (153).

### ث. مجال السّياحة.

تركيا بلد ضعيفة نسبياً من حيث موارد الطاقة، بحيث تستورد البترول والغاز من الخارج، لذا فهي تتجه نحو الاعتماد على اقتصاد الخدمات، والإهتمام به، ولاسيما في مجال السّياحة، ساعدها في ذلك تاريخها كإمبراطورية سابقة، عريقة في التاريخ، ورثت أراضيها من حضارات سابقة أغنتها بالكثير من الإمكان السّياحية، ما جعلها مقصداً للسياح وهي تعتمد على نسبة كبيرة من السائحين الروس إذ بلغ عدد السّياح خلال عام 2014م، ما يقارب من 4.5 مليون سائح من أصل 42 مليون سائح زاروا تركيا خلال العام بنسبة 12.2 %، لتكون روسيا في المرتبة الثانية بعد ألمانيا، بحسب إحصاءات وزارة السّياحة التركيّة وبدخل للاقتصاد التركي يقارب من 36 مليار دولار، إلا أن قرار شركات السّياحة الروسيّة بعد توصيات من اتحاد السّياحة الروسي بوقف الرحلات السّياحية إلى تركيا، على أثر اسقاط القاذفة الروسيّة على الحدود السورية التركيّة سيضر بقطاعات سياحية تركيّة. (154)

تعتبر تركيا الوجهة الرئيسية للسياح الروس بعد الألمان، إلا أن اقتصاد الخدمات غير ثابت، إذ عادة ما يتأثر بالأحداث الأمنية، فقد توقف توافد الروس في نوفمبر 2015م، بعد حادثة سقوط القاذفة الروسية، وسجلت حركة السّياحة الوافدة إلى تركيا هبوطاً حاداً في 2016م، حوالي 50%، (155) بالتزامن مع العديد من الحوادث الإرهابية في إسطنبول وأنقرة على الخصوص. (156) وكان قد صرح مسؤول تركي في قطاع السّياحة في 2017/2/23 م، أن عدد السائحين الروس الوافدين إلى تركيا، قد إرتفع الى خمسة ملايين سائح في العام 2017م، في

<sup>153</sup> محمد طلعت: المرجع نفسه.

<sup>154</sup> "العلاقات الاقتصادية بين روسيا وتركيا"، المرجع نفسه.

<sup>155</sup> أنظر الملحقين رقم 8 و9.

<sup>156</sup> شريف العصفوري: "ديناميكا العلاقات التركية الروسية"، موقع الطريق، 2017/1/2، مقال مأخوذ من الموقع الإلكتروني: [http://www.el-tareeq.net/Article.aspx?Article\\_ID=9892&art](http://www.el-tareeq.net/Article.aspx?Article_ID=9892&art) =شريف-العصفوري-

يكتب-، (تاريخ الدخول: 3/30/2017).



ضوء تحسن العلاقات بين البلدين، وزيادة عدد الرحلات، وإتاحة خيار الدفع بالروبل، وقال ورئيس مجلس إدارة شركة طيران إطلس جلوبال، أن شركته ستوسع أسطولها الى 32 طائرة في العام الحالي من 26 طائرة حالياً.<sup>(157)</sup>

## ج. مجال البناء.

أنجزت الشركات التركية آلاف المشاريع حول العالم، في العديد من المجالات منها الإسكان العام والمستشفيات ومراكز التسوق، والمرافق الاجتماعية والثقافية والعسكرية، إضافة إلى المرافق السياحية، وتشكل شركات المقاولات التركية 35% من إجمالي سوق المقاولات العالمي.<sup>(158)</sup>

كما نشطت شركات البناء التركية بشكل ملحوظ في السوق الروسية، حيث تعاونت مع الجانب الروسي في مجال بناء ناطحات السحاب والفنادق، إلى جانب شركات المقاولات التركية، في بناء مرافق لنهائيات كأس العالم لكرة القدم المقامة في روسيا عام 2018م، وتعمل شركات البناء التركية في روسيا منذ تسعينيات القرن الماضي بحيث بلغت قيمة أعمالها المنفذة لغاية عام 2017 ما يقارب 65 مليار دولار، وقد تمكنت من المشاركة في المشاريع الكبرى كبناء مركز الأعمال "موسكوسيتي" وترميم مجلس الدوما الروسي، وفي 13/3/2016م، صادق مجلس إدارة مطار "شيريمنيوفو" الواقع في العاصمة الروسية، على الجهة المنفذة لمشاريع تطوير الجهة الشمالية للمطار والقاضية ببناء جناح جديد ونفقين، وذلك في إطار مخططها لتصل القدرة الاستيعابية للمطار في العام 2018 إلى 50 مليون مسافر سنوياً، وعليه تم إختيار شركة المقاولات "Renaissance-Construction" التركية لتنفيذ هذا المشروع.<sup>(159)</sup>

<sup>157</sup> مروة سلام: عدد السياح الروس الوافدين الى تركيا قد يبلغ 5 ملايين في 2017، REUTERS - عربي، 2017/2/23، <https://ara.reuters.com/article/businessNews/idARAKBN1620SO>، (تاريخ الإطلاع على المقال: 2017/3/30).

<sup>158</sup> الأناضول: المقاولات التركية تشكل 35% من إجمالي سوق المقاولات بالعالم، تركيا بوست، 15، 2017/2/23 <https://www.turkey-post.net/p-188435> ( تاريخ الاطلاع على المقال 2017/3/30).

<sup>159</sup> "ما أبرز مجالات التعاون بين روسيا وتركيا؟"، RT العربية، 2016/6/30 مأخوذ من الموقع الإلكتروني، <https://arabic.rt.com/news/830160> -روسيا-تركيا-تطبيع-العلاقات-أبرز-المجالات (تاريخ الاطلاع على المقال 2017/3/30).

## ح. التبادل التجاري.

تعد تركيا شريكاً تجارياً مهماً لروسيا، حيث أن قيمة التبادل التجاري للبضائع بينهما تتجاوز الـ 30 مليار دولار سنوياً، يضاف إليها إستثمارات متبادلة متراكمة بأكثر من ملياري دولار. وبلغ التبادل التجاري بين موسكو وأنقرة في عام 2014م، نحو 33 مليار دولار، منها 17.8 مليار دولار هي صادرات روسيا إلى تركيا، التي تشكل واردات الطاقة حصة الأسد فيها، بالمقابل تستورد روسيا الخضروات، والفواكه، والسيارات، والمنتجات النسيجية التركية.<sup>(160)</sup>

وقد وصل حجم الإستثمارات الروسية المباشرة في تركيا خلال أول 9 أشهر من عام 2015م إلى 755 مليون دولار، لتكون المرتبة الرابعة في حجم الإستثمارات الأجنبية خلال هذه الفترة بعد إسبانيا، والولايات المتحدة، وهولندا. وبلغ حجم الصادرات التركية إلى روسيا 5 مليار 943 مليون دولار في المجالات التالية:

- في مجال الزراعة والثروة الحيوانية: 1 مليار 68 مليون دولار، ومجال النسيج: 910 مليون دولار. وفي مجال السيارات: 680 مليون دولار.
- في مجال التجهيزات والماكينات: 610.7 مليون دولار.
- في مجال المواد والمنتجات الكيماوية: 378.6 مليون دولار.
- في مجال الملابس: 303.2 مليون دولار
- في مجال البلاستيك: 297.7 مليون دولار.

وتحتل تركيا المرتبة السابعة بين الدول المصدرة إلى روسيا،<sup>(161)</sup> وثاني أكبر أسواق التصدير بعد ألمانيا، فقد بلغت تكلفة المشاريع التي تسلمتها الشركات التركية في روسيا 3.9 مليار دولار، فيما وصل عددها إلى 47 مشروعاً، ويبلغ عدد المحلات التي تحمل أكثر من 30 علامة تجارية في روسيا 700 محل تجارية، وفي عام 2015 م وحتى الشهر العاشر تم بيع ما يقارب 18 ألف منزل لمواطنون روس، وبهذا أصبحت تركيا تحتل المرتبة الثالثة من حيث رغبة

<sup>160</sup> سعيد عبد الرزاق: " تركيا تخطط لزيادة التبادل التجاري مع روسيا إلى 100 مليار دولار؟"، جريدة الشرق الأوسط، لندن، العدد 13902، 20/12/2016، ص15.

<sup>161</sup> أنظر الملحق رقم 10.

الروسيين في شراء عقارات فوق أراضيها.<sup>(162)</sup> وتجدر الإشارة هنا، إلى أن تركيا وروسيا يسعيان إلى زيادة حجم التبادل التجاري بينهما بحلول عام 2023م إلى 100 مليار دولار.

## خ. التعاون العسكري.

إن التبادل الثنائي في المجال العسكري بين روسيا وتركيا له جذور تاريخية، ففي سنة 1992، قامت روسيا بتزويد تركيا 174 ناقلة جنود مدرعة رباعية الدفع من طراز بي تي آر-80 و 23 ناقلة من طراز بي تي آر-60، و 17 مروحية مي-17. وفي سنة 2008، إستوردت تركيا 80 قاذفة صواريخ، و 800 صاروخ مضاد للدبابات طراز "كورنيت". وبتاريخ 2017/5/9، إفتتحت اسطنبول معرضاً للأسلحة العسكرية حضره عدد من المسؤولين العسكريين رفيعي المستوى، بالإضافة إلى أكثر من 800 شركة أسلحة من 74 دولة، وقد إحتلت فيه الشركات الروسية الواجبة، حيث شاركت شركتا "روسوبورون إكسبورت" و"ألماز أنتي"، وقدمتا حوالي 200 نموذج من الأسلحة والمعدات العسكرية المتطورة.<sup>(163)</sup>

في الحقيقة أن مشاركة روسيا في المعرض الدولي للأسلحة في تركيا لا تعد من قبيل الصدفة، فقد أعلنت تركيا أكثر من مرة عن رغبتها بشراء المنظومة الصاروخية اس 400 من روسيا، دعماً لدفاعاتها الجوية، وفي إطار تمتين العلاقات مع روسيا. وبالفعل في منتصف آذار من العام 2017، بدأت المحادثات بين الرئيسين التركي رجب طيب أردوغان ونظيره الروسي خلال إجتماعٍ لهما في العاصمة الروسية موسكو، حول إمكانية حصول أنقرة على منظومة الصواريخ المضادة للطائرات أس 400. وفي 2017/9/12 أعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان التوقيع على هذه الصفقة، التي بلغت حوالي 2,5 مليار دولار، والتي من المقرر إستلام الدفعة الأولى منها في مطلع الأول من العام 2020. وتعدُّ منظومة "إس-400" من أحدث منظومات الدفاع الجوي المضاد للصواريخ في العالم، وتتكون الكتيبة الواحدة المشغلة لها من

<sup>162</sup> "العلاقات الاقتصادية بين روسيا وتركيا"، مرجع نفسه.

<sup>163</sup> روسكايا فيسنا: "في مجال الأسلحة : ماذا يمكن أن تقدم كل من تركيا وروسيا لبعضهما البعض؟"، صحيفة نون بوسست الإلكترونية، 2017/5/12، مقال مأخوذ الـرابط الإلكتروني التالي، <http://www.noonpost.org/content/17952>، (تاريخ الدخول: 2017/9/14).

قيادة عمليات محمولة، و 8 منصات قاذفة و 32 صاروخًا. وهي قادرة على تدمير الطائرات والصواريخ المجنحة على مسافة 400 كيلومتر، كما أنها قادرة على إعتراض الصواريخ الباليستية التي تصل سرعتها الى 4800 متر في الثانية، على ارتفاع 30 كيلومتراً، وتعتبر تركيا ثاني دولة تحصل على هذه المنظومة بعد الصين التي إشترتها خلال العام 2015، وكانت روسيا قد اعتمدها منذ العام 2007.<sup>(164)</sup>

من جهة أخرى، ممكن أن تستفيد روسيا من التطور العسكري الذي بلغته تركيا، وبخاصة في مجال صناعة الطائرات دون طيار، على غرار "تي إيه آي أنكا"، بالإضافة إلى "بيرقدار" وغيرها. حيث تتميز الطائرات التركيبية بأحجامها وأنواعها المختلفة، فضلاً عن أنها قادرة على التكيف مع الأسلحة المحمولة جواً، علماً أن روسيا لم تشرع بعد في صناعة هذه الأنظمة. ومن بين الطائرات دون طيار التركيبية الأكثر تطوراً، طائرة "تي إيه آي أنكا" التي تعد الأقوى والأفضل في هذا المجال، حيث تتمتع بالقدرة على البقاء في الجو لمدة يوم كامل، على بعد 200 كيلومتر من المشغل، كما يمكن أن تصل حمولتها الى 200 كلغ.<sup>(165)</sup>

إن كل ما تقدم يعد دليلاً واضحاً على تعافي العلاقات الروسية-التركيية، وعودة العلاقات التجارية بينهما، بعد سلسلة من الأحداث التي أدت الى تدهور العلاقات بين روسيا وتركيا (حادثة اسقاط المقاتلة الروسية، ومقتل السفير الروسي في تركيا).

---

<sup>164</sup> روسكايا فيسنا: المرجع نفسه.

<sup>165</sup> روسكايا فيسنا: المرجع نفسه.

## المبحث الثاني: قضايا الخلاف التركي-الروسي.

شهدت العلاقات التركية - الروسية الكثير من الحروب والصراعات، وهذه الصراعات تدور في الجغرافيا، إن علم الجيوسياسة يسلط الضوء على جذور ومصادر الصراعات، والدوافع التي تتحكم باللاعبين العالميين وكل العناصر الفاعلة في تلك الصراعات. لذلك فعلم الجيوسياسة يعيد أي صراع إلى ثلاثة أجزاء متفاعلة مع بعضها البعض وهي الصراع من أجل السيطرة على الموارد - الصراع من أجل السيطرة على الجغرافيا - الصراع من أجل الهيمنة الأيديولوجية والعرقية والوطنية. فالإستيلاء على الموارد لا بد من السيطرة على المساحات الجغرافية والتحكم بها، فهي بالتالي بحاجة إلى حروب، والتي تحتاج بدورها إلى وجود غطاء ثقافي أو إيديولوجي لكي تبرر عقلانية القتال والكفاح، ولإضفاء الشرعية على الحرب. (166)

فروسيا الغنية بالموارد الطبيعية، وتركيا الموقع الإستراتيجي والممر الإلزامي لموارد روسيا في أغلب الأحيان، وكلتا الدولتين تحمل ثقافة وإيديولوجيا مختلفة عن الأخرى، الأمر الذي أسس للكثير من مواطن الخلاف بين الدولتين، وفيما يلي محاولة لقراءة جزء من هذه الخلافات في الأزمات التالية: الأزمة السورية، الأزمة الأوكرانية، أزمة قبرص، أزمة البلقان، أزمة أرمينيا وأذربيجان (ناغورنو-كاراباخ).

### أولاً: الصراع في سوريا.

قبل الإستطراد في الحديث عن الواقع، لعلّ العودة إلى تاريخ العلاقات التركية-السورية يثبت ما تسببت به الجغرافيا من إشكالات بينهما منذ سقوط الدولة العثمانية وحتى مطلع القرن الواحد والعشرين (الخلاف حول لواء الإسكندرون وترسيم حدود تركيا الجنوبية). هذه الإشكالات الجغرافية منذ سقوط الدولة العثمانية، حلت باتفاقات دولية على حساب الأراضي السورية،

---

<sup>166</sup> سقراط العلو: "سوريا ضحية الجغرافية" مدخل جيوسياسي لفهم تعقيدات الأزمة السورية"، المركز الديمقراطي العربي، مصر، آب 2016، ص 2، بحث مأخوذ من الموقع الإلكتروني: <http://democraticac.de/?p=32818>، (تاريخ الدخول: 2017/4/2).

فمشروع تحوّل تركيا إلى نقطة عبور للطاقة من المنطقة إلى أوروبا، وما يتبعه من مزايا حماية دولية، يصب في مصلحة مشروعها الإمبراطوري الجديد، ويتعارض مع مصالح دول عدة في الإقليم، تلك المصالح المتناقضة التي تقطعها النظام السوري مستنداً إلى موقع سوريا الجغرافي، الذي يشكل المنافس الوحيد للجغرافية التركية والمخرج الوحيد للدول غير راغبة بتصدير طاقتها عبر تركيا، حيث طرح بشار الأسد رؤيته الإستراتيجية لمستقبل سوريا (2002)م والتي أسماها ربط البحار الخمسة (المتوسط، الخليج العربي، الأحمر، الأسود، قزوين)، عبر العمل على تطوير المرفأء البحرية وسكك الحديد، وتحويل سورية إلى عقدة لنقل الغاز وتوزيع الكهرباء، حتى تصبح لاحقاً «منطقة حرة تربط بين الشرق والغرب»، وتم التخطيط لعدد من المشروعات منها: 1- إعادة بناء خط نفط كركوك. 2- تصدير الغاز الأذري إلى سوريا عبر تركيا. 3- ربط خط الغاز العربي بتركيا وتصدير الغاز المصري إلي أوروبا. 4- بناء شركة ترك تيليكوم لخط إتصالات يعبر من سوريا للأردن والسعودية لربط هذه الدول بأوروبا عبر تركيا.<sup>(167)</sup>

لكن ما يستوقف في تاريخ التوترات بين البلدين هو تاريخ 1957م، عندما بدأ سفير الولايات المتحدة بدمشق يحرض بلاده لإتخاذ إجراءات الضغط ضد سورية، وبلغت الأمور ذروتها عندما قامت تركيا بحشد قواتها على طول الحدود السورية، وعاد الحديث عن حقوقها التاريخية في بعض المناطق السورية، وحينها جاء الرد الروسي واضحاً على لسان رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت نيكيتا خروتشيف، الذي صرح لصحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية في 7 تشرين الأول 1957م "تستعد تركيا لشن حرب ضد سورية بسبب التحريض الأميركي لها، في النهاية الولايات المتحدة بعيدة عن هذه المنطقة في حين أن هذه المنطقة محاذية لبلادنا"، وفعلاً، قام الاتحاد السوفييتي بحشد قواته على الحدود مع تركيا، وتصاعدت حدة التوتر إلى حد فرض تدخل الأمم المتحدة.<sup>(168)</sup> فروسيا تربطها منذ عقود علاقات وثيقة جداً مع سوريا بسبب أهميتها الجيوبولتيكية وتأثيرها في موازين القوى الإقليمية، فهي منذ فترة الاتحاد السوفياتي تقوم بتزويدها بمساعدات مالية وعسكرية، ومن ثم ووقفت بكل ثقلها العسكري والسياسي خلفها في الأزمة

<sup>167</sup> Julien Barnes-Dacey and Daniel Levy: The Regional struggle for Syria Published by European Council on Foreign Relation, London, July 2013 p.35.

<sup>168</sup> سوريا وتركيا ... نزاعات التاريخ المستمرة"، معهد ليفانت للدراسات، كندا، 12/11/2015، مقال نشر على الرابط الإلكتروني التالي: <http://levantri.com> (تاريخ الدخول: 2017/3/19).

الراهنة، وتسعى جاهدة في سبيل المحافظة على النظام فيها.<sup>(169)</sup> وبالعودة لاستراتيجية بشار الأسد التي تشكل تهديداً للتطلعات التركيّة، فإن تأخير الصراع بين البلدين ودفء العلاقة مع تركيا يعود إلى عاملين: أولهما: سياسة "تصفير المشاكل" التي إنتهجتها الحكومة التركية في علاقاتها الخارجيّة، وثانيهما: سياسة "حسن النية" الذي أبداه بشار الأسد في إستراتيجيته، بشكل يحقق التكامل مع تركيا التي ستكون منفذه إلى أوروبا وليس المتوسط، الأمر الذي يخدم تطلعات تركيا بالانضمام إلى عضوية الاتحاد الأوروبي.<sup>(170)</sup>

إلا أنه وبعد الخامس عشر من آذار 2011 م، أفرز الصراع الجاري في الأراضي السورية، تازماً جديداً في العلاقات الروسيّة-التركيّة، حول موقف كل واحدةٍ من النظام السوري، حيث تعارض تركيا بقاء الرئيس "بشار الأسد" في السلطة، فضلاً عن دعمها للمعارضة السورية، في حين تعارض روسيا بشدة إسقاط نظام الأسد بإعتباره صاحب السيادة والشرعيّة، مع رفض أي تدخل عسكري لإزاحته، وذلك لأن سقوط هذا الحليف الأساسي في منطقة الشرق الأوسط يعد خسارة كبيرة لها، ويؤثر سلباً على بقائها في المنطقة، وفي سبيل ذلك تسعى روسيا إلى إستمرار دعم النظام السوري، واستمرار توريد الأسلحة عبر عقد المزيد من صفقات بيع السلاح له، والمحافظة على قاعدتها البحرية في ميناء طرطوس على البحر المتوسط. هذا الخلاف في المشهد السوري بين تركيا وروسيا، لم يمهّد العلاقات بينهما، بل سعتا جاهدتين إلى فرض الحلول والمقترحات، للخروج من المأزق السوري كل حسب سياساته ومصالحه، فروسيا ترى أن الحل هو الإلتزام ببنود معاهدة جنيف الصادرة بشأن سوريا في 2012/6/30م، فيما ترى تركيا الحل بتسليم الأسد للسلطة، وتشكيل حكومة ذات صلاحيات واسعة، لكن هذه الجهود باءت بالفشل، وبخاصة بعد دعوة تركيا الحلف الأطلسي لنشر بطاريات صواريخ الباتريوت كإجراءٍ دفاعي على حدودها، وهذا ما أثار حفيظة روسيا ورفضته داخل مجلس الأمن، إلى جانب رفضها أية مبادرة إلى إسقاط الأسد أو إدانته داخل المجلس، والتصويت ضده بإستخدام حق النقض الفيتو لسبع مرات، بل زادت من دعمها عبر التدخل العسكري المباشر عام 2015، وزاد الأمر تعقيداً إسقاط

<sup>169</sup> عماد يوسف قدورة: "روسيا وتركيا علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 15، قطر، أيار 2015، ص15.

<sup>170</sup> سقراط العلو: مرجع سابق ذكره، ص30.

تركيا للمقاتلة الروسية حينما إخترقت الأجواء التركية بتاريخ 24/11/2015م، بعد أن تم إنذارها وتحذيرها من قبل حراس الحدود التركية لأكثر من عشرة مرات.<sup>(171)</sup>

لا شك أن إسقاط الطائرة الروسية كان رسالة غضب تركي على ما رأته أنقرة نوعاً من التهديد لأمنها القومي، سواءً عبر تنفيذ عمليات على حدودها، أو من خلال إختراق مجالها الجوي، وهذا الحادث الخطير ألقى بظلاله على العلاقات الروسية-التركيّة، وكان المتضرر الأكبر منه القطاع الإقتصادي، حيث فرضت روسيا بعض العقوبات على تركيا أثرت في حجم التبادلات التجارية بينهما، إلا أنه سرعان ما إستعادت الدبلوماسية عملها بين الدولتان بعد إعتذار الأتراك عن الحادثة. ومع ذلك لا تزال المنطلقات التاريخيّة والطموحات القوميّة وربما الأيديولوجيّة، كامنة في السياسة الخارجيّة لكلا البلدين.

## ثانياً: الأزمة الأوكرانيّة.

تزامنت الأزمة الأوكرانية مع أحداث دولية أخرى، فقد سبقتها مجموعة من التحولات السياسيّة التي بلغت ذروتها في الدول العربية، وشكلت ما يسمى بـ"الربيع العربي"، كان الهدف منها تغيير أنظمة الحكم فيها، والمتحالف بعضها مع روسيا، في ظل هذا الجو من اللااستقرار في المنطقة العربية، نجحت روسيا في التوسع جنوباً وعلى مستوى الجنوب الشرقي الأوكراني، في محاولة منها لتوسيع نفوذها وتعزيز مكانتها الإقليميّة، على حساب النفوذ الغربي والأمريكي في المنطقة، ففي 2014/2/27، إحتل مسلحون يرتدون ملابس عسكريّة روسيّة منشآت ذات أهمية في القرم، البرلمان القرمي ومطارين كانوا من بين ما إحتله المسلحون، إتهمت أوكرانيا روسيا بالتدخل في شؤونها، وفي 2014/3/1 م، وافق مجلس الاتحاد الروسي بالإجماع على طلب الرئيس بوتين إستخدام القوات الروسيّة في أوكرانيا، وفي 2014/3/2م، إستدعى مجلس الأمن الأوكراني كامل إحتياط القوات المسلّحة، الأمر الذي إستدعى ردود فعل حلفاء أوكرانيا المعارضة للتدخل الروسي، وصلت لحد فرض عقوباتٍ اقتصاديّةٍ من قبل الولايات المتحدة على روسيا، وأقدمت

<sup>171</sup> بثينة اشتوية: "7 ملفات تضع العلاقات الروسية التركية على المحك"، ساسة بوست، مصر، 28/11/2015

، مقال مأخوذ من موقع الصحيفة الإلكتروني: <https://www.sasapost.com/tension-between->

[#/russia-and-turkey-files](https://www.sasapost.com/tension-between-#/russia-and-turkey-files) (تاريخ الإطلاع: 19/3/2017).



اليابان على وقف مفاوضاتها مع روسيا، والتي تدور حول الإستخدام السلمي للفضاء، وبعض الإستثمارات الاقتصادية، وإلغاء تأشيرات الدخول بين البلدين.<sup>(172)</sup>

لعل أحد أهم أسباب الأزمة بين روسيا وأوكرانيا هو موضوع الطاقة، إذ يتم تأمين نحو 40% من الغاز الطبيعي المستهلك للاتحاد الأوروبي من روسيا، وكان من شأنها أن وضعت تركيا بين حجري رحى، العلاقات الاقتصادية مع روسيا من جهة، والعلاقات الجيوسياسية مع الاتحاد الأوروبي من جهة أخرى، وهو ما دفع تركيا للتقارب مع روسيا مؤخراً وعقد العديد من الإتفاقيات الاقتصادية والتجارية مع موسكو، والتأكيد على الموقف التركي الرسمي الداعم للقضية التنارية، والإعتراف بحقوق شعب تترار شبه جزيرة القرم.<sup>(173)</sup>

يتمثل الموقف التركي من الأزمة الأوكرانية، في الدعوة لحلها من خلال إنشاء اتحاد سياسي داخلي، وتطبيق حزمة من إصلاحات اقتصادية شاملة. فقد أعلنت أنقرة الوقوف الكامل إلى جانب أوكرانيا في وحدة أراضيها، ورفض أي تدخل روسي فيها، وهو ما شكل موقفاً حاسماً ضد التدخل الروسي في أوكرانيا، والتي ترى فيها تركيا منطقة عازلة طبيعية مع روسيا. إذ أن سيطرة روسيا على شبه جزيرة القرم يعتبر تغييراً جذرياً في التوازنات الإستراتيجية في البحر الأسود، وتهديداً للأمن القومي التركي، لذلك سعت تركيا بكل جهدها إلى: أ- العمل بكل قوة لمساندة التواجد التاريخي لتترار القرم، ب- العمل على عدم تحويل القرم لساحة تصارع القوى العالمية.<sup>(174)</sup> على ما يبدو أن تركيا فضلت خيار عدم إثارة المشاكل مع جيرانها، والذي أتى ثماره في العلاقات مع كل من روسيا وأوكرانيا، وذلك للحفاظ على مكاسبها الاقتصادية مع روسيا، والتي تدعم الخطط المستقبلية لحكومة حزب العدالة والتنمية من جانب، وكسب الدعم الأمريكي والحفاظ على التوازن الإقليمي لتركيا مع أوروبا من جانبٍ آخر.<sup>(175)</sup>

<sup>172</sup> بثينة اشتيوة: المرجع نفسه.

<sup>173</sup> سمير مجدي: "القرم والطاقة" محددات العلاقات التركية الأوكرانية"، دوت مصر، القاهرة، 2015/3/8، مقال نشر على الرابط التالي: <http://www.dotmsr.com/details/233201>، (تاريخ الدخول: 8/4/2017).

<sup>174</sup> محمود سمير الرنتيسي: مرجع سابق، ص 5.

<sup>175</sup> سمير مجدي: المرجع نفسه.

إنّ العقوبات التي فرضت على روسيا، وإستفادت منها تركيا من خلال زيادة حجم التعاملات التجارية مع روسيا، وتحويل خطوط نقل الغاز إلى الأراضي التركية، لتكون مركزاً لتوزيع الطاقة، لم يمنعها من تطوير العلاقات مع أوكرانيا، والتي شهدت في السنوات الأخيرة تقارباً من خلال تبادل الزيارات الرسمية وتوقيع الإتفاقيات والمعاهدات المشتركة، وذلك على خلفية تقارب المواقف السياسيّة والاقتصاديّة بينهما في مواجهة التوغل الروسي المتزايد في المنطقة، ومن جهتها إنتقدت أوكرانيا دعم روسيا للنظام السوري، وأيدت الموقف التركي في أعقاب حادثة إسقاطها لمقاتلة روسية على الحدود السورية التركيّة، مبديةً إستعدادها لسد أي نقص في سوق المواد الغذائيّة التركيّة جراء فرض موسكو قيوداً تجارية على أنقرة".<sup>(176)</sup>

في النهاية نجحت تركيا في الأزمة الأوكرانية في الحفاظ على مسافة واحدة من طرفي النزاع بما يعود بالفائدة السياسيّة والاقتصاديّة عليها في علاقتها مع كلا من جيرانها روسيا وأوكرانيا.

### ثالثاً: الأزمة القبرصيّة.

قبل البدء بالحديث عن الأزمة القبرصيّة وتأثيرها على العلاقات الروسيّة – التركيّة، يشار إلى أن جزيرة قبرص في البحر المتوسط، كانت تابعة للسلطنة العثمانيّة سابقاً، وهي متنازع تاريخياً على هويتها وتبعيتها بين تركيا واليونان، وذلك بين المكونين الرئيسيين لسكان الجزيرة، وهما القبارصة ذوو الأصول اليونانية، والقبارصة ذوو الأصول التركية، أما علاقة روسيا في الصراع فهي تدعم حكومة قبرص اليونانية ضد قبرص التركيّة لأسباب إستثمارية.<sup>(177)</sup>

في عام 1974 م قسمت قبرص عندما غزت تركيا الجزيرة لمنع توحيدها مع اليونان، ومن ثمّ إنشاء دولة غير معترف بها في شمال قبرص، حيث ينتشر فيها حوالي 35 ألف جندي تركي. واليوم تعتبر اليونان وتركيا وبريطانيا، التي تمتلك قواعد عسكرية في قبرص، الدول الضامنة للوضع العسكري الراهن في جزيرة قبرص. وبات زعيما الشطرين اليوناني والتركي ومن

<sup>176</sup> "العلاقات التركية الأوكرانية..تناغم سياسي واقتصادي في مواجهة التوغل الروسي"، ديلي صباح، إسطنبول، 2016/3/9، <http://www.dailysabah.com> (تاريخ الإطلاع على المقال: 2017/4/8).

<sup>177</sup> بثينة اشتيوي: مرجع نفسه.

خلفهما تركيا واليونان، إلى جانب الأمين العام للأمم المتحدة السيد أنطونيو غوتيريش، ورئيس المفوضية الأوروبية جون كلود يانكر في مفاوضات بدأت في سويسرا في مطلع العام 2017، لإعادة توحيد الجزيرة المنقسمة منذ أكثر من 40 عاماً، لكنها باءت بالفشل.<sup>(178)</sup>

بعد نهاية الحرب الباردة، زادت إحتتمالات المجابهة العسكرية بين اليونان وتركيا بسبب النزاع القبرصي، وتعليل ذلك أن القبارصة اليونانيين بدأوا ببرنامج تحديث عسكري، بالاعتماد على روسيا، حيث وقعت الحكومة القبرصية اليونانية مع روسيا إتفاقية عام 1997م، تضمنت نشر أنظمة دفاع جوي (300-65) وشراء (41) دبابة قتال من طراز T-40. الأمر الذي أثار حساسية تركيا التي هددت بضرب منظومات الدفاع الجوي إذا ما تم تركيبها.<sup>(179)</sup> فتركيا تدرك أن وقوف روسيا لصالح اليونان في هذه الأزمة هو الوقوف بوجهها، ومنعها من مد نفوذها.

من جانبها روسيا، وعلى الرغم من أنها قد عبّرت في الكثير من المناسبات عن دعمها لتسوية النزاع في القضية القبرصية، فإنّ الإتفاق النهائي قد يضرّ بمصالحها الكثيرة في المنطقة، ذلك أن نحو 40 ألف روسي يعيشون في قبرص، كما أنهم يمتلكون عقارات وشركات في كل من الشطرين اليوناني والتركي، وتعتبر قبرص أكبر مصدرٍ للإستثمارات الأجنبية المباشرة في روسيا. حيث بلغت قيمة الإستثمار في الجزيرة في الربع الثاني من العام 2016 م 2.8 مليار دولار، كذلك وتشير أرقام الحكومة القبرصية إلى أن 525 ألف روسي زاروا الجزيرة، أي أنّ روسيا تأتي في المرتبة الثانية بعد بريطانيا من حيث جنسية السّياح الذين يزورون الجزيرة. بإختصار، تعتبر قبرص مكاناً مهماً بالنسبة لروسيا والروس، غير أن إعادة توحيد الجزيرة لن تفيد موسكو إلا وفق شروط معينة، فروسيا تسعى لإضعاف "النااتو"، وحال أن تسوية المشكلة القبرصية، يمكن أن تقوّي الحلف عبر تخلصه من نزاع طويل الأمد بين اليونان وتركيا، وكلاهما عضوفيه، كما يمكنها أن تعني فقدان روسيا موطئ قدم عسكري في المنطقة، حيث قامت قبرص خلال العام 2015 م، وأثناء الأزمة السورية، بفتح موانئها للسفن الروسية المشاركة في

---

<sup>178</sup> ليونيد بيرشيدسكي: الأزمة القبرصية..أفق الحل، جريدة الاتحاد، الإمارات، العدد: 15171، 19/1/2017، ص35.

<sup>179</sup> نزار اسماعيل الحياي: دور حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، مركز الامارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ابو ظبي، 2003، ص216.

عمليات مكافحة الإرهاب، حيث أنها إستعملت موانئ قبرص لتهديب وقود الطائرات الحربية إلى سوريا، رغم الحظر الذي يفرضه الاتحاد الأوروبي.<sup>(180)</sup>

إنّ ما يدفع روسيا الى إعاقة عملية توحيد قبرص والتقارب مع قبرص اليونانية، هي حقول الغاز والنفط المنتشرة حول الجزيرة والتي قد تكون بديلاً لأوروبا عن الغاز الروسي، إضافةً الى الموقع الإستراتيجي لقبرص والذي لا يخفى على أحد، في ظل الحديث عن مباحثات تجريها روسيا مع قبرص لإنشاء قاعدة بحرية في مدينة بافوس القبرصية، و التعامل مع الميناء كمركز دعم لوجستي للسفن الروسية.<sup>(181)</sup> كما ترى روسيا في إستمرار النزاع التركي- اليوناني تهديداً لوحدة حلف الناتو، وعرقلة لمشروعه في التوسع نحو الشرق، ذلك لأن النزاع يحدث توتراً في العلاقات بين عضوين في الحلف. ومثال على ذلك أن المانيا وفرنسا ترفض بشدة إنضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، في حين تؤكّد الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا حقها بذلك،<sup>(182)</sup> وعليه فإن النزاع التركي-اليوناني يبقى من القضايا المهمة التي تواجه إستراتيجية الناتو في التوسع، سواء في الحاضر أوالمستقبل، لأنه نزاعٌ من الداخل ويمكن أن يشكل أرضية خصبةً لبروز الانقسامات الحادة بين الأعضاء، ما يصعب معه إتخاذ قراراتٍ حاسمةٍ بشأن التوسع، ما يعني أن المصالح القومية الروسية والتركيّة تتقاطع كلياً حول الأزمة القبرصية.<sup>(183)</sup>

في نهاية الأمر إن تدخل روسيا في الأزمة من شأنه أن يؤثر على مسار العلاقات الروسية - التركيّة، إذ أن حل القضية القبرصية لم يعد مصلحة دولية عامة وحسب، بل أضحي إحدى ضرورات الأمن القومي لعدد متزايد من دول شرق المتوسط.

---

<sup>180</sup> ليونيد بيرشيدسكي: المرجع نفسه.

<sup>181</sup> باسم دباغ: " قبرص في قلب الصراع بين روسيا وتركيا "، صحيفة العربي الجديد، لندن، العدد: 459، 4/12/2015، ص2.

<sup>182</sup> ناظم عبد الواحد الجاسور: "قبرص على طريق الاتحاد الاوروبي"، نشرة قضايا أوروبية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، بغداد، 1998، ص2.

<sup>183</sup> نزار اسماعيل الحيايالي: مرجع سابق، ص114.

## رابعاً: أزمة البلقان.

يتمتع إقليم البلقان بخصائص ومميزات، جعلت منه مجالاً حيويًا للتنافس بين الدول الإقليمية والدولية، وهو يعتبر من المناطق المثقلة بالنزاعات، التي تعود جذور البعض منها لفترة الحرب الباردة وما قبلها، فإقليم البلقان تاريخياً برز إلى الوجود كأحد المناطق الحيوية والإستراتيجية في نهاية القرن التاسع عشر، حيث بدأت القوى الإستعمارية في العمل لإيجاد الكيفية التي من شأنها إنتزاع إقليم البلقان من السيطرة العثمانية الآيلة للسقوط والتفكك،<sup>(184)</sup> فروسيا من جهتها سعت في تلك الفترة للوصول إلى المضائق التركية عبر البلقان، والنمسا كانت مصممةً على مقاومة التوسع الروسي في الإقليم، لكون نهر الدانوب شريان حياتها المائي يمر عبر هذا الإقليم، أما بريطانيا فكانت ترفض أي محاولةٍ أوروبيةٍ لتقسيم الدولة العثمانية قبل ضمان سيادتها على البحار والمحيطات، وكانت مشكلات الأقليات القومية والدينية في الإقليم أحد الأسباب الرئيسية لتفجير الحرب العالمية الأولى.<sup>(185)</sup>

جغرافياً يتمتع إقليم البلقان بموقع إستراتيجي حيوي، جعله موضع لنتافس القوى الكبرى، فهو يتوسط القارة الأوروبية تقريباً، ومتاخماً لمنطقة البحر الأبيض المهمة لخطوط الملاحة الدولية، وقريب إلى حدٍ ما من منابع النفط في الشرق الأوسط، وقريب من منطقة المضائق التركية وإمتدادها نحو الجزر اليونانية في بحر إيجه، ما جعل منه موقعاً حيويًا للسيطرة على مداخل ومخارج الأسطول الروسي من البحر الأسود. بالإضافة للموقع الجغرافي الذي يمثله الإقليم لكل من روسيا وتركيا، منذ العهد القيصري والعثماني مروراً بالحرب الباردة، وصولاً للوقت الحاضر، فإن روسيا ما إنفكت تنظر إلى هذا الإقليم من زاوية العلاقة بالشعوب السلافية أوكحامية للديانة الأرثوذكسية، فضلاً عن أن مجاورة الإقليم لأوروبا الغربية وإطلالته على تركيا، يرتب وضعاً جيوسراتيجياً يمكنّ الروس من التأثير في مسألة المضائق التركية من جانب، وعلى الجانب الجنوبي لحلف الناتو من جانب آخر، فبعد أن تفكك الاتحاد السوفياتي إنطلقت روسيا في دعوتها لوحدة الشعوب السلافية التي تجمع بينها وبين شعوب بلغاريا واليونان وقبرص

<sup>184</sup> ناظم عبد الواحد الجاسور: مرجع سابق، ص16.

<sup>185</sup> R-Craig Nation: war in The Balkan's 1991-2002, Strategic studies institute Washington (August 2003), p.283.

وصربيا، بحيث تضمن هذه الوحدة ايجاد موطىء قدم روسية عبر الصرب واليونان في الأدريناتكي والمتوسط. وقد لعبت الكنيسة الأرثوذكسية دورها كعامل مؤثر في السياسة الخارجية الروسية، من خلال دعوة البطريرك الروسي إليكسي الثاني راعي هذه الكنيسة إلى الوحدة الروحية بين جميع الكنائس الأرثوذكسية الروسية والصربية.<sup>(186)</sup>

كذلك تسعى روسيا إلى التقليل من الاعتماد على تركيا في تصدير الطاقة، من أجل ضمان منفذ إلى البحر المتوسط يتجاوز البوسفور ويتم من خلال اليونان، إذ إن أكثر ما تخشاه روسيا سعي تركيا والولايات الأمريكية إلى حرمانها من المشتقات النفطية المستخرجة من بحر قزوين ومن آسيا الوسطى، وتجنب مرورها عبر أراضيها لتمر عبر تركيا وأذربيجان، ولتحقيق هذا المسعى، نجحت روسيا في عقد اتفاقية مع بلغاريا واليونان عام 2007م، لبناء خط أنابيب بورغارس الكسندر لنقل النفط الروسي إلى الأسواق الغربية عبر البلقان دون المرور بالأراضي التركية. في حين ترى روسيا مسعى تركيا لإنشاء انبوب نفط باكو جيهان واحداً من الرهانات التركية لتهديد مصالح القوى السلافية والأرثوذكسية وعلى رأسها روسيا واليونان.<sup>(187)</sup> كما وأن روسيا بعد الأزمة الأوكرانية، أصبحت بحاجة ملحة لتنمية نفوذها في البلقان، التي تعتبر وسيلة للإلتفاف على الاتحاد الأوروبي، فروسيا تعتبر أكبر دولة مستثمرة في صربيا، وعلى الرغم من الدعم المادي من الاتحاد الأوروبي لجمهورية الصرب التي تبلغ 3 مليارات يورو منذ العام 2000م، ما يزيد بأضعاف حجم الإستثمارات الروسية في صربيا، إلا أن صربيا لم تستجب للحصار الذي فرضه الاتحاد الأوروبي على روسيا إبان الأزمة الأوكرانية.<sup>(188)</sup>

أما بصدد المصالح التركية، فبعد إنتهاء الحرب الباردة، وضعف مركز تركيا في الإستراتيجية الغربية كان مدخلاً مهماً لإحياء المصالح التركية في إقليم البلقان من خلال التداخل السكاني بينها وبين شعوب البلقان، إذا إن الإنسحاب العثماني من البلقان كان مصحوباً أيضاً

<sup>186</sup> نزار اسماعيل الحيايلى: مرجع سابق، ص212.

<sup>187</sup> Metin Gezen: Russia's Move to Blance, turkey's energy transit role, Turkish weekly, 2007, p.3.

<sup>188</sup> خيرى حمدان: " النفوذ التركي في غرب البلقان والدور الروسي المساند"، صحيفة العربي الجديد، لندن، العدد 998، 26/5/2017، ص2.

بموجات هجرة بلقانية عديدة إلى تركيا، وذلك من خلال اتباع سياسة بلقانية نشطة من شأنها تقويض النفوذ اليوناني المدعوم من روسيا في الإقليم. ففي العام 1992، وقعت تركيا والبنانيا إتفاقية للتعاون العسكري تضمنت قيام تركيا بتحديث الجيش الألباني، كما قوّت تركيا روابطها بمقدونيا وإعترفت بها كدولة جديدة، وعقدت معها عام 1995م إتفاقية عسكرية تضمنت تحديثها للجيش المقدوني، فضلاً عن تحسن العلاقات التركيّة مع بلغاريا، بعد التوتر الذي تميزت به حقبة الحرب الباردة، نتيجة قيام بلغاريا عام 1979م بتهجير 300 ألف تركي ومصادرة أملاكهم، وبعد سقوط النظام الشيوعي في بلغاريا عاد الأترك.<sup>(189)</sup>

في القضية المتعلقة بإقليم كوسوفو المسلم، فقد تميّز الموقف الروسي برفضه الشديد لأي خطوة تؤدي إلى إستقلال كوسوفو عن صربيا، حيث هدّدت موسكو بإستخدام حق النقض ضد أي قرار أممي يتحدث عن الإستقلال، بينما أنقرة تجد نفسها معنية بأحداث كوسوفو، ليس بسبب الروابط التاريخية والدينيّة التي تجمعها مع مسلمي البانيا فحسب، بل لأن إستقلال الإقليم فيه إمكانية لتعطيل المشروع الروسي لإقامة وحدة الشعوب السلافية الأورثوذكسية، كما تعتبر تركيا من أهم الشركاء الإقتصاديّين في كوسوفو، حيث تنشط الشركات التركيّة المتنوعة، كشركة توزيع الطاقة الكهربائيّة في البوسنة، وتدير مطارها الوحيد، وتشارك في قطاع البنوك، وفي العديد من مشاريع الخصخصة، كما ويبلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين قرابة 420 مليون دولار، هذا وتطمح تركيا إلى رفع القيمة إلى خمسة أضعاف في السنوات المقبلة.<sup>(190)</sup>

خلاصة القول، أنّ المصالح القوميّة الروسيّة - التركيّة في إقليم البلقان تعتبر متقاربة نسبياً، وذلك أن مصالح البلدين الإستراتيجية تقضي بالتعاون والتقارب أمام التدخلات والأطماع الدوليّة في هذا الإقليم.

---

<sup>189</sup> نزار اسماعيل الحياي: مرجع سابق، ص 213.

<sup>190</sup> Enika Abazi: "Kosovo Conflict and the Post-Cold War Order: Russia and Turkey Policies", Bilkent University, 2 Jul 2016, p.13.

## خامساً: الأزمة الأرمنية - الأذربية.

عقب إنتهاء الحقبة السوفييتية، نشأت أزمة بين أذربيجان وأرمينيا عندما سيطر انفصاليون مدعومون من الأخيرة على إقليم "قره باغ" الأذري، في حربٍ داميةٍ تمكّن خلالها الانفصاليون من ضم الإقليم إلى أرمينيا عام 1992. في حين تعود أصل القصة، ربما، إلى أبعد من ذلك بكثير، حيث بدأ أصل النزاع التركي الأرميني، ولم تنجح الجهود الدولية في الوصول إلى إتفاق سلام بين الدولتين، فقد تجدد الصراع في الإقليم أكثر من مرة، كان آخرها في 2 نيسان 2016 كأقوى مواجهاتٍ عسكريةٍ بين أذربيجان وأرمينيا منذ 22 عاماً.<sup>(191)</sup>

تعد أرمينيا حليفاً إستراتيجياً لروسيا، وهذا ما يفسر دعم روسيا وبشكلٍ واضحٍ لأرمينيا في صراعها مع أذربيجان. فبعد حادثة إسقاط الطائرة الروسية في تركيا، أعلنت روسيا وأرمينيا توحيد نظاميهما الدفاعيين لتقوية حدودهما الجوية في القوقاز، في حين أعلنت وزارة الدفاع الأرمينية إنهاء الهدنة مع باكو وطرح خيار الحرب من جديد، وفق ما أفادت وكالة "جيهان" حينها. على أن الدعم الروسي لأرمينيا يصل حد الإعتراف بمزاعم أرمينيا بوصف أحداث عام 1915 بكونها "إبادة" عثمانية ضد الأرمن.<sup>(192)</sup> ولا أدلّ على ذلك من أن قرار وقف الهدنة مع جارتها أذربيجان عقب إسقاط تركيا لطائرة الروسية عام 2015 خير دليلٍ على ذلك.

أما بالنسبة الى تركيا فإن بينها وبين أذربيجان مجلس للتعاون الإستراتيجي رفيع المستوى، يعكس عمق العلاقات وحجمها على كل الصعد، بما فيه العسكري والاقتصادي. فخلال الأزمة الأخيرة بين أذربيجان وأرمينيا، قامت أنقرة بإستقبال الجرحى الذين أصيبوا في الأعمال العدائية من قبل القوات الأرمينية.<sup>(193)</sup>

---

<sup>191</sup> Carey Cavanaugh: Renewed Conflict on Nagorno-Karabakh, Center for Preventive Action, February 2017, p.9.

<sup>192</sup> سعيد الحاج: "ناغورنو كاراباخ: ساحة صراع جديدة بين روسيا وتركيا"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2016/5/2، ص 6.

<sup>193</sup> Alla Mirzoyan: "Armenia, the Regional Powers, and the West", Between History and Geopolitics, 2010, p.33.



تركيا تصوغ موقفها من النزاع وفق منظومة متشابكة من العوامل الدينيّة والتاريخيّة والعرقية والمصالح الاقتصادية والسياسيّة، أهمها:

1- تجمع بين تركيا وأذربيجان، وحدة الدين واللغة والعرق، بصرف النّظر عن التّوجهات السياسيّة لكلّ منهما، بما يجعل العلاقة معها حساسة ومحورية، تجملها الجملة الأشهر التي يرددّها الساسة من الطرفين "شعب واحد في دولتين".

2- مسؤوليتها الأخلاقيّة-التاريخيّة تجاه الشعب الأذري، المستمدة من تاريخ الدولة العثمانية.

3- بالنظر إلى الخرائط الجغرافيّة والجيوبوليتيكيّة للمنطقة، فإن تركيا بمثابة طوق نجاة لأذربيجان من حصار خصومها لها (روسيا-أرمينيا-إيران) الذين يحيطون بها.<sup>(194)</sup>

4- العلاقات الاقتصادية الوثيقة بين تركيا وأذربيجان؛ حيث بلغ حجم التبادل التجاري بينهما عام 2015 حدود 3.5 مليارات دولار، فيما تستثمر 2665 شركة تركيّة في أذربيجان. فضلاً عن تقديم تركيا للأخيرة ما يزيد عن 320 مليون دولار منذ 2004 كمساعداتٍ مباشرةٍ للمشاريع التنموية. وتجمع البلدين عدّة إطاراتٍ اقتصاديّة، أهمها اللجنة الاقتصادية المشتركة، والمجلس الأعلى للتعاون الاستراتيجي.

5- تعتبر أذربيجان أهم الدول المصدّرة للغاز الطبيعي الى تركيا، وتعوّل عليها في السعي نحو تقليل نسبة اعتمادها على الغاز الروسي والإيراني؛ حيث تستورد أنقرة 13% من الغاز من أذربيجان. فضلاً عن كونها ممراً لغاز بحر قزوين إلى الدول الأوروبيّة، مثل مشروع باكو-تفليس-جيهان، و"تاناب" الذي يُتوقع الانتهاء منه عام 2018.<sup>(195)</sup>

6- يؤثّر الوضع الحالي لإقليم ناغورنو كاراباخ، كونه محل نزاع، على سياسات تركيا تجاه منطقتي البلقان والقوقاز، فهو يحدّ من فاعليتها في حوضي الأديرياتكي وقزوين بشكل مباشر. ذلك أن حلّ مشكلة الإقليم وإزالة الحاجز الأرميني، سيمكّنهما من التّواصل - عبر منطقة ناهنتشيفان مع أذربيجان والجمهوريات التركيّة السابقة في آسيا الوسطى بما يصنع منها قوةً إقليميّةً كبرى.

<sup>194</sup> سعيد الحاج: مرجع سابق، ص 3.

<sup>195</sup> سعيد الحاج: مرجع سابق، ص:4

7- تحقيق الترابط والتكامل بين السياسات التركية في كلٍّ من البلقان والقوقاز والشرق الأوسط، أو ما أسماها أحمد داود أوغلو "المناطق البرية القريبة"، بإعتبارها وحدة متكاملة من الناحية الجيوسياسية، كما يشكّل النفط الأذري وموارد الأناضول المائية وموارد شمال العراق النفطية وحدة متكاملة من الناحية الجيواقتصادية.<sup>(196)</sup>

أما بالنسبة لروسيا، فتصوغ أيضًا مقاربتها للنزاع وفق محددات عدّة، أهمها:

1- إرث روسيا التاريخي في السيطرة على المنطقة في عهدي روسيا القيصرية والاتحاد السوفياتي.

2- تشكّل منطقة جنوب القوقاز (أرمينيا-أذربيجان-جورجيا) بالنسبة لروسيا عمقًا إستراتيجيًا، وحديقةً خلفيةً لا يمكن التفريط باستقرارها وأمنها.

3- المنافسة على أحواض الغاز الطبيعي في بحر قزوين، وخطوط مروره إلى أوروبا.

4- تعتبر أرمينيا شريكًا إستراتيجيًا لروسيا، سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا.

5- تحتفظ روسيا بقواعد عسكرية على الأراضي الأرمينية في منطقتي أربوني وغيومري القريبة من الحدود التركية، كما تسيطر طائراتها على المجال الجوي الأرميني.

6- أرمينيا عضو في منظمة معاهدة الأمن الجماعي، التي تضم بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي (وهي المنظمة التي انسحبت منها كل من أذربيجان وجورجيا عام 1999)، كما إنضمت عام 2014 إلى الاتحاد الاقتصادي الأوراسي.

7- تعتبر روسيا ضامنةً للأمن والاستقرار في جنوب القوقاز وحوض بحر قزوين، كقوة إقليمية عسكرية، وباعتبارها أيضًا مصدرًا مهمًا للسلاح لكل من أرمينيا وأذربيجان على حدّ سواء. ولعلّ ذلك يفسر مسارعته لرعاية ودعم إتفاق وقف إطلاق النار بعد ثلاثة أيام فقط من إندلاع الإشتباكات الأخيرة (2 إبريل/نيسان 2016).

8- يعتبر النفوذ الروسي في منطقة جنوب القوقاز موازنًا مهمًا للدور التركي، ومن خلفه الأميركي والأوروبي هناك، فضلًا عن إعاقته تواصل تركيا مع الجمهوريات التركية السابقة في آسيا الوسطى.

<sup>196</sup> أحمد داود أوغلو: "العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية"، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010، ص 154.

9- تسعى روسيا لإحتواء ومنع تقارب أرمينيا مع حلف الناتو والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأميركية؛ حيث شاركت أرمينيا مع الحلف في مهمات لحفظ الأمن في أفغانستان والبلقان، كما ينشط اللوبي الأرمني بقوة في واشنطن وبروكسل (عاصمة الاتحاد الأوروبي والناتو)، وبذلك يمكن فهم بيع موسكو الأسلحة لأذربيجان كضغط على يريفان والإبقاء على حاجتها لها في مجال التسليح.<sup>(197)</sup>

10- يتكامل التواجد الروسي العسكري في أرمينيا مع تواجدها العسكري في جورجيا وعلاقتها الإستراتيجية المتنامية مع إيران، ضمن منظومة موسكو الجيوبوليتيكية.<sup>(198)</sup>

11- التأثير الأرميني الكبير في الداخل روسيا، حيث قدر الإحصاء السكاني في روسيا عام 2002 عدد الأرمن فيها بـ1.3 مليون شخص، بينما يتجاوز عددهم وفق بعض الدراسات الحديثة المليونين نسمة؛ ما يجعلها الجالية الأكبر بين بقية الجاليات الأرمينية الأخرى.<sup>(199)</sup>

بناءً عليه، فكما لا يخفي الطرفان الروسي والتركي إختلافهما في المنطقة الإقليمية، فمن الواضح أنّ تنافس الأهداف بعيدة المدى في علاقتهما الثنائية نفسها يبقى كامناً فيها، على الرغم من الازدهار الحالي الظاهر في علاقتهما. وبهذا، تبقى الطبيعة التاريخية المتنافسة بين البلدين حاکمةً لمسار العلاقات بينهما، لاسيما في أقاليمهما المجاورة. ومن المتوقع أن تلعب الدبلوماسية دوراً كبيراً في التقارب التركي- الروسي، في ظل المشاكل التي تواجه تركيا مع الغرب.

إن كل ما سبق يطرح تساؤلات عديدة حول مستقبل العلاقات التركية-الروسية، وما ستؤول إليه الأمور بين الدولتين في ظل مجريات الأحداث والتطور الملحوظ الذي تشهده العلاقات التركية - الروسية، وهذا ما سنحاول الإجابة عنه في الفصل الثاني من هذا القسم.

<sup>197</sup> سعيد الحاج: مرجع سابق، ص 4 و 5 .

<sup>198</sup> ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا- مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004، ص 244.

<sup>199</sup> Robert A. Saunders, Vlad Struko: "Historical dictionary of the Russian Federation", (Scarecrow Press, 2010), p.50.

## الفصل الثّاني: مستقبل العلاقات التركيّة - الروسيّة.

تشهد العلاقات الثنائية الروسيّة - التركيّة في الفترة الحالية ذروة التطور؛ فعلى الرغم من إرث النزاع والمواجهة والتنافس على النفوذ منذ قرون، شكلت الظروف الاقتصادية والمتغيّرات السياسية التي شهدتها الدولتان في بداية القرن الحالي، فرصةً لإعادة النظر في طبيعة علاقاتهما السابقة. فبوصفهما دولتين كبيرتين متجاورتين، وتبنيان إستراتيجية جديدة لاستعادة الدور الفاعل على الساحة الدولية وإحياء المكانة التاريخية، فقد تطلب صعودهما، وبخاصة الاقتصادي، ضرورة تعزيز التعاون بينهما بسبب وفرة المصالح المتبادلة وتنوعها. وبالفعل، تسارع إنفتاح علاقات الدولتين تجاه بعضهما بعضاً في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية.<sup>(200)</sup>

وفي سبيل تطوير العلاقات التركيّة - الروسيّة، فقد إتفق البلدان على تأسيس مجلس التعاون التركي الروسي في أيار 2010م، وبناءً عليه أصبحت روسيا واحدةً من أكبر شركاء تركيا التجاريين، بحجم تبادل وصل إلى 26 مليار دولار سنة 2012م، وأن ربع إنتاج تركيا من الكهرباء يعتمد على واردات الغاز الطبيعي الروسيّة، وكان البلدان قد إتفقا مسبقاً على أن تبني روسيا أول محطة نوويّة لتوليد الطاقة على الساحل التركي شرق المتوسط، بإستثمار بلغ 20 مليار دولار، وتم توقيع إتفاقيات على إنشاء مجمّع للحديد والصلب، ومجمّع لبناء السفن العملاقة من قبل الشركات الروسيّة.<sup>(201)</sup>

إنّ كل ما سبق يطرح تساؤلات عديدة عن التكهّنات التي تدور حول مستقبل العلاقات التركيّة-الروسيّة، وما ستؤول إليه الأمور في ظل مجريات الأحداث التي تشهدها الساحة الدولية عامّةً، وبخاصة منطقة الشرق الأوسط، وهذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا الفصل من هذا القسم "مستقبل العلاقات التركيّة - الروسيّة"، حيث سيتم البحث عن إجاباتٍ لجملةٍ من التساؤلات:

<sup>200</sup> ناصر زيدان: مرجع سابق، ص 250.

<sup>201</sup> عبد الرزاق بوزيدي: التنافس الأمريكي الروسي في منطقة الشرق الأوسط (دراسة حالة الأزمة السورية 2010-2014)، رسالة ماجستير، جامعة بسكرة، تونس، 2015، ص 60.

1. هل من الممكن أن نصف العلاقات التركيبية الروسية بأنها علاقات تقارب أكثر مما هي علاقات تباعد؟ وهل تؤثر الأزمات والملفات الخلافية في المنطقة على هذا التقارب بين الدولتين؟.

2. وعلى ماذا يدل مؤشر شكل العلاقات التركية-الروسية في الأصل (علاقات ثابتة، قوية، متذبذبة، ضعيفة، إرتدادية)؟.

3. وما حجم الإتفاقيات الموقعة بين البلدين؟.

4. وهل يمكن أن ننظر إلى هذه الاتفاقيات على أنها مؤشر لبناء علاقات مستقبلية؟.

على أي حال، فالإجابات تأتي في رصدٍ للترجمات والتحليلات والمتابعات والقراءات. وتبقى السنوات القادمة وحدها كفيلةً بالتأكيد على إجابات كل من هذه التساؤلات.

إنطلاقاً مما سبق، سنتحدث في المبحث الأول من هذا القسم عن آفاق التعاون المتبادل بين روسيا وتركيا والتي ساهمت بدفع الطرفين التركي والروسي نحو التقارب في العديد من الملفات والقضايا السياسية والإقتصادية. أما في المبحث الثاني، سنتناول بعض المحطات البارزة في العلاقات بين الدولتين، وذلك ما بين عامي 2000-2016م، والتي من خلالها نستطيع توقع وإستقراء مستقبل العلاقات التركيبية - الروسية.

## المبحث الأول: آفاق التعاون المتبادل بين روسيا وتركيا.

إن البحث في العلاقات التركيّة-الروسية وتحليلها أمر بالغ التعقيد. فروسيا وتركيا الحديثة كانتا إمبراطوريتان كبيرتان تقفان على جغرافيا كبيرة مستقرة نسبياً، وتاريخٍ مرير، تجمعهما المصالح المشتركة والحذر المتبادل. ولا يخفى أنّ السياسة الدوليّة هي نتاج تشابك السياسات الخارجية للدول، والصراع بين هذه الدول يكون أحياناً صراع تعارض وتنافس، وأحياناً أخرى تعاون وتقارب، من أجل تحقيق المصالح والمنافع الخاصة بالدول، في حين أن هذه العلاقات قد تتعدّد بين الدول، وبخاصة العظمى منها، عندما تتضارب المصالح فيما بينها، وتشعر إحداها أن أمنها القومي ومصالحها باتوا مهددين بالخطر، وهنا يسعى الطرف الأقوى دائماً إلى تغيير اللعبة الدوليّة بما يخدم مصالحه، وسياساته الداخلية والخارجية، كما هو الآن حال العلاقات بين كلٍ من روسيا وتركيا.

على الرغم من الصراع السياسي الذي حكم مصير البلدين لسنين طويلة، إلا أن قطاع الاقتصاد بقي حجر الزاوية لهذه العلاقات الثنائية، حيث وصل التبادل التجاري فيها بين البلدين عام 2017 إلى 37 مليار دولار سنوياً، بعد أن كان قد إنخفض إلى 28 مليار دولار عقب حادثة إسقاط الطائرة الروسية عام 2015 في سوريا. ولعلّ إلتقاء المصالح الإستراتيجية بين البلدين بسبب طبيعة الجغرافية والتاريخ لكلاهما، تجعل زعمي البلدين يتطلعان إلى علاقاتٍ مميزةٍ، من خلال توقيع إتفاقياتٍ إستراتيجيةٍ طويلة الأمد، وإصرار البلدين على تخطي الأزمات، وتذليل الصعوبات التي تعترض علاقتهما الإستراتيجية وتقريب المسافات فيما بينهما.

إنطلاقاً مما تقدم نتحدث في هذا المبحث في عن أبرز الأزمات التي إعتضت العلاقات بين البلدين وكيف تعاملت معها من جهة، وعلاقة تركيا بالغرب ومدى تأثيرها على علاقتها مع روسيا من جهة ثانية، بالإضافة إلى أهم الإتفاقيات الإقتصادية الموقعة والمتفق عليها بين البلدين والتي ساهمت بشكلٍ كبير في تطور العلاقات التركيّة-الروسية على نحوٍ لم تشهد هذه العلاقات الثنائية من قبل من جهةٍ ثالثة.<sup>(202)</sup>

<sup>202</sup> فتحية محي الدين طه أحمد: مرجع سابق، ص 17.

## أولاً: إطفاء الأزمات بين البلدين

عملت كل من روسيا وتركيا على اعتماد سياسة حل الأزمات بين البلدين، في العديد من القضايا، التي كادت أن تشكل صراعاً بين الطرفين، أهمها:

1. في تشرين الثاني 2015 م، أسقطت تركيا مقاتلة روسية من نوع "سوخوي 24" شمال سوريا على الحدود مع تركيا، زعمت أنها اخترقت مجالها الجوي. ولم يحدث شيء مشابه لهذا بين روسيا وأحد أعضاء حلف الناتو، على الأقل طوال الخمسين عامًا الماضية. ووصف بوتين إسقاط الطائرة بأنه "طعنة في الظهر"، وتوقفت المحادثات بين الزعيمين حيث قامت روسيا، التي تعدُّ سوقاً رئيسيةً للسلع والخدمات التركية، بفرض عقوباتٍ اقتصاديةٍ على جارتها الجنوبية، كما طالبت مجال السياحة أيضاً، وإستغرق الأمر ما لا يقل عن عام ونصف من العمل الدبلوماسي لإصلاح العلاقة بينهما. بعد أن إعتذر الرئيس رجب طيب أردوغان عن الحادث في حزيران عام 2016م من خلال اتصال هاتفي جرى بين الرئيسين التركي والروسي، حيث جرى الإتفاق بينهما على آلية تقادي تكرر مثل هذه الحادثة.<sup>(203)</sup> وقال ألكسندر دوجين – الكاتب السياسي الروسي المحافظ المتشدد، وزعيم ما تسمى حركة أوراسيا الدوليّة – والذي يعمل أيضاً أستاذاً لعلم الإجتماع في جامعة موسكو المرموقة، أنّه قد لعب دوراً رئيسياً وسرياً، في إصلاح العلاقات بين تركيا وروسيا، وهو ما أكّده مسؤول رفيع في أنقرة. وذلك بعد أن أسقطت تركيا طائرة روسية على الحدود السورية في عام 2015، وما صاحب ذلك من تكهّات بنشوب حرب عالميّة ثالثة، إستغلّ الفيلسوف الناريّ ألكسندر دوجين علاقاته في كلا الدولتين لتشكيل قناة إتصال خلفيّة، ساعدت الرئيسين بوتين وأردوغان على إنهاء العداء المتصاعد والخطير بين البلدين، وفقاً لأحد الجنرالات الأتراك المتقاعدين، والذي سافر إلى روسيا إبّان الأزمة لإجراء محادثات سرية.<sup>(204)</sup>

<sup>203</sup> مأمون العمري: "العلاقات الروسية – التركية تقارب مصالح وتحالف قوي"، صحيفة الأنباط، الأردن، العدد 4230، 4/3/2017، ص 5.

<sup>204</sup> هنري ميير وأونوانت: "الروسي الذي وصل بين بوتين وأردوغان وترامب"، ترجمة: عرب 48، موقع عرب 48، فلسطين، 2017/2/8، مقال نشر على: <https://www.arab48.com/ترجمان/08/02/2017/الروسي-الذي-وصل-بين-بوتين-وأردوغان-وترامب> (تاريخ الدخول: 2017/9/19).

2. في كانون الأول 2016م، هاجم ضابط شرطة تركي متطرف يعمل في وحدة مكافحة الشغب السفير الروسي في تركيا، أندريه كارلوف وقتله بينما كان السفير يلقي كلمة في معرض فني بعنوان "روسيا في عيون الأتراك" في العاصمة التركية أنقرة. ليقول المهاجم فيما بعد أثناء مواجهات جرت بينه وبين الشرطة التركية. وكان كارلوف السفير الروسي الرابع الذي قتل أثناء تأدية واجبه. ومع ذلك، تجنبت الدولتان أي صدع وتوتر في العلاقات حتى ولو كان طفيفاً. وقال المتحدث باسم بوتين: "ربما كانت هذه محاولة للوقية بين روسيا وتركيا"، وأضاف "ولكن البلدين مستمران في التعاون وبشكل وثيق، وأكثر فاعلية ضد أولئك الذين نفذوا هذا الاستفزاز". وفي إتصال هاتفي جرى بين الرئيسين التركي رجب طيب أردوغان ونظيرة الروسي فلاديمير بوتين إتفق الطرفان على إرسال روسيا لثمانية عشر محققاً روسياً ودبلوماسياً للتحقيق في الحادثة. من جهتها تركيا إستتكرت الحادثة وفتحت تحقيقاً لمعرفة مجريات الحادثة والدوافع الكامنه ورائها، منتهمة جماعة فتح الله غولن بالضلوع في الحادثة في الوقت الي إستتكر فيه الأخير الحادثة بشدة. كما وأطلقت على الشارح المقابل للسفارة الروسية إسم السفير الروسي "أندريه كارلوف" تخليداً لذكراه.<sup>(205)</sup>

3. في شهر تموز 2016، شهدت تركيا محاولة انقلاب عسكري، حيث وقف الكرملين بشكل حاسم إلى جانب الحكومة التركية. وذكرت تقارير أن الاستخبارات العسكرية الروسية نقلت إلى الجانب التركي تحذيراً حول انقلاب وشيك، وهو الأمر الذي لم يتم تأكيده أو نفيه. وفي أعقاب الانقلاب الفاشل تقارب البلدان بشكل أوثق. وعلى عكس شركاء تركيا الغربيين، لم ينتقد الكرملين حملة أردوغان التي شنّها بشكل واسع النطاق في كل من وسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية، وغيرها من المؤسسات التي إعتبرتها أنقرة متواطئة في الانقلاب. في الوقت الذي قامت فيه أمريكا وحلفاء تركيا الغربيين بإيواء من شارك بالإنقلاب ورفض أمريكا تسليم فتح الله غولن وبعض الأشخاص الذين تتهمهم تركيا بتدبير الإنقلاب، وهذا ما دفع الحكومة التركية الى وصف ردود الفعل الغربية المتأخرة بـ "المخيبة للأمال".<sup>(206)</sup>

<sup>205</sup> مأمون العمري: المرجع نفسه.

<sup>206</sup> مأمون العمري: المرجع نفسه.



4. بتاريخ 9 شباط من العام الحالي (2017م)، قامت قاذفة روسية بضرب منطقة مدينة الباب السورية الشمالية مستهدفة بعض الجهاديين، إلا أنها أصابت مبنى حيث توجد قوات تركية. وقد أدى الهجوم الخاطئ إلى مقتل ثلاثة جنود أتراك وجرح 11. وكانت هذه أحدث حلقة في مسلسل حوادث "النيران الصديقة" الذي ازداد بين الجانبين. وفي محادثة هاتفية مع نظيره التركي، أعرب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عن حزنه وتعازيه لضحايا هذا الحادث. وكانت وزارة الدفاع الروسية قد أكدت، في بيان لها مقتل ثلاثة عسكريين أتراك عن طريق الخطأ في غارة نفذتها طائرة للقوات الجوية الروسية في مدينة الباب، وبدوره قدم رئيس الأركان الروسية تعازيه بالحادث لنظيره التركي، مؤكداً بأن الجانبان التركي والروسي سوف يجريان تحقيقاً حول الحادثة.<sup>(207)</sup>

5. أظهر التعاون الروسي التركي على الأرض في سوريا تطوراً كبيراً ينبىء باحتمالات بناء صفقات بين البلدين بشأن سوريا في معزل عن الولايات المتحدة. ففي موضوع الخلاف التركي الكردي، فقد اعترفت موسكو بأحقية تركيا في التعامل مع وحدات حماية الشعب على أنهم "إرهابيين" وحققها في محاربتهم. وفي كانون الأول 2016، إنحازت تركيا التي تعارض بشار الأسد من البداية، إلى صف القوات المسلحة السورية، التي تدعمها القوات الجوية الروسية، لاستعادة حلب ومدينة الباب، التي يسيطر عليها ما يسمى بتنظيم داعش في شمال سوريا. حيث من الواضح أن روسيا وتركيا قد أبرمتا صفقة في سوريا عام 2017 في إطار التعاون بينهما في المنطقة. وبحسب ما ذكرت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية حينها، فقد "اتفقت روسيا وتركيا على أن تدخل القوات الموالية للحكومة مدينة الباب في حلب وليس المعارضة". فيما ذكرت صحيفة فيدوموستي الروسية أنه بينما إقترب القوات السورية المدعومة من روسيا من الجنوب، قامت القوات التركية والقوات المدعومة تركياً (بعض فصائل المعارضة) بالسيطرة على تلك المدينة، مشيرة أن استعادتها تحققت بعد هجوم نهائي إستغرق ثلاثة أسابيع تقريباً، وبعد ستة شهور من بدء عملية درع الفرات. وعلى ما يبدو أن هذه هي الصفقة الروسية - التركية، كما قالت الصحيفة في مقال لها تحت عنوان: "روسيا

<sup>207</sup> مأمون العمري: المرجع نفسه.

وتركيا تفصلان شمال سوريا". كما تقود روسيا أيضاً جهوداً دبلوماسيةً دوليةً، للتوفيق بين مصالح العديد من الوكلاء والجماعات المتعارضة التي تقاوم على الأرض. كما تعترم روسيا بوضوح البقاء في المنطقة ولأمدٍ طويل. (208)

6. نتيجة أزمة أوكرانيا، تم فرض عقوباتٍ اقتصادية صارمةٍ على روسيا من قبل الولايات المتحدة وحلفائها "بعد دخول روسيا العسكري للقرم ومناطق شرق أوكرانيا"، وتم تشديد الضغوط عليها ومحاصرتها، وبخاصة بعد قرار الناتو بنشر قوات في جمهوريات البلطيق، بالتزامن مع تشغيل مشروع الدرع الصاروخي شرق أوروبا في رومانيا وبولندا. وفيما بدت روسيا بأنها على يقين من إستمرار الحصار والعقوبات الاقتصادية ضدها في الملف الأوكراني، وهي تعرف أن تركيا تتمتع بموقع جيوسياسي مهم، وتمتتع أو لا تريد الإنخراط الجدي في السياسة الغربية ضدها، وتأخذ مسافة واضحة من تلك السياسة، تحديداً فيما يخص العقوبات الاقتصادية. (209) في مقابل هذا وافق الطرف الروسي على طلب تركيا المتعلق بجعل اللغة التركية التتارية لغة رسمية للسكان في شبه جزيرة القرم.

7. واجهت تركيا في تعاملها مع طرفي الصراع الروسي والجورجي أصعب أزمةٍ سياسيةٍ خارجيةٍ، فهي من جهة مرتبطة بجورجيا، جارتها من الغرب - بعلاقاتٍ متميزةٍ ذلك أنها المكان الذي يمر به أنبوب النفط الآذري الواصل الى ميناء جيهان التركي، فضلاً عن أن ممر خط سكة الحديد الذي سيربط تركيا بأذربيجان سيكون من أراضي جورجيا أيضاً، فتركيا ترى أن علاقتها بجورجيا تشكل عنصر توازن مهم في علاقاتها بباقي دول القوقاز.

ومن جهة أخرى، تدخّل علاقات تركيا بروسيا في حسابات صعبة، لأن روسيا تعتبر في مقدمة مزودي تركيا بمادة الغاز، علاوة على طموحها بإيصال معدل التبادل التجاري بينهما إلى 100 مليار دولار، وقد شعرت تركيا بقلق كبير إزاء التدخل العسكري لحلف الناتو في الأزمة الجورجية، بعدما حملتها روسيا مسؤولية عبور السفن الحربية التابعة للناتو لمضيق البوسفور

<sup>208</sup> مأمون العمري: المرجع نفسه.

<sup>209</sup> مأمون العمري: المرجع نفسه.

والدردنيل اللذين يربطان البحر المتوسط بالبحر الأسود، ما جعلها تتخذ الخيار العقلاني الافضل بالنسبة لها، والمتمثل بتكثيف الجهود الدبلوماسية الوقائية لمنع توسع دائرة الصراع، إلى جانب صياغة حلولٍ سريعةٍ لتفادي التورط في صراع هي في غنى عنه، فلجأت إلى دعم وحدة الأراضي الجورجية، وفي الوقت نفسه الإحجام عن إدانة العمليات العسكرية الروسية.<sup>(210)</sup>

وعليه فإن تركيا وروسيا إستطاعتا الى حدٍ ما من تجاوز الخلافات فيما بينهما وتخطي العوائق التي تعترض مسير علاقتهما، وذلك من خلال التعامل مع هذه المشكلات بحكمة وحزم بما يصب في خدمة ومصالح كلا الطرفين.

### ثانياً: علاقة تركيا بالغرب.

ليس صحيحاً أن أفق التعاون التركي الروسي محدود وضيق، أو أنه ذو سقف معين لا يستطيع تجاوزه، ولا أدلّ على ذلك من أن تركيا أمام مشهد متغير في أوروبا نحو اليمين المتطرف، الذي سيكون أكثر رفضاً لقبول تركيا في الاتحاد الأوروبي، بل إن الاتحاد الأوروبي يوشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، بعد خروج دعوات في فرنسا قبل الإنتخابات الرئاسية الأخيرة فيها للإسحاب من الاتحاد الأوروبي. وقد صرح وزير ألماني سابق خلال العام 2017 أن تفكك الاتحاد الأوروبي أصبح أمراً محتملاً، فإنسحاب فرنسا منه سوف يحرم ألمانيا قيادة أوروبا وحدها، سواءً في الاقتصاد أو السياسة الأوروبية، لأن أكبر دولتين أوروبيتين بريطانيا وفرنسا ستكونان خارجه.<sup>(211)</sup>

اليوم، وبعد أكثر من 30 سنة من تقديم تركيا طلباً رسمياً للإضمام إلى ما كان يسمى سابقاً بالمجموعة الاقتصادية الأوروبية ( الذي تحول عام 1992 بعد توقيع معاهدة ماستريخت إلى ما بات يعرف حالياً بإسم الاتحاد الأوروبي)، وأكثر من عشر سنوات من بدء المفاوضات للإضمام الى الإتحاد (بدأت عام 2005) بعد أن تم الإعتراف بتركيا كمرشح كامل العضوية

<sup>210</sup> معمر فيصل الخولي: مرجع سابق، ص53-54.

<sup>211</sup> محمد زاهد جول: "أفاق العلاقات التركية الروسية وطموحاتها"، جريدة القدس العربي، لندن، العدد:

7/2/2017، ص22.

عام 1999 م، ما زال أمام تركيا شوطٌ كبيرٌ لتقطعه في مسيرة عضويتها المأمولة، فهناك 14 فصلاً من أصل 35 فُتِحَ للتفاوض، كما تعلقّ دول مثل فرنسا وألمانيا وقبرص (اليونانية) ثمانية فصول أخرى وتمنع فتحها، ونظام الاتحاد الأوروبي - يشترط موافقة جميع الدول الأعضاء لفتح أي فصلٍ للتفاوض، ما يعني إستحالة أو على الأقل تأجيل قبول تركيا عضواً في الاتحاد الأوروبي الى أجل غير مسمى، إضافةً إلى أن الاتحاد الأوروبي يعتبر نادياً مسيحياً وقد يجعل من وجود تركيا فيه وهي دولةٌ مسلمةٌ أمر شبه مستحيل، وكذلك إجراءات السلطات التركيّة بعد الانقلاب، أعطت ذريعةً للاتحاد الأوروبي لإعداد إقتراح تجميد مفاوضات الإنضمام مع أنقرة، بالمقابل أظهر الجانب التركي عدم مبالاة وتجاهل عملية التصويت التي يجريها الاتحاد الأوروبي، حيث صرّح أردوغان "إن عملية التصويت التي يجريها البرلمان الأوروبي على وقف محادثات عضوية بلاده في الاتحاد الأوروبي ليس لها في نظرنا أي قيمة".<sup>(212)</sup>

أما حلف الناتو، فهو يواجه صعوبات أكبر مع مجيء الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، الذي يقول إنه أصبح قديماً ولا حاجة له، وأن على الدول الأوروبيّة أن تتحمل كلفة حماية نفسها عسكرياً، فإذا أرادت الحماية الأمريكيّة فعليها أن تدفع حصتها لأمريكا وليس العكس، وهذا ما صرح عنه بوضوح في خطاب تسلمه الرئاسة، وقد ظهرت خطواتٍ تطبيقيةٍ في هذا المجال، أبرزها صفقة ال 450 مليار دولار مع المملكة العربية السعودية، وهذا كله يضع السياسة التركيّة في خيار الإستقلال عن أوروبا أكثر من ذي قبل، لأنها لن تستطيع المراهنه على الغرب الذي يذهب إلى سيطرة اليمين المتطرف أو إلى الشعبوية الضيقة.<sup>(213)</sup>

فتركيا ترى في إحتضان الولايات المتحدة للمعارض التركي فتح الله غولن المتهم بتدبير المحاولة الانقلابية خطوة أميركية سلبية في إطار العلاقات المشتركة، هدّدت الامن والاستقرار التركي الداخلي. وهل كان اتهام وزير العمل والأمن الاجتماعي التركي سليمان سويلو في تصريحاته لقناة "هابرتورك" التركيّة، أمريكا بالوقوف وراء محاولة الانقلاب الفاشلة بتركيا من

---

<sup>212</sup> خالد عبد المنعم: "أردوغان بين تجميد عضوية الاتحاد الأوروبي والعلاقة مع موسكو"، موقع البديل، القاهرة، 23/11/2016، مقال نشر على الرابط: <https://elbadil.com/2016/11/أردوغان-بين-تجميد-عضوية-الاتحاد-الأور>، (تاريخ الدخول 17/4/2017).

<sup>213</sup> محمد زاهد جول: المرجع نفسه.

فراغ؟ أم من واقع تقارير وأدلة حصلت عليها الحكومة التركية؟ فقد قال سليمان إن "طموحات أمريكا وخططها كانت وراء محاولة الانقلاب العسكري الأخير في البلاد"، وهل كان إتهام الرئيس أردوغان لفتح الله غولن\* -رجل الأعمال والدين المقيم في بنسلفانيا- بالتخطيط للانقلاب العسكري الفاشل، اتهامًا ضمنيًا للولايات المتحدة الأمريكية بالتخطيط أو دعم ومساندة الانقلاب العسكري من أجل إسقاط حكومة أردوغان.<sup>(214)</sup>

إن علاقات تركيا مع حلفائها الغربيين (الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وحلف الناتو) كانت قد توترت لأسباب عديدة، أهمها الأزمة السورية ودعم الأكراد، ثم الموقف من الانقلاب الفاشل وتبعاته، و سماح تركيا للنازحين السوريين بالعبور من أراضيها الى الدول الأوروبية، إضافة إلى المشكلة الدبلوماسية التي حصلت بينها وبين أميركا على خلفية اعتقال تركيا لدبلوماسيين أتراك يعملون في السفارة الأمريكية والتي أدت إلى وقف منع التأشيرات للطرف الآخر في كلٍ من الدولتين، هذا بالإضافة إلى مشكلة تسارع خطوات المشروع الكردي على حدودها الجنوبية والمدعوم عسكرياً من قبل أميركا، وهو ما من شأنه تأسيس قاعدة لتدريب مسلحي حزب العمال الكردستاني، وإطلاق عملياتهم ضدها من الشمال السوري إضافةً لشمال العراق والداخل التركي، وهو تحدٍّ كبيرٍ للأمن القومي التركي. وهذا من شأنه أن يدفع تركيا إلى توثيق شراكتها مع روسيا، ولا سيما وأن روسيا قادرةً على إحتضان وتفهم موقف تركيا.<sup>(215)</sup>

على طرف المعادلة الآخر فإن موسكو سياسياً تُبدي اهتماماً كبيراً بنزعة الاستقلالية في السياسة الخارجية التركية عن الولايات المتحدة، وقد تنبتهت موسكو لهذا منذ أن رفض البرلمان التركي السماح باستخدام الأراضي التركية لغزو العراق في 2003، كما أن عدم دعم تركيا المباشر للعقوبات الغربية والأوروبية ضد روسيا بعد الأزمة الأوكرانية واختلافها مع واشنطن تجاه

---

\* إن جماعة "فتح الله غولن" ليست حزباً أو تنظيمًا، بل هي أشبه بحالة أو تيارٍ نما وتغلغل داخل مؤسسات الدولة، من خلال المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية، وأصبح لأنصار غولن حضورٌ واسعٌ في دوائر صنع القرار القضائي، وجهاز الشرطة، والإعلام والمؤسسات المالية، والتعليمية، بعد أن تمكّن في السنوات السابقة من تدريس وتعليم الكثير من خريجي الجامعات والمدارس الثانوية في مختلف أنحاء الجمهورية التركية وخارجها.

<sup>214</sup> وليد شوشة: "أمريكا وانقلاب تركيا الفاشل"، نون بوست، نون بوست، 21/7/2016، مقال نشر على الرابط الإلكتروني التالي: <http://www.noonpost.org/content/12946> ، (تاريخ الدخول: 2017/4/17).

<sup>215</sup> وليد شوشة: المرجع نفسه.

الوضع في سوريا يؤكد نزعتها الاستقلالية. ويضاف لهذا تطوير علاقات تركيا مع روسيا في مجال الاقتصاد الذي تنظر فيه روسيا بشغف لما توفره تركيا من فرص بديلة لها في ظل العقوبات الأوروبية المفروضة على روسيا وتعطل عدد من الاتفاقات الاقتصادية بسبب التخوفات من استعادة النفوذ الروسي على دول أوروبا الشرقية، وكما تلعب روسيا على وتر تعثر انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي وملفات أخرى، لكن لا ينبغي إغفال أن الخلاف مع روسيا تجاه الوضع في سوريا تحديداً هو خلاف مبدئي بل ويتخذ صفة العداء غير المباشر من خلال دعم الأطراف المتصارعة أما الخلاف مع واشنطن فهو على طريقة وآليات الحل، وهو ما تدركه واشنطن وتحاول أن تستفيد منه.<sup>(216)</sup>

بالعودة الى روسيا فقد وجدت موسكو في تركيا دولة قوية، وبالأخص بقيادة حزب العدالة والتنمية وأردوغان، فروسيا بحاجة إلى صداقة دولة قوية في أوروبا ومستقلة عن المواقف الأوروبية، ولا تتصاع لأوامر أوروبا المعادية لروسيا، وقد كان الانتصار التركي على الانقلاب الأمريكي والغربي في 15 يوليو 2016 مؤشراً حقيقياً على قوة الدولة التركية والحزب الحاكم والرئيس الحاكم وتلاحمه مع الشعب التركي، وبما أن روسيا بحاجة إلى تركيا القوية، التي تملك قرارها السياسي والعسكري، ولو كان بدرجة أقل من الطموحات الروسية، بسبب ارتباطات انقرة السياسية والعسكرية مع الغرب، فإن روسيا ترى نفسها مطالبة بأن تقوي علاقاتها بتركيا القوية أيضاً، فالسياسة الروسية لا تسعى لكسب تبعية تركيا إليها، لأنها تعلم أن تركيا نفسها لا تسعى ولا تقبل التبعية لأحد.<sup>(217)</sup>

لا بد لنا من الإشارة هنا إلى أنّ الولايات المتحدة الأمريكية أبدت من جهتها عدة خطوات تقاربية تجاه تركيا في السنوات الماضية، ولاسيما فيما يتعلق بمجال الطاقة، من ضمنها التوقيع على إتفاقية تفاهم تقوم الولايات المتحدة من خلالها بتزويد تركيا بالطاقة، كما طُرح بين كل من تركيا والولايات المتحدة الأمريكية ملف إمكانية إنشاء الأخيرة لمحطة طاقة نووية في تركيا؛ وتبدو هذه الفكرة في إطار طرح واشنطن نفسها كبديل عن المشاريع الروسية في تركيا.

<sup>216</sup> Mustafa Küçük: "Rusya oyunu doğru oynamadı", hurriyet Daily News, Ankara 22/11/2014.

<sup>217</sup> محمد زاهد جول: المرجع نفسه.

ولهذه الأسباب المذكوره اعلاه، تُبدي كل من واشنطن وموسكو اهتمامًا متزايدًا بأنقرة، وكان جو بايدن نائب الرئيس الأميركي قد أنتقد روسيا خلال خطابه في قمة الاقتصاد والطاقة للمجلس الأطلسي المنعقد بتاريخ 4 و5 ايلول 2014 في جنوب ويلز ببريطانيا، متهمًا روسيا بأنها تنتهك القوانين الدولية وقوانين التجارة من خلال استخدامها للطاقة كأداة أساسية لسياستها الخارجية تجاه الدول الأوروبية، حسب قوله. (218)

في النهاية إن إبعاد روسيا عن تركيا أو تركيا عن روسيا في حدودٍ معينة أمرٌ في بالغ الأهمية بالنسبة للدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، ولاسيما من خلال الملفات المعقدة في المنطقة، ومهما إستعرضت روسيا من قوتها العسكرية تبقى حاجتها الملحة لتركيا، ومصالحها الكبيرة معها، تدعوها للحفاظ على علاقاتٍ اقتصاديةٍ وسياسيةٍ سليمةٍ مع أنقرة، وعدم دفعها إلى البحث عن شركاءٍ بديلةٍ أيًا كان التنافس بين الدولتين.

### ثالثاً: الإتفاقيات الاقتصادية.

لعلّ زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى تركيا نهاية العام 2004م، هي التي وضعت حجر الأساس للعلاقات بين البلدين وتوقيعه في حينها على الإعلان المشترك لتعميق الصداقة والشراكة ذات البعدين السياسي والاقتصادي بين تركيا وروسيا، ثم تكررت الزيارات المماثلة، وكانت زيارة الرئيس التركي عبدالله غول الى روسيا في شباط 2009م والتي إتسمت ببرنامجٍ مكثفٍ جداً عكس عمق العلاقات المتنامية بينهما، وأعطت الزيارة إنطباعاً أن هذه العلاقة تنتقل من إطار الجيرة إلى إطار التعاون الإستراتيجي، خصوصاً بعد تنويع تركيا لخياراتها الخارجية، وإتباعها سياسة تعدد الأبعاد والتي لم تستثن أحد. (219)

كما تمّ التوقيع على اتفاق حكومي دولي لمشروع خط أنابيب السيل التركي للغاز الطبيعي، الذي سينقل الغاز الطبيعي الروسي إلى أوروبا عبر تركيا. كما تم أيضاً وضع التوقيع على

<sup>218</sup> Russian gas to Turkey via West Line falls by 40 percent, Anadolu Agency, Ankara, 20.11.2014, <https://aa.com.tr> (accessed:24/12/2017).

<sup>219</sup> عامر علي العلق: مرجع سابق، ص 124.

الإتفاقية من قبل وزير الطاقة والموارد الطبيعية التركي بيرات البيرق، ووزير الطاقة في الاتحاد الروسي ألكسندر نوفاك، بحضور الرئيس أردوغان والرئيس بوتين، خلال مؤتمر الطاقة الثالث والعشرين العالمي، المنعقد في أنقرة بتاريخ 2016/10/10م. وفي إشارة إلى أنه ونظيره بوتين حضرا معاً الجلسة الإفتتاحية للمؤتمر، قال الرئيس أردوغان أنه عقد بين الطرفين إجتماعاً ثنائياً تناولوا فيه أهم القضايا التي تساهم في تقريب العلاقات بين الدولتين، وأضاف أن وزراء وخبراء مختصين يواصلون الاجتماعات. وأشار الرئيس أردوغان إلى أن الاجتماع الثنائي كان على جدول أعماله قضايا متعلقة بالطاقة والاقتصاد والتجارة والدفاع والسّيّاحة والثقافة.<sup>(220)</sup>

في النصف الثاني من العام 2016 عاد التطبيع في العلاقات التركيّة-الروسية إثر توترها بعد إسقاط الطائرة الروسية في سوريا عام 2015، وعلى الرغم من توقعات البعض لنشوب نزاع عسكري بين البلدين، فإن ذلك لم يقع؛ بل سرعان ما أخذت العلاقات التركيّة-الروسية في التحسن بدرجة لافتة للنظر، وأخذت لقاءات القمة بين الرئيسين التركي أردوغان والروسي بوتين تتوالى بين أنقرة وموسكو وبطرسبورغ وغيرها، وتم التسريع برفع العقوبات الروسية عن الصادرات التركية، وإتمام كل العقود والاتفاقيات والصفقات السابقة. وفي العاشر من آذار عام 2017م، عقد الرئيسان الروسي والتركي إجتماعاً في موسكو، أسفر عن نتائج مشجعة في الميادين الدبلوماسية والتجارية والاقتصادية والعسكرية، ومهدّ الطريق أمام مزيد من التعاون الثنائي، وكان لهذا الحدث أهمية خاصة، إذ تم بعده إستئناف إجتماعات مجلس التعاون الروسي- التركي الرفيع المستوى لأول مرة منذ قيام تركيا بإسقاط المقاتلة الروسية.<sup>(221)</sup> وأكد وزير الطاقة الروسي، «ألكسندر نوفاك»، إن عدداً من الإتفاقيات الهامة تمخضت عن إجتماع مجلس التعاون التركي الروسي رفيع المستوى المنعقد في العاصمة موسكو المستوى المنعقد بتاريخ 2017/3/10م، ليس فقط في المجالات الاقتصادية، وإنما في المجالات التّقنيّة والثقافيّة أيضاً.

<sup>220</sup> توقيع مشروع خط أنابيب السيل التركي لنقل الغاز الطبيعي، رئاسة الجمهورية التركية، أنقرة، 2016/10/10، مقال مأخوذ من موقع الرئاسة <https://www.tccb.gov.tr>، ( تاريخ الدخول: 2017/4/17).

<sup>221</sup> آشور جوكدار: موسكو: اتفاقيات هامة ستوقع في القمة التركية الروسية، وكالة الأناضول، 2017/3/10، <https://aa.com.tr/ar/دولي/نوفاك-اتفاقيات-هامة-ستوقع-في-القمة-التركية-الروسية/768009#> (تاريخ الدخول: 2018/3/12).



كما أن الإجتماع شهد توقيع برنامج التعاون التجاري الاقتصادي العلمي الثقافي متوسط المدى بين البلدين، والذي سيشمل الفترة ما بين عامي 2017م و2020م. كما تم خلال الإجتماع التوقيع على بروتوكول يقضي بتأسيس صندوق إستثماري مشترك، بين صندوق الإستثمار الروسي وصندوق الأصول والاستثمار التركي. وإن وزارتي الثقافة والسياحة في كلا البلدين وقعتا خلال الإجتماع على إتفاقية لإعلان العام 2019م عام الثقافة والسياحة المتبادلة بين تركيا وروسيا. وبحسب الكرملين، فإن زعيمة الدولتين ناقشا، في اتصال هاتفي جرى بينهما قبل إنعقاد المجلس، جملة من المسائل الملحة و المتعلقة بتطوير العلاقات الروسية التركية في مجال الاقتصاد وعدداً من القضايا الإقليمية والدولية الأخرى.<sup>(222)</sup>

كذلك توصل البلدان خلال هذا الإجتماع إلى الإنتهاء من التحضيرات للإجراءات القانونية اللازمة لإنشاء الخط الأول من مشروع خط أنابيب السيل التركي لنقل الغاز الروسي إلى أوروبا، عبر الأراضي التركية، وأن الخط الأول من المشروع سيدخل الخدمة نهاية العام 2019م. كما بحث الطرفان (التركي والروسي) عدداً من القضايا المتعلقة بالتاريخ والمسار الخاص بالخط الثاني الذي سيصل إلى الحدود التركية اليونانية، إضافةً إلى إستمرار مباحثاتهما مع شركتي «DEPA» اليونانية، و«Edison» الإيطالية، حول مسألة إيصال الغاز الطبيعي إلى إيطاليا من خلال خط أنابيب «جوسيدو». وخلال الإجتماع أيضاً، تطرّق الطرفان إلى أهمية محطة «آق قويو» للطاقة النووية المقرر إنشاؤها في ولاية مرسين جنوبي تركيا، بالنسبة للعلاقات بين البلدين، والذي تبلغ كلفته 20 مليار دولار أميركي، وأنه يمكن إنهاء المشروع في الذكرى المئوية لتأسيس الجمهورية التركية عام (2023 م).<sup>(223)</sup>

بذلك فإن روسيا تحقّق حلم تركيا في أن تصبح مركزاً إقليمياً لعبور الغاز إلى الغرب، وستجني أرباحاً من رسوم الترانزيت، أما روسيا فستتمكن أخيراً من الحد من اعتمادها على أوكرانيا في ترانزيت الغاز بعد الأزمة مع أوكرانيا، وبذلك تكون روسيا قد حققت مكاسب جيوسياسية كبيرة أيضاً، وأرسلت رسالة قوية للغرب مفادها بأنها لم تعد في عزلة دولية ووجدت

<sup>222</sup> آشور جوكدار: المرجع نفسه.

<sup>223</sup> آشور جوكدار: المرجع نفسه.

بديلاً لمشروع السيل الجنوبي الذي تعرّث في نهاية 2014م، وسط تصاعد الخلافات بين روسيا والاتحاد الأوروبي بسبب الأزمة الأوكرانية.<sup>(224)</sup>

كذلك إتفقا على قيام أنقرة بتجهيز البنى التحتية اللازمة من أجل منظومة "مير" الروسية. أطلقت روسيا في العام 2016 بطاقتها المصرفية "مير"، وأصبحت منافسة في السوق الروسية لبطاقتي "فيزا" و"ماستر كارد" الأمريكيتين. بحيث تمكن الروس من سحب الاموال في تركيا، وسوف يتم تطبيق المشروع من خلال مصرف " دنيز بنك " التركي، واللافت في شكل خاص هو أنه منذ العام 2017م، تمكن الروس من الدفع بالروبل في تركيا، ويدفع الأتراك بالليرة في روسيا. وقد وافقت كلاً من روسيا وأنقرة على أن العام 2019م سيكون عام الإختلاط الثقافي والسّياحي بين البلدين، وعودة السّياح الروس إلى المنتجعات التركيّة، وهذا أمرٌ ترغب تركيا في الحفاظ عليه وتعزيزه، وقد لفت بوتين إلى أن الدوائر الروسية والتركيّة المختصة مكلفة توسيع الإجراءات الأمنيّة التي تتخذ لحماية السّياح الروس.<sup>(225)</sup>

إن ما سبق إن دلّ على شيء فإنما يدل على حجم العلاقات الإقتصادية بين تركيا وروسيا ومدى أهميتها وقدرتها الكبيرة على التقريب بين دولتين، في ظل المصالح المشتركة التي تجمع بينهما، والتي تدفعها الى إيجاد حلولٍ مشتركة تبعاً لمصلحة كلٍ منها في القضايا التي تشكل موطن خلاف بين البلدين.

---

<sup>224</sup> ماكسيم سوخوف: "ما مدى اكتمال التطبيق بين روسيا وتركيا؟"، AL-MONITOR، واشنطن، <http://www.al-monitor.com/pulse/ar/originals/2017/03/russia-turkey-normalization-process-erdogan-putin-syria.html> (تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 17/4/2017).

<sup>225</sup> ماكسيم سوخوف: المرجع أعلاه.

## المبحث الثاني: العلاقات التركية - الروسية... نظرة مستقبلية.

يجب أن يكون هناك شيء قوي وهام في قلب العلاقة بين أي دولتين متنافستين، يستطيع من خلاله الجانبين التغلب على الصعوبات والإختلافات في التوجهات السياسية بينهما. وفي هذا الصدد تأتي روسيا وتركيا كمثال بارز لهذه القضية، فهما من الناحية التاريخية دولتان خصمتان تاريخهما غني بالصراعات والحروب الدامية، أصبحتا حديثاً دولتين متعاونتين، إن لم نقل حليفتين نشطتين.<sup>(226)</sup> واليوم تمر العلاقات بين الجانبين بمرحلة تغيير واضحة الملامح، قد تظهر آثارها تبعاً لخلق صيغة عصرية لإدارة هذه العلاقة التي ربما تكون علاقة واعدة وجاذبة لعلاقات تعاونية أخرى في تلك المنطقة التي يسودها حراك جاهز لأخذ أي اتجاه.<sup>(227)</sup>

في سبيل تحليل و إستقراء مستقبل العلاقات التركية-الروسية، سنتحدث في هذا المبحث عن أبرز وأهم الأحداث التي ساهمت في انتقال العلاقة بين الدولتين من الخصومة الى التعاون، وما ستؤول إليه العلاقات بين البلدين في المستقبل، وذلك في ضوء مجريات الأحداث التي شهدتها العلاقات الثنائية بين الدولتين من العام 2000 م ولغاية العام 2016 م.

### أولاً: العلاقات الروسية - التركية من الخصومة إلى التعاون.

على الرغم من إرث النزاع و التنافس على النفوذ الذي شهدته العلاقات الروسية-التركية منذ قرون، فقد شكّلت الظروف الاقتصادية، والمتغيرات السياسية، التي تشهدها الدولتان منذ بداية القرن الحادي والعشرين، فرصة لإعادة النظر في طبيعة علاقاتهما السابقة. فبوصفهما دولتين كبيرتين متجاورتين، وتبنيان إستراتيجية جديدة لإستعادة الدور الفاعل على الساحة الدولية، وإحياء المكانة التاريخية، فقد تطلب صعودهما، وبخاصة الاقتصادي، تعزيز التعاون بينهما، بسبب وفرة المصالح المتبادلة وتنوعها. ومع أنّ شراكتهما قد تركزت في مجالات إستراتيجية

<sup>226</sup> مأمون العمري: "العلاقات الروسية - التركية تقارب مصالح وتحالف قوي"، المرجع نفسه.

<sup>227</sup> محمد طلعت: مرجع سابق، ص10.

عديدة، فلم يؤد ذلك إلى تلاشي طموحاتهما التاريخية المتنافسة، ولا نزاعهما الإقليمي، وبخاصة في المنطقة العربية.<sup>(228)</sup>

بسبب طبيعة مصالحهما في المنطقة التي تتطوي على تحالفات مع أطراف متناقضة، (التحالف التركي الأميركي - والتحالف الروسي الإيراني)، أصبح تعزيز دور أحدهما وعلاقته، يعني إضعافاً لدور الآخر ومصالحه. وعليه يناقش كلا البلدين التقارب التاريخي الذي توصلت إليه روسيا وتركيا، ومجالات التعاون الإستراتيجي ومصالح الدولتين المشتركة، ومكاسبهما، والانعكاسات بعيدة المدى لهذا الترابط على سياسات الدولتين إقليمياً، ويفسّر التناقض الظاهر بين العلاقات الثنائية المتطورة من جهة، وبين التنافس الإقليمي وتباين سياساتهما في المنطقة العربية من جهة أخرى، بأن كل منهما تحرص على تحقيق المزيد من تحقيق المصالح المشتركة، سواء في المجال الاقتصادي، أو السياسي، أو العسكري، أو الأمني.

إنّ المتتبع للعلاقات التركيّة الروسيّة منذ بداية تكوّن الدولتين، يعرف أن الأصل في هذه العلاقات هو التوافق ومحاولة بناء جسور الثقة، وهذا ما نراه جلياً في الوقت الحاضر، في عهدي الرئيسين فلاديمير بوتين ورجب طيب أردوغان. وإن كانت تركيا قد إنحازت في سياستها الخارجية نحو المعسكر الغربي، ولكن ثمة نقطة من الواجب معرفتها عن سياسة تركيا المتبعة في العلاقات الدوليّة ألا وهي "التوازن المرن"، وفق واضح نظرية تصفير المشاكل، وبقية السياسات الخمسة المبنية وفق العمق الإستراتيجي، رئيس الحكومة السابق أحمد داوود أوغلو، جعلتها تنتهج سياسة أكثر إنفتاحاً مع باقي القوى والتكتلات الإقليمية والدوليّة، ربما تخلت تركيا عن العمل بهذه النظرية في ظل تطور الأحداث في المنطقة إذ أنها من طبيعة الجغرافيا السياسية للأناضول.<sup>(229)</sup>

منذ العام 2000م عالج الطرفان التركي والروسي الكثير من الأزمات التي تباينت فيها وجهات النظر، من خلال التعاون والعمل على إيجاد مخارج من خلال مواقف موحدة، تخدم الطرفين في ظل النزعات التوسعية لحلف الناتو وهيمنة القوى الغربية على المشهد الدولي. إلا

<sup>228</sup> فتحة محي الدين طه احمد، مرجع سابق، ص14.

<sup>229</sup> مأمون العمري: المرجع نفسه.

أن حرص الروس على التدخل في المشهد السوري، والوقوف إلى جانب الرئيس السوري بشار الأسد، من خلال دعمه عسكرياً وسياسياً في الحرب الأهلية ضد الجماعات المعارضة في سوريا ومنع سقوطه، للحفاظ على ما تبقى لها من نفوذ في منطقة الشرق الأوسط بعد خسارتها لحليفها معمر القذافي رئيس النظام الليبي السابق، كل ذلك أدى إلى تأزم العلاقة الروسية التركية التي بلغت ذروتها بعد حادثة إسقاط عام أواخر 2015، ولكن سرعان ما إتفق البلدان على إيجاد مخارج لها منعاً لتفاقم الأزمة بينهما.<sup>(230)</sup>

سرع الانقلاب الفاشل، ولاسيما الموقف الروسي منه كأول دولة غربية تدين الانقلاب، من خطوات المصالحة الروسية التركية، ففي زيارة للرئيس التركي لروسيا وقع الاتفاق على إعادة العلاقات الاقتصادية وتشكيل لجنة ثنائية لدراسة التعاون في سوريا، إذ إن من شأن التقارب التركي الروسي، رغم كل التناقضات القائمة منذ بداية الثورة السورية، إيجاد حل للأزمة السورية، وبخاصة إثر تخلي تركيا عن دعم المعارضة السورية، والقبول بحل سلمي بوجود الرئيس بشار الأسد، ولاسيما مع تقارب وجهات نظر كل من أنقرة وطهران المعارضة لقيام كيان كردي في شمال سوريا، وهو ما أعرب عنه يلدريم في تصريح له عن اقتراب التوصل إلى حل للأزمة السورية، وأن شكل الحل يشمل ثلاث خطوات هي: حماية الحدود، وعدم السماح بإقامة دولة يسيطر عليها حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، وعودة اللاجئين المقيمين في دول الجوار بعد تحقيق الهدف النهائي.<sup>(231)</sup>

هذا الإصلاح للعلاقات في العلاقات التركية-الروسية فاق المتوقع في سرعته ومن كلتا الدولتين معاً، وما زاد في التوقعات والمفاجآت هو التعاون السياسي والعسكري بين تركيا وروسيا والتوصل إلى اتفاقيات بينهما تؤثر على العلاقات الدولية أيضاً.

بالنسبة لمجال التعاون السياسي، فقد سبق الحديث عن العلاقات الثنائية والعمل المشترك لإيصال التبادل التجاري بين الدولتين إلى (100) مليار دولار خلال سنوات قليلة، وهو أمر

<sup>230</sup> ماكسيم سوخوف: المرجع نفسه.

<sup>231</sup> محمد زاهد جول: "مستقبل الصناعات التركية الروسية المشتركة"، الخليج أونلاين، 2017/6/12، <http://alkhaleejonline.net/articles/1497253657358649500> مستقيل-الصناعات-العسكرية-

التركية-الروسية-المشتركة، (تاريخ الإطلاع على المقال: 2018/2/22).

أصبح ممكناً مع تزايد التعاون الاقتصادي والسياسي الواضحين، ومن أبرز نقاط الاتفاق السياسي بين الدولتين إيجاد حل سياسي للأزمة السورية، فقد نجح اتفاق "أستانة 4"، الذي تم التوصل إليه بتاريخ 4 مايو/أيار الماضي لإنشاء مناطق وقف التصعيد العسكري فيها، مع إمكانية دخول مساعدات إنسانية إليها، وبدأ ذلك في الفرصة التي وفرتها الخارجية التركية لعقد لقاءات بين المعارضة السورية مع روسيا في أنقرة وغيرها، بحكم أن روسيا اليوم هي الأكثر تحكماً في الوضع العسكري بسوريا؛ ومن ثم القدرة على التأثير على مجريات الصراع فيها، فتم عقد عدة لقاءات سياسية في أستانة العاصمة الكازاخية، والذي وجدت روسيا ضرورة ضم إيران إليه بناءً نظراً لدورها وتأثيرها على بعض قوى المشاركة في الصراع الدائر في سوريا.

أما الاتفاقيات العسكرية بين تركيا وروسيا، فهي الأكثر مفاجأة؛ فقد أعلن سيرغي جامازوف، المدير العام لشركة الصناعات الدفاعية الروسية "روستيك"، في مطلع شهر يونيو/حزيران 2017م: "إنهم يبحثون مع تركيا تصنيع طائرات حربية من الجيل الخامس بشكل مشترك"، مشيراً إلى أن "لدى أنقرة البنية التحتية اللازمة للمشروع"، وهذا المشروع للصناعة المشتركة للطائرات بين روسيا وتركيا ليس المشروع العسكري الوحيد؛ بل سبق ذلك إعلان التوصل إلى اتفاقية عسكرية بين البلدين يتم بموجبها تصنيع منظومة دفاع جوي مشتركة في تركيا، على رأسها منظومة الدفاع الجو "S-400"، فهذه الاتفاقيات العسكرية بين تركيا وروسيا كانت من المحرمات الدولية قبل عقود أو سنوات.<sup>(232)</sup>

هذه الصناعات العسكرية التركية التي يتم تطويرها مع روسيا، ليست ذات هدف أمني وعسكري لتركيا فقط، وإنما ذات أهداف عسكرية-اقتصادية أيضاً، فتركيا تسعى لدخول سوق التجارة العسكرية الدفاعية بقوة، واختيار تركيا للتعاون مع الصناعات العسكرية الروسية المتطورة جداً يعني أن تركيا تعمل لتوسيع مجال خبرتها التصنيعية عالمياً، وكذلك فإن الموافقة الروسية على تصنيعها في تركيا يدل على أن لها مصالح في تلك الاتفاقيات مع تركيا، فهي ليست ذات مصالح اقتصادية لروسيا فقط، وإنما ذات مصالح أمنية وعسكرية مع تركيا، بحكم موقع تركيا الاستراتيجي المتوسط بين روسيا وأوروبا الغربية، وحيث إن تركيا تعتبر عضواً مهماً وثاني أكبر

232 محمد زاهد جول: المرجع نفسه.

جيش في حلف شمال الأطلسي الناتو أيضاً، وهذا ما يثير لدى أمريكا وأوروبا شيئاً من المخاوف حول مستقبل التعاون العسكري الروسي- التركي، وعن مستقبل مكانة تركيا في حلف الناتو بعد أن وقفت العديد من الدول الأوروبية ضد العضوية الكاملة لتركيا في الاتحاد الأوروبي ووضعت أمامها العديد من العراقيل.<sup>(233)</sup>

من جهة ثانية و بالرغم من التعاون الحاصل بين تركيا و روسيا إلا أنه من الطبيعي أن تشعر موسكو بالقلق تجاه تنامي القوة التركيّة على كافة المستويات و في مختلف المجالات، ما خلق جواً من عدم الإرتياح والتنافس المتبادل بين البلدين، وشعور روسيا من تنامي عدد السكان الأتراك بشكلٍ كبير مقارنة مع عدد السكان الروس، وما له من مؤشرات على النمو الاقتصادي، بالإضافة الى تزايد عدد المسلمين في روسيا. كذلك من دواعي قلق الروس في ظل تنامي العلاقات الروسيّة- التركيّة، عضوية تركيا في حلف الناتو، وكونها القوة العسكرية الثانية داخله، من شأنها أن تحدد مسار العلاقات بين البلدين، في ظل المخاوف الروسيّة المتنامية من تطويق الحلف الأطلسي لها، ما جعل العلاقة مع تركيا خياراً لا غنى عنه.<sup>(234)</sup>

في حين أن الولايات المتحدة أرسلت إشاراتٍ متضاربة حول سياستها تجاه سوريا، تفاوضت روسيا وتركيا وإيران حول الإطار العملي للتعايش في المنطقة التي تمزقها الصراعات الدولية والطائفية. ويبدو أن تركيا وروسيا- على وجه الخصوص- وجدتا وسيلةً لتحقيق أهدافٍ أكبر من الصراعات القائمة بينهما، في حين أنهما إتفقتا على ترحيل المشاكل العالقة بينهما، والتي على ما يبدو أنها إن إستمرت ستبقي البلدين متباعدين دائماً، على الرغم من أنّ روسيا وتركيا تدعمان قوى متعارضة في سوريا، إلا أنهما استطاعتا التفاهم على سياسات مرنة للحد من التوتر في سوريا، أضف إلى ذلك التدخلات والأطماع الدولية تقربهم من بعضهما البعض مرة أخرى. وفي ضوء تلك الحقيقة، تنصب أمام القيادتين الروسيّة والتركيّة مهمةً حيويةً مشتركةً، ألا وهي الحيلولة دون أن تلقي الخلافات الحالية بين البلدين بظلالها على التعاون اللاحق بينهما، وهو ما أشار إليه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، وذلك بقوله: "إن الخلاف مع روسيا موجود وهو قائم بحد ذاته، وبخاصة في الملف السوري، وهذا لا يعني التوجه نحو عقلية

<sup>233</sup> محمد زاهد جول: المرجع نفسه

<sup>234</sup> مأمون العمري: مرجع سابق ذكره ، ص 5.

الحرب الباردة، وهذا الخلاف يأتي ضمن وجهة نظر البلدين، ولكنه لن يكون عقبة في تطوير أو تجميد العلاقات نهائياً بين روسيا وتركيا".<sup>(235)</sup>

من البديهي القول بأن مصالح روسيا وتركيا لن تتطابق كلياً أبداً؛ نظراً لوجود تطلعات هائلة لدى الدولتين اللتين توجد لكل منهما تقاليد إمبراطورية في الماضي، بينما تتقاطع مجالات تأثيراتهما المباشرة على الفضاء المحيط بهما. ولكن الوضع الدولي الجديد الذي يتصف بزوال حالات المواجهات النظامية السابقة، والحروب الطويلة بين البلدان، يشهد تنامي أدوار الدول الكبرى الإقليمية، بينما تمارس بلدان متوسطة في بعض الأحيان، تأثيراً أكبر في سير الأحداث من الدول العملاقة. وتحتاج في ظلّه تلك الدول القليلة نسبياً التي تنتهج سياسةً خارجيةً نشيطةً ومستقلةً، إلى نوعٍ من تنسيق خطواتها فيما بينها، الأمر الذي يجعل ضرورة الحفاظ على الإتصالات البناءة مع أنقرة من بين المهمات ذات الأولوية بالنسبة لموسكو، رغم كل التقلبات السياسية الجارية على الساحتين الإقليمية والدولية.<sup>(236)</sup>

لا بد من التأكيد هنا على أنّ التواصل بين المسؤولين الروس والأتراك شبه دائم، سواء من خلال الزيارات المتبادلة، أو من خلال الاتصالات<sup>(237)</sup>، وهذا يدل على حرص المسؤولين في البلدين على التعاون والتنسيق الدائم، وعلى إيجاد حلول لأي أزمة سياسية، أو اقتصادية، قد

---

<sup>235</sup> مأمون العمري: المرجع نفسه.

<sup>236</sup> محمد طلعت: مرجع سابق، ص 10.

<sup>237</sup> فعلى سبيل المثال لا الحصر، أجرى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في العام 2004 زيارة رسمية إلى تركيا هي الأولى على المستوى الرئاسي الروسي منذ الحرب الباردة، وفي العام 2005 أجرى رئيس الوزراء التركي آنذاك رجب طيب أردوغان، في ديسمبر/كانون الأول 2005 زيارة إلى روسيا والتقى بوتين بعد شهر واحد من زيارة الأخير لتركيا. وفي العام 2007 أجرى بوتين زيارة إلى مدينة إسطنبول للمشاركة في اجتماع منظمة التعاون الاقتصادي للبحر الأسود، التي كانت تركيا وقتها رئيستها الدورية، والتقى على هامشها كلا من أردوغان، والرئيس التركي آنذاك أحمد نجديت سيزار. وفي العام 2009 أجرى أردوغان زيارتين إلى روسيا، الأولى في مايو/أيار إلى سوتشي، والثانية في ديسمبر/كانون الأول إلى موسكو. وفي العام 2010 زار أردوغان روسيا في يناير/كانون الثاني، والتقى رئيس الوزراء آنذاك فلاديمير بوتين ونظيره فلاديمير ميديديف. وفي العام 2013 التقى أردوغان بوتين في روسيا سبتمبر/أيلول، على هامش قمة مجموعة العشرين، ومرة ثانية في نوفمبر/تشرين الثاني خلال اجتماع مجلس التعاون رفيع المستوى. وفي 1 ديسمبر/كانون الأول 2016: التقى وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو ونظيره الروسي سيرغي لافروف في مدينة أنطاليا التركية. إلخ...



تطراً على العلاقة البيئية، فهي علاقة تفاعلية، تسعى من خلالها قيادة كل من البلدين لحل المشاكل العالقة، بالسرعة المطلوبة، منعاً لتفاقم الأمور، والحوؤل دون الوصول إلى مرحلة الصراع بين الدولتين. وفيما يلي عرض موجز لأهم الأحداث والتطورات التي شهدتها العلاقات الثنائية بين تركيا وروسيا خلال الفترة من 2000 إلى 2016، على المستويات السياسية والاقتصادية، وذلك وفق الآتي:

تأثرت العلاقات الروسية- التركية بالأزمات الإقليمية، فعلى سبيل المثال، في العام 2008، تدخلت روسيا عسكرياً في أوسيتيا الجنوبية التابعة لجورجيا، الأمر الذي أدى إلى توتر في العلاقات السياسية التركية- الروسية دون أن تؤثر في الاقتصاد. وفي نفس العام أجرى أردوغان زيارة إلى العاصمة الروسية موسكو في أغسطس/آب، والتقى بالرئيس الروسي آنذاك دميتري ميدفيديف، وبحث معه أزمة أوسيتيا الجنوبية، إلى جانب العلاقات الثنائية.<sup>(238)</sup>

روسيا تعطي نفسها الحق في التدخل لحماية المواطنين الأوسيتيين في جورجيا، الذين يحملون جوازات سفر روسية، ضد أي اعتداء جورجي. فقد بدأ الغضب الروسي في التصاعد، بشكل ملحوظ بعد الإشارات التي بعث بها حلف الناتو والولايات المتحدة الأمريكية إلى جورجيا، في قمته التي عُقدت في إبريل 2008، في العاصمة الرومانية بوخارست، إذ وعدها بالانضمام في المستقبل القريب للحلف، وهو ما يعني استراتيجياً اقتراباً كبيراً لقواته في المجال الحيوي للأمن القومي الروسي، الأمر الذي دفع بموسكو بالرد على ذلك بمزيد من التطبيع للعلاقات مع أوسيتيا الجنوبية، فأكثر من منح جوازات السفر الروسية لسكان الإقليم، وقدمت مزيداً من الدعم العسكري والسياسي للمطالبين بالانفصال عن جورجيا وانضمامها إلى روسيا، وعندما تفجرت الأوضاع في 8 أغسطس، حينما اجتاحت القوات الجورجية المناطق الأوسيتية، ردت موسكو عسكرياً على هذا الاجتياح، وبعد السيطرة على عاصمة الإقليم، اخترقت القوات الروسية الأراضي الجورجية حتى وصلت إلى نحو 40 ميلاً من خط البترول، الذي يصل من باكو Baku (في أذربيجان) عبر جورجيا، إلى ميناء جيهان التركي، على البحر المتوسط، وهو خط

<sup>238</sup> تركيا وروسيا علاقات وثيقة تتخللها أزمات، وكالة الأناضول، مأخوذ من موقع الجزيرة، [http://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2016/12/6-تركيا-وروسيا-علاقات-وثيقة-](http://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2016/12/6-تركيا-وروسيا-علاقات-وثيقة)

[تتخللها-أزمات-عابرة](#) ( تاريخ الاطلاع على البحث 2016/2/12 )

يعد الدول الأوروبية بالبتترول والغاز، الأمر الذي يمثل تهديداً مباشراً للاقتصاد الأوروبي، كون هذا الخط يعتبر من أحد المصادر الرئيسية للطاقة.

إن التحرك الروسي تجاه جورجيا أكد أن القوات المسلحة الروسية لم تُعد عاجزة، كما كان حالها بعد سقوط الاتحاد السوفيتي كما أنّ روسيا جادة في استخدام القوة العسكرية، خاصة في محيطها المباشر وخارج أراضيها، وبعثت بعدة رسائل إلى العالم أجمع، بأن روسيا عائدة بقوة إلى سابق عهدها، كقوة عالمية كبيرة، لها مكانتها وقادرة على الدفاع عن مصالحها الوطنية، وعن وحدة وأراضي جمهوريات منطقة القوقاز، وأنّ روسيا تريد إبقاء أمن الطاقة الأوروبي بيدها هي فقط، كمنتج ومصدر ممر، فالهدف الأكثر أهمية بالنسبة إلى روسيا يتمثل في المحافظة على مصالحها المرتبطة بموارد الطاقة في المنطقة، وممرات نقلها إلى دول الاتحاد الأوروبي. أضف إلى ذلك أنّ موسكو تريد أن تكون لاعباً متميزاً على الساحة الدولية، عموماً والأوروبية بشكل خاص.<sup>(239)</sup>

أما تركيا فكان عليها خلال حرب الأيام السبعة بين روسيا وجورجيا، الإختيار بين مسارين أحلاهما مرّاً، إذ كان عليها ضرورة الحفاظ على علاقات متوازنة وجيدة مع الطرفين الروسي والأطلسي-الأمريكي. ولأن حكام أنقرة أدركوا أن القضية أكبر منهم فلم تخرج عنهم أي تصريحات تشير إلى انحيازهم إلى أي طرف، وعملوا على الوساطة لإنهاء الحرب، والمحافظة على حيادهم لتأدية دور فاعل في هذه الأزمة. فقد تركزت الرؤية التركية، في إطار أن هذه الأزمة في الحاجة إلى تسوية جماعية، وأن العلاج يستوجب أن يكون في مستوى عالمي عبر المشروع، الذي أطلقه رئيس الوزراء التركي من خلال "ميثاق القوقاز" أو "التحالف من أجل القوقاز"، بعد ما عرضه على الأمين العام للأمم المتحدة، بان كي مون. وينص المشروع المقترح على إنشاء منظمة دولية تهتم في الأساس بالسلم الإقليمي، من بوابة الحفاظ على الأمن النفطي، على أن تكون برعاية الأمم المتحدة وتكون شبيهة بمنظمة دول بحر قزوين. ويعتمد المقترح على أن تضم المنظمة الجديدة دول الاتحاد الأوروبي وروسيا والولايات المتحدة وتركيا، وآخرين من

---

<sup>239</sup> موقف روسيا الإتحادية من الأزمة (مع جورجيا والغرب)، موسوعة المقاتل، 2008  
[http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/GeorgRuss/sec04.doc\\_cvt.htm](http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/GeorgRuss/sec04.doc_cvt.htm)،  
(تاريخ الاطلاع على البحث 2018/5/13).

المؤثرين في القوقاز (أذربيجان وأرمينيا وجورجيا)، بهدف تنسيق المصالح المشتركة وعقد قمم دورية للاتفاق على سياسات موحدة على الصعيدين: الأمني والنفطي.<sup>(240)</sup>

أزمة إقليمية جديدة أيضاً كادت تعصف بالعلاقات الروسية- التركية، وهي الأزمة السورية حيث وقفت تركيا مع ما يسمى بـ "المعارضة السورية"، ودعمت تدفق المسلحين من خارج سوريا لمحاربة النظام، وتعاونت في ذلك مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة العربية السعودية، والإمارات، بينما عملت روسيا على مساندة ودعم النظام السوري بقيادة الرئيس بشار الأسد، وتعاونت مع إيران، والمقاومة الإسلامية في لبنان، حتى وصل الأمر إلى التدخل العسكري الروسي المباشر عام 2015م من خلال قصف الطائرات والبوارج الروسية لمواقع المسلحين، ومن خلال تواجد قوات عسكرية روسية على الأراضي السورية.

مع تطور الأزمة السورية، في العام 2012، أجبرت السلطات التركية طائرة ركاب روسية متجهة إلى دمشق على الهبوط في العاصمة أنقرة، وصارت أجهزة اتصال عسكرية للاشتباه بأنها كانت ستسلم للنظام السوري، ثم سمحت للطائرة بمواصلة رحلتها، ولم يؤثر هذا التطور في العلاقات الثنائية، حيث استمرت العلاقات الوثيقة بين البلدين رغم أن التوتر كان يشوبها من حين لآخر. ولكن في العام 2015 انفجرت الأزمة بين البلدين، عندما أسقطت تركيا مقاتلة روسية في 24 نوفمبر/تشرين الثاني لانتهاكها المجال الجوي التركي، وأعقب الحادثة فرض روسيا عقوبات اقتصادية على تركيا، حيث فرضت روسيا على الأتراك تأشيرة دخول لأراضيها اعتباراً من يناير/كانون الثاني، كما تراجع حجم التجارة البينية، وتقلصت الصادرات التركية إلى روسيا بنسبة 60.5% لتقف عند 737 مليون دولار. ليبلغ حجم التجارة في الفترة بين يناير/كانون الثاني وسبتمبر/أيلول 12 مليار دولار، بعدما قفز حجم التبادل التجاري بين البلدين في العام 2008 ليصل إلى 37 مليار دولار. وفي العام 2016، انتهت الأزمة بين البلدين مع اتصال أردوغان ببوتين، أعرب فيها عن أسفه لحادثة المقاتلة الروسية، وقدم تعازيه لمصرع

<sup>240</sup> موقف روسيا الاتحادية من الأزمة (مع جورجيا والغرب)، المرجع نفسه.

الطيار واتفق الزعيمان على تطبيع العلاقات، وبالفعل فقد كلف بوتين الحكومة الروسية بتطبيع العلاقات مع تركيا، وتم رفع الحظر على سفر المواطنين الروس إليها. (241)

عاد النبض إلى العلاقات الروسيّة-التركيّة بعد لقاء بوتين مع أردوغان في سانت بطرسبورغ في روسيا، وقد أدلى الطرفان بتصريحات توحي بأن العلاقات ستعود إلى وضعها السابق وربما يطرأ عليها مزيد من التحسن. وقد أثبت قائدا البلدين عقلانيتهما وجنحا إلى اللقاء والحوار بدل تصعيد التوتر ودفع ثمنه، وثمان ما يمكن أن يترتب عليه من أضرار. نظرياً، يتحدث العالم عن ضرورة حل المشاكل والخلافات بالحوار والأساليب السلمية، لكن بوتين وأردوغان طبقا ذلك عملياً. العقلانية وحدها لم تكن المحرك الوحيد باتجاه اللقاء وإعادة الحياة إلى العلاقات بين البلدين، بل توفرت العديد من الأسباب المتنوعة التي دفعت قادة البلدين إلى التفاهم، (242) أبرزها:

1- العامل الاقتصادي: خسر الطرفان اقتصادياً نتيجة التوتر فيما بينهما، وأثر ذلك على مستوى الناتج المحلي لكليهما، وعلى أعداد كبيرة من المواطنين الذين تضررت مصالحهم. كان التبادل التجاري فيما بين الطرفين عالياً ومرشحاً للارتفاع مع الزمن، وفجأة انخفض هذا التبادل وشحت الأسواق وتضرر المصدرون والمستوردون. روسيا بحاجة إلى تحسين أوضاعها الاقتصادية خاصة أن أسعار النفط والغاز قد هبطت، كما أنها بحاجة إلى المضي في بناء خط أنابيب الغاز من جنوبها عبر تركيا ثم إلى أوروبا الجنوبية، كما أنها مهتمة أيضاً ببناء مجمع للطاقة النووية في تركيا، ما يفسح لها مجالاً لجني أرباح عالية، أما

---

<sup>241</sup> شاهد آخر على العلاقات التي كانت متميزة بين روسيا وتركيا، ففي العام 2010، الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف يزور تركيا في مايو/أيار ويشارك في الاجتماع الأول لمجلس التعاون رفيع المستوى، الذي تمخض عن توقيع اتفاقية إنشاء محطة أق قويو النووية في ولاية مرسين جنوبي تركيا، وقد استمر الاجتماع بالانعقاد سنويا بشكل منتظم بمشاركة زعمي البلدين حتى أزمة إسقاط المقاتلة الروسية. راجع: تركيا وروسيا علاقات وثيقة تتخللها أزمات، وكالة الأناضول، 2016/12/6، مأخوذ من موقع الجزيرة، <http://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2016/12/6> تركيا وروسيا-علاقات-وثيقة-تتخللها-أزمات-عابرة (تاريخ الاطلاع على البحث 2016/2/12).

<sup>242</sup> عبد الستار قاسم: "روسيا وتركيا.. أربعة أسباب رئيسية لطي صفحة الخلافات"، الجزيرة، الدوحة، 2016/8/11، مأخوذ من موقع الجزيرة،

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2016/8/11> روسيا-تركيا-أربعة-أسباب-رئيسية-لطي-صفحة-الخلافات (تاريخ الاطلاع على البحث 2018/5/13).

تركيا فبحاجة إلى تسويق منتجاتها بخاصة الزراعية والتي تمت مقاطعتها من روسيا بعد إسقاط السوخوي، كما أنها افتقدت أعداداً كبيرة من السياح الروس الذين كانوا يسخون أموالاً طائلة للاقتصاد التركي.

2- مكافحة الإرهاب: بالنسبة لروسيا، هناك تخوف من إنتقال الإرهاب إلى أراضيها بخاصة أن حوالي 15% من سكانها مسلمين، ويمكن أن يتأثر عدد منهم بتتظيرات وسلوكيات التنظيمات الإسلامية المتطرفة وينخرطوا في حملة إرهابية في روسيا. روسيا مهتمة بالقضاء على منابع الإرهاب وتمويله، ومعنية بالتعاون مع مختلف الدول لمواجهة، وفي هذا الأمر هي بحاجة إلى تركيا لما لها من تأثير على دول آسيا الوسطى التي يمكن أن يأتي الإرهاب من طرفها. أما تركيا فهي في عين العاصفة الإرهابية، وهناك عمليات عسكرية نفذت ضد مواقع مدنية وعسكرية تركية، كما أنها بحاجة إلى الجهود الروسية لتهدئة الكرد، بحيث أنه إذا حصل الكرد في العراق وسوريا على امتيازات قومية جديدة فإن خطر التقسيم الجغرافي سيمتد إليها ويطال جزءاً من أراضيها.

3- الناتو والدرع الصاروخية: روسيا متوجسة كثيرا من سياسات حلف الأطلسي، وهي تدرك أن الحلف يعمل على إحكام الطوق العسكري والأمني حولها لشلها عسكرياً واقتصادياً، كما أن الأميركيين مستمرون في سياستهم العسكرية القاضية بنشر الدرع الصاروخية حول روسيا. لذلك فإن التأثير على تركيا يشكل مفتاحاً مهماً للحصانة الأمنية الروسية، فروسيا معنية بإقناع تركيا بعدم المشاركة في الدرع الصاروخية، وتركيا تدرك أن مشاركتها سيجعلها هدفاً عسكرياً لروسيا، علماً أن تركيا ترى في الأطلسي مظلة حماية وأمان. (243)

4- الأزمة السورية: بالنسبة لروسيا، سوريا هي دولة إقليمية مهمة جداً للوجود الروسي شرقي البحر الأبيض المتوسط، وفي المحيط العربي أيضاً. علاقة روسيا مع النظام السوري استراتيجية، وهي علاقة تمتد إلى طهران التي أثبتت وجودها على الساحتين الإقليمية

<sup>243</sup> عبد الستار قاسم : "روسيا وتركيا.. أربعة أسباب رئيسية لطي صفحة الخلافات"، المرجع نفسه.

والدولية، وأصبحت تتمتع بقدرات عسكرية لا يستهان بها، فالبوابة السورية تآذن لروسيا بتشكيل محور يشكل دعماً عسكرياً وأمنياً للدول المنضوية فيه، حيث من الممكن لتركيا أن تتراجع عن سياساتها تجاه النظام السوري إذا رأت أن الخسائر المترتبة على معاداته أكثر من الأرباح، لكن روسيا لا تستطيع التخلي عن نظام الأسد في سوريا وذلك لأن سقوطه قد يؤدي إلى تشديد الحصار الغربي عليها. (244)

## ثانياً: مسار العلاقات التركية- الروسية.

في ضوء ما سبق، يبقى التساؤل الأهم في مسار العلاقات الروسية - التركية، والسؤال الأصعب إلى أين تتجه هذه العلاقات؟ ويمكننا الإجابة على مستقبل العلاقات التركية - الروسية من خلال احتمالين على النحو التالي:

• **الأول:** التقارب والتعاون الإيجابي على الصعيد الاقتصادي والتجاري بالرغم من تضارب بعض المصالح التي تم تجاوزها والتي أنتجت خلافات في الماضي، إلا أن المصالح الكبرى المتبادلة بين البلدين من شأنها أن تفرص تفاهات و إتفاقيات، وتمهد الطريق نحو إزاحة المعوقات وردم الفجوات الناشئة عن الخلافات السياسية.

• **الثاني:** التوتر والصدام في علاقة الدولتين مع إمكانية المواجهة العسكرية، ليمتد بصورة سلبية على مجالات التقارب والتعاون بينهما، وتساعد الأزمة ونشوء حالة من عدم الاستقرار في المنطقة. (245)

من خلال متابعة الأحداث ودراسة توجهات الدولتين بصورة متأنية، نجد أن المصالح الجيوسياسية والجيواقتصادية بين البلدين متداخلة إلى حد كبير، وقد أدت بطبيعة الحال إلى إيجاد أرضية مشتركة بين الطرفين، قائمة على أساس مصالح جيوسراتيجية تؤدي إلى عقلنة العلاقة الروسية - التركية، فيما تبدو المكاسب المادية أقوى أسباب هذا التقارب.

<sup>244</sup> عبد الستار قاسم : "روسيا وتركيا.. أربعة أسباب رئيسية لطي صفحة الخلافات"، المرجع نفسه.

<sup>245</sup> محمد طلعت: مرجع سابق، ص11.

لقد أظهر اللقاء المنعقد بين الرئيسين أردوغان وبوتين في موسكو في 10/3/2017م، التوجه نحو تفضيل هذا الإحتمال من خلال توقيعهم إتفاقياتٍ اقتصاديةٍ تهتمُّ البلدين ولاسيما في مجال الطاقة والسِّياحة. وكذلك أدركت تركيا أن قيمتها ومكانتها الإقليمية والدولية، تأتي من خلال قدرتها على بناء تحالفاتٍ متعددةٍ في السياق الإقليمي والدولي، حتى وإن بدت هذه التحالفات في رؤية البعض متناقضة ومتعارضة.

أما روسيا، تريد من جهتها ولأسبابٍ سياسيةٍ اقتصاديةٍ وإستراتيجيةٍ أيضاً، تحسين العلاقات مع تركيا، حيث تشعر القيادة الروسية أنها تورطت أو على الأقل لا تريد التورط أكثر في ملفات المنطقة المتأزمة، وتتباين وجهات النظر فيها مع جارتها تركيا ولاسيما في الملف السوري، وتسعى من أجل تسويةٍ في سورية مع حفظ مصالحها قدر الإمكان. وتريد الإحتفاظ بعلاقاتٍ جيدةٍ مع دول الجوار، وتركيا تحديداً لأنها أيضاً لاعب مهم في سورية، ولكي تخلق أيضاً حالة توازن في المنطقة في ظل وجود لاعبين دوليين أيضاً.<sup>(246)</sup>

في المقابل تعتبر تركيا إقليمياً طرفاً رئيسياً يستطيع أن يقوم بدور مهم في الحفاظ على النظام والأمن الإقليمي، و لقد مثلت إستراتيجية اردوغان في ممارسة سياسته الخارجية حجر الأساس في وضع تركيا في السياسة الإقليمية في العقد الأخير، كما كشف الانقلاب العسكري الفاشل في تركيا عن مخططات كبيرة للتخلص من التجربة الديمقراطية في البلاد، وتواطؤ عدد من الدول في هذه العملية، سواء بالتخطيط، أو التمويل، أو على الأقل الصمت حيال هذه الأزمة، وهذه المواقف لا تمر مرور الكرام في تركيا، التي ستحاول التعامل معها بما يصب في مصلحتها، كما أن هذه الأحداث ستدفع في اتجاه تغيير المواقف التركية في الداخل والخارج، والتعاطي مع الأوضاع الجديدة التي أفرزتها الأزمة، وستكون دول الخليج أول المتأثرين بهذه المحاولة إما إيجاباً أو سلباً، وذلك لتداخل أغلب دول الخليج مع تركيا في العديد من الملفات الإقليمية. وفي هذا الإطار، ترى تركيا أن علاقتها مع أي طرفٍ أو محورٍ إقليمي أو دولي ليست بديلاً عن العلاقات مع طرفٍ آخر، فإنضمام تركيا للاتحاد الأوروبي لن يؤثر برأيها على دورها في الشرق الأوسط؛ وتحالفها مع أمريكا لا يؤثر على سعيها للتعاون مع روسيا،

<sup>246</sup> مأمون العمري: مرجع سابق ذكره ، ص 6.

وعلاقتها مع العرب، لا تعني قطع كل العلاقات والروابط مع إيران وإسرائيل. فأنقرة كما وصفها مهندس السياسة الخارجية التركي أحمد داود أوغلو، يجب أن تُعرف في المرحلة الجديدة على أنها قوة إقليمية فاعلة، وتكون بذلك مساهمة في التفاعل الدولي.

من المتوقع أن تستمر العلاقات الروسية - التركية في مسارها التقاربي، فالمصالح المشتركة، والمشاريع متكاملة، والرغبة موجودة في موازنة العلاقات مع الغرب ورد القيمة والإعتبار، إلا أنها من المتوقع في ظل إنحيازها للشرق وإبتعادها عن المعسكر الغربي، أن تقع ضحية سياسات الطرفين (الشرقي والغربي) بين شدّ وجذب، الأمر الذي يرتب على تركيا أن تكون أكثر حرصاً في تطوير علاقاتها مع روسيا، والدفع نحو خلق صيغ تحقق التوازن بين إلتزاماتها الدولية من جهة، وعلاقات مميزة مع روسيا من جهةٍ أخرى.<sup>(247)</sup> كما أنه من المتوقع أن تتجه العلاقات الاقتصادية بين البلدين نحو المزيد من التقارب في ضوء السعي التركي لشراء النفط الروسي تعويضاً عن الانخفاض في شحنات النفط من إيران نتيجة للعقوبات الدولية المفروضة ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وذلك وفقاً لوزير الطاقة تانر يلديز في تصريح لصحيفة "حرييت"، بما يجعل من السهولة بمكان القول: إن البلدين نجحا كما وصف "سنان أولجن" الدبلوماسي التركي السابق ورئيس مركز دراسات الاقتصاد والسياسة الخارجية (EDAM) في إسطنبول: في تجزئة خلافتهما، فالعلاقات الاقتصادية والمنافع المتبادلة هي الأهم.<sup>(248)</sup>

وإذا أخذنا بعين الاعتبار المصالح الاقتصادية المشتركة بين البلدين، نورد جدولاً، يتبعه رسم بياني،<sup>(249)</sup> يظهر حجم التبادل التجاري بين تركيا وروسيا ما بين عامي (2000-2016)م، حيث يظهر الرسم البياني ارتفاع حجم التبادل التجاري بين روسيا وتركيا بشكل تصاعدي وقوي بين عامي 2000 ( 4.5 مليار دولار) و 2008 (37.8 مليار دولار)، وهو المعدل الأعلى خلال 16 سنة ( 2000-2016)، تلاه انتكاسة في العام 2009 (21 مليار دولار) بسبب الأزمة المالية العالمية، ثم حصل ارتفاع كبير في العام 2012 (34.2 مليار دولار)، واستمر في حالة استقرار مع انخفاض بسيط حتى العام 2014 (32.5 مليار دولار)، لينخفض بعدها

<sup>247</sup> مأمون العمري: المرجع نفسه.

<sup>248</sup> محمد طلعت: مرجع سابق، ص11.

<sup>249</sup> أنظر الملحق رقم 11.



مجدداً بشكل كبير خلال العام 2015 (23.3 مليار دولار)، بسبب تأثير انخفاض أسعار النفط وركود الاقتصاد الروسي، ليرتفع بعدها مجدداً في العام 2016 (27.5 مليار دولار) حيث بلغ حجم التجارة في الفترة بين يناير/كانون الثاني وسبتمبر/أيلول 12 مليار دولار، ليحقق قفزة نوعية في النصف الثاني من العام، وطبعاً لم نصل إلى العام 2020 بعد، ولكن وبحسب الدراسة فقد وضع كل من روسيا وتركيا هدفاً طموحاً يحقق مصلحة إقتصادية مشتركة كبرى لكلا البلدين يقضي بالوصول إلى حجم تبادل تجاري يبلغ 100 مليار دولار، وهو هدف صعب التحقيق، ولكنه ليس مستحيلاً، ولاسيما إذا كانت العلاقات السياسية بين البلدين في حالة من التفاهم، والانسجام، والتعاون، والتنسيق.

بعد كل ما إستعرضناه من تحليل وإستقراء للمعطيات والأحداث التي شهدتها وتشهدها العلاقات الثنائية بين كل من تركيا وروسيا والتي يمكن وصفها بال مميزة، بات بإمكاننا القول بأن العلاقات الروسية - التركية تُعد أنموذجاً للبراغماتية الإقتصادية، حيث تختلف مواقف البلدين إزاء بعض القضايا من دون أن يؤثر ذلك في مجمل التطورات الحاصلة في العلاقة بينهما. لا سيما وأن القيادتين في كل من البلدين أصبحتا أكثر قدرة على تفهم مصالح الطرف الآخر وهو اجسه السياسية والأمنية في المنطقة، وأصبحتا أكثر قدرة على عقلنة مواقفهما السياسية بما يصب في مصلحة بلديهما. وعلى الرغم من ذلك ستبقى العلاقات الروسية - التركية محكومة بحقائق الجغرافيا السياسية بين الدولتين، وبأجواء عدم الثقة القائمة بينهما منذ عقود.

## الخاتمة

ليس من مبالغة القول إنّ طبيعة العلاقات التركية الروسية يغلب عليها الطابع المميز لمسار العلاقات الدولية، ذلك المسار الذي يتراوح ما بين التقارب والتباعد على مدار التاريخ، وإن رجحت كفة أحدهما على الآخر لتصبح الطابع الغالب في مسار علاقات البلدين، فتارةً تكون الطبيعة التقاربية هي السمة الغالبة لعلاقات البلدين، وتارةً أخرى تكون الطبيعة الصراعية هي السمة المميزة لهما، في حين تظل السماتان على مستوى متقارب وهو ما ينطبق على مسار العلاقات التركية- الروسية، فإذا كان صحيحاً أن الطرفين يحرصان على تنمية علاقاتهما والحفاظ على مستوى معين من التقارب حماية لمصالحهما المتبادلة، إلا أنه من الصحيح أيضاً أن التاريخ شهد لحظات فارقة في مسار علاقاتهما وإن لم تدم طويلاً، وهو ما يمكن تفسيره في ضوء ثلاثة عوامل: الأول يرتبط بتوجهات القيادة السياسية في الدولتين، والثاني يتعلق بحجم الارتباطات الدوليّة والإقليميّة لكل طرف. والثالث يتحدد في ضوء طبيعة القضايا والمشكلات الخلافية بينهما.

إنّ ما تقدّم في هذا البحث، يؤكد صحة فرضية البحث التي تقول: "إنّ العلاقات التركية- الروسية يحكمها التاريخ السياسي، لذا ستبقى في حالة جدلية بحيث تنتقل من أزمة إلى تسوية، طالما أنها تركز على لعبة المصالح، ومقتضيات الأحداث السياسيّة، المحلية، والإقليميّة، والدوليّة". وهذا ما اتضح لنا وبشكلٍ جليّ بعد رصد التاريخ السياسي والاقتصادي لعلاقات كلا الدولتين ببعضهما البعض، ومن ثم تحليل المعطيات والأحداث التي جرت وتجري بين الدولتين وفقاً للمنهج التحليلي.

خير دليل على ذلك، هو ما شهده القرن الحالي من تأرجح جديد لهذه العلاقة بين هاتين الدولتين الكبيرتين، وإن كانت روسيا تتفوق على تركيا في كثير من المجالات، ولاسيما الاقتصادي، والعسكري، والسياسي، فقد أدى الخلاف فيما يتعلق بـ "الربيع العربي"، وبالتحديد القضية السورية، توتراً كبيراً بين البلدين، حيث دعمت تركيا بعض فصائل المعارضة السورية، وقامت بتسليحها وإيواء النازحين السوريين، وتحالفت مع الدول المعادية للنظام السوري، سواء الولايات المتحدة الأمريكية، أو بعض دول الخليج، كقطر. ومن ثم كانت قمة الأزمة بين الدولتين

ما شهده عام 2015م، من إسقاطٍ لطائرة الروسية "سوخوي 24" من قبل تركيا في ولاية هاتاي شمال سورية، ما أدى إلى أزمة سياسية كبيرة بين البلدين كادت أن تشعل فتيل الحرب بينهما، ومع ذلك استمرت العلاقات الاقتصادية بينهما، على الرغم من فرض عقوبات اقتصادية روسية على تركيا طالقت قطاع السياحة أيضاً. وقد عمل الطرفان على معالجة المشكلة ما أمكن، كي لا تقع الحرب بينهما، والتي ترغب بها بعض الدول الغربية، لأنَّ ابتعاد تركيا عن الدول الغربية، ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، يعني اقترابها من روسيا، والعكس صحيح، إذ لا تستطيع تركيا أن تقف في وجه كلا الطرفين في نفس الوقت، لذلك فهي تعمل على تحقيق التوازن بين الشرق والغرب، ما استطاعت إليه سبيلاً.

وفي الإجابة عما ورد في موضوع تأثير العلاقات التركيّة- الروسية بمتغيّر "شخصية القائد أو الرئيس"، أو النظام الحاكم، نجد أن العلاقات التركيّة- الروسية وصلت إلى ذروة غير مسبوقة من التعاون مع بداية القرن الحادي والعشرين، بعد أن كانت العلاقات تميل إلى الصراع التاريخي، فالدولتان تعيشان حالة انتقال في مسارهما السياسي والاجتماعي، بوتين يريد بناء روسيا الجديدة، وإعادة أمجاد ونفوذ الاتحاد السوفياتي، وتكريس روسيا كقوة ثنائية وندية مع الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما يفرض عليها حماية مصالحها الاقتصادية والسياسية، وبالتحديد مع جيرانها المؤثرين. بالمقابل يحاول أردوغان، ومن خلفه حزب العدالة والتنمية، بناء تركيا الحديثة التي لا يمكن الإستغناء عنها في اللعبة الإقليمية والدولية، وبالتالي هاتان الدولتان تسيران بوتيرة سريعة ألهتهما للوصول إلى إمكانية أن تكونا مفاتيح الأمن والاستقرار في المنطقة، من خلال حلّ الأزمات التي تتخبط بها المنطقة، بحسب الإرادة السياسية لكل منهما.

من خلال بحثنا أيضاً شاهدنا كيف تدعّمت العلاقات التركيّة- الروسية بشراكة اقتصادية متميّزة، دعمت اقتصاديات البلدين، ولاسيما في السنوات 17 الأخيرة، ودفعت هذه العلاقة بالدولتين إلى إحداث التوازن المطلوب بالمشهد الإقليمي، والدولي، إلّا أن هذا التطور في بناء الدولتين وعلاقات كل دولةٍ بأطرافٍ دولية معينة تزج الطرف الآخر، وهذا من شأنه أن يؤسس لشعورٍ بعدم الإرتياح إلى مستقبل العلاقة بينهما، ومع أن الدولتين تدركان ذلك جيداً، إلّا أنّهما تبدلان بجِدِّ كافة الجهود لتخطي الأزمات والمشاكل، التي تعترض أو يمكن أن تعترض طريق علاقتهما في المستقبل. وعليه يمكن تلخيص أبرز النتائج التي توصلنا إليها في نهاية بحثنا:

1. إن المعادلة التاريخية التي حكمت العلاقة التركيّة - الروسيّة، والتي قامت على توسيع النفوذ وتعزيز القوة على حساب نفوذ الآخر وإضعافه، لا تزال تعمل في الوقت الحاضر، ولكن في هوامش الدولتين وليس في العلاقة المباشرة بينهما.

2. برهن التاريخ أن التقارب التركي - الروسي مرتبط بعلاقات تركيا بالغرب ما يعني أنه كلما إستمر التباعد بين تركيا والغرب على رأسه الولايات المتحدة الأمريكية سيقابله تقارب تركي روسي، فروسيا تستفيد كثيراً من الخلافات القائمة بين تركيا وكل من الإتحاد الأوروبي وأميركا، وليس عبثاً قامت بإنشاء مشروع السيل التركي بهدف التقرب أكثر من تركيا وكسر الطوق السياسي والإقتصادي الذي فرضه عليها كل من حلف الناتو والإتحاد الأوروبي.

3. على الرغم من التوتر والحروب الدامية التي شهدتها كلا الدولتين في بعض محطاتها التاريخية إلا أن الجانب الإقتصادي مثل عقدة الوصل بين تركيا وروسيا وحجر الأساس فيها، فمرور روسيا نحو المياه الدافئة محكوم بالمرات التركية، في المقابل فإن أمن الطاقة التركي مرتبط الى حد كبير بالغاز الروسي، وعليه إستطاعت هذه العلاقة أن تحافظ على محتواها البراغماتي وبعدها الأمني والقومي في معظم الأزمات وعلى مرّ الأزمنة، وكأنها علاقات إلزامية بحكم العوامل الجيوستراتيجية والتجاور الجغرافي، وإن إجتمعت فيها كل عوامل الانفصال بينهما.

4. في بداية القرن الواحد والعشرين إكتسبت العلاقات التركيّة-الروسيّة طابعاً أكثر دبلوماسيّة لا سيما مع مجيء حزب العدالة والتنمية إلى الحكم وإعتماده على سياسة خارجية أكثر مرونة مع دول الجوار ومنها روسيا، وتحول الطرفان التركي والروسي إلى مفتاح للأمن والاستقرار في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز رغم ما فيهما من عناصر التوتر والمنافسة، ومع هذا لم تترجم التوترات في هذه المناطق إلى حروبٍ بينهما كما في السابق.

5. في الأزمة السورية وتحديداً بعد أزمة إسقاط الطائرة الروسيّة في ولاية هاطاي شمال سورية وما تبعها من أزمة دبلوماسية كادت تؤدي الى مواجهة بينهما لولا مبادرة تركيا الى تقديم

الإعتذار، فالدولتان أصبحتا أكثر قدرة على عقلنه مواقفهما السياسية، وأصبح كل طرفٍ أكثر تفهماً لمصالح الطرف الآخر وهواجسه الأمنية والسياسية والإقتصادية في المنطقة.

6. إن المراهنة على إلتزام الرئيس أردوغان بطرفٍ دون طرفٍ آخر هو رهان محدود، لأن تركيا لن تتخلى عن حلف الناتو الذي يدعمها إستراتيجياً وعسكرياً ولن تتخلى أيضاً عن روسيا التي تربطها معها علاقاتٍ إقتصادية قوية، فتركياً تعتمد في سياستها الخارجية على سياسة "التوازن المرن" بين الشرق والغرب بما يخدم مصالحها الداخلية والخارجية.

7. على صعيد العلاقات الثنائية بين روسيا وتركيا فإنه لا يُتَوَقَّع أن تتغير قناعات البلدين تجاه مواطن الخلف بينهما لكنهما سيعملان من خلال اللقاءات على فتح آفاق أكبر للحوار بكل جد من أجل ألا تتأثر مواطن الالتقاء والاتفاق بينهما.

8. إن التحولات في أنظمة الحكم، والسياسة والاقتصاد، والإيديولوجيات، والثقافة، في كلا الدولتين أظهرت أنّ الصراع التاريخي بين الدولتين هو السمة الأبرز في العلاقات التركيّة-الروسية، ولأنّ إختلفت المؤثرات بين مرحلة وأخرى، إلا أنّ الطابع التنافس بين الدولتين لا سيما في مناطق نقوذهما القديمة (أسيا الوسطى والقوقاز) يبقى على حاله.

لذلك وانطلاقاً مما سبق يبدو لنا أنّ تحسّن العلاقات التركيّة-الروسية سيغير بشكل كبير المشهد الجيوسياسي في أوراسيا في المستقبل المنظور. وما تشهده العلاقات الثنائية بين الدولتين في الوقت الراهن من تطوّر وتقاربٍ غير مسبوق هو خير دليل على ذلك.

ويبقى السؤال هنا، هل أن التقارب الذي تشهده العلاقات التركيّة - الروسية اليوم سيكون بدايةً لتقارب تاريخي غير مسبوق بين البلدين، لاسيما مع توقيع تركيا لصفقة الأسلحة اس 400 الروسية، ما يؤسس مستقبلاً لخروج تركيا من حلف الناتو لتتنضم الى الجبهة الشرقية؟ أو أن ما يحدث من تقارب هو مجرد بالون إختبار للمعسكر الغربي فإما أن يكف عن التلاعب بتركيا والإستخفاف بها أو أن يفقدها مع ما تحمله من ثقلٍ في الوزن الإقتصادي والعسكري لصالح المنافسين الصاعدين؟

## لائحة المراجع

### 1. باللغة العربية:

#### أ. الكتب

1. أوزتونا، يلماز: "تاريخ الدولة العثمانية"، ترجمة: عدنان محمود سلمان، المجلد الأول، منشورات مؤسسة فيصل، إسطنبول، 1988.
2. أوغلو، أحمد داود: "العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية"، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010.
3. البحراوي، محمد عبد اللطيف: "فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى البحر"، دار التراث، القاهرة، 1979.
4. بوكشيشفكي: "جغرافية الاتحاد السوفيتي"، ترجمه: إلياس شاهين موسكو: دار التقدم، د.ت، 1970.
5. تغيان، شريف سعد الدين: "الشيخ الرئيس رجب طيب اردوغان: مؤذن اسطنبول ومحطم الصنم الاناتوركي"، دمشق-القاهرة، دار الكتاب العربي، 2011.
6. حنفي، د.محمود عبد العظيم: "الشرق الأوسط: صراعات ومصالح"، بدون ناشر، القاهرة، 2008.
7. الحياي، نزار اسماعيل: "دور حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة"، مركز الامارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ابو ظبي، 2003.
8. الخزرجي، ثامر: "العلاقات السياسية الدولية واستراتيجية إدارة الأزمات"، دار المنهل، الأردن، 2004.
9. خولى معمر فيصل: "العلاقات التركية الروسية، من ارث الماضي الى آفاق المستقبل"، بيروت والدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.
10. دوغين، ألكسندر: "أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي"، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004.

11. الزواوي، محمد سليمان: "بحر النار تصاعد محفزات الصراع شرق المتوسط"، ط1، مركز البيان للبحوث والدراسات، مصر، 2015.
12. زيدان، ناصر: "دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بين بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين"، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013.
13. الشحف. فريد حاتم: "العلاقات الروسية - الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوسياسية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس"، دار الطليعة، دمشق، 2005.
14. شعيب، علي: "بطرس الأكبر: قيصر روسيا"، دار الفكر بيروت، 1992.
15. شيفتسوف، ليليا: "روسيا بوتين"، ط1، ترجمة: بسام شيحا، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2006.
16. عبد الجليل طارق: "العسكر والدستور في تركيا من القبضة الحديدية إلى دستور بلا عسكر"، دار النهضة للنشر، مصر، 2012.
17. فهمي، محمد عبد القادر: "المدخل إلى الإستراتيجية"، دار مجدلاوي، عمان، 2006.
18. فولتير: "تاريخ بطرس الأكبر"، ترجمة: أحمد الطهطاوي، تحت مسمى "الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر"، مطبعة بزلاق، القاهرة، 1966.
19. ماكمان، روبرت جيه: "الحرب الباردة"، ترجمة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هندراوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014.
20. المحامي، محمد فريد بك: "تاريخ الدولة العلية العثمانية"، تحقيق/إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1988.
21. "مذكرات الغازي مصطفى كمال باشا"، ترجمة: عبد العزيز أمين الخانجي، مطبعة النهضة، القاهرة، 1926.
22. مصباح، زايد عبيد الله: "السياسة الخارجية"، ط2، دار التاله، طرابلس، 1999.
23. ناي، جوزيف، "المنازعات الدولية: مقدمة للنظرية والتاريخ"، ترجمة: أحمد امين الجمل ومجدي مجدي كامل، الجمعية المصرية للنشر والثقافة، القاهرة، 1997.
24. النعيمي، أحمد نوري: "العلاقات التركية الروسية: دراسة في الصراع والتعاون"، دار زهران للطباعة والنشر، عمان، 2011.
25. النعيمي، أحمد نوري: "تركيا وحلف شمال الأطلسي، المطبعة الوطنية"، عمان، 1981.

## ب. الأبحاث والدراسات.

1. أبوسكين، حنان: "بين الصراع والتعاون: التنافس الدولي في آسيا الوسطى"، دراسة صادرة عن المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة، حزيران 2014.
2. أحمد، فتحية محي الدين طه: "تطور العلاقات الروسية التركية، 2000-2016"، المركز الديمقراطي العربي، مصر، 2016.
3. بهنان، حنا عزو: "العلاقات التركية - السوفياتية 1925-1935"، دراسة صادرة عن مجلة الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العراق، 2007.
4. بورشيفكايا، آيا: "روسيا في الشرق الأوسط-الدوافع-الآثار-الآمال"، دراسة صادرة عن معهد واشنطن، شباط 2016، مراجعة وترجمة: مركز إدارك للدراسات والاستشارات، واشنطن، 2016.
5. الجاسور، ناظم عبد الواحد: "قبرص على طريق الاتحاد الأوروبي"، نشرة قضايا أوروبية، دراسة صادرة عن مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، بغداد، 1998.
6. الحمداني، د. سعد: "دراسة في العلاقات الروسية الإيرانية 2003-2010"، الجامعة المستنصرية، العراق، 2012.
7. خليل، محمد عبد القادر: "الاستفتاء الدستوري في تركيا | النتائج والتداعيات، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، تركيا، 2017.
8. الخوري نسيم: "الاكرد أو "الدولة" المتعثرة بين الوقائع والوعود!"، الدفاع الجيش اللبناني، العدد 56/ نيسان 2006.
9. الشمري، أحمد جاسم ويونس عباس نعمة: "التوجه التركي نحو آسيا الوسطى والقوقاز (1990-1998)"، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية في جامعة بابل، العراق، 2014.
10. طلعت، محمد: "العلاقات التركية الروسية...مجالات التقارب وقضايا الخلاف"، مجلة رؤية تركية، إسطنبول، العدد 3، صيف 2013.



11. عبد الله، فادي: "تركيا في القرن ال 21 - الوظيفة والدور المستجدان في ظل الجيوستراتيجية على صعيد العالم والمنطقة في ظل مشروع أميركا للشرق الأوسط الجديد"، لجنة العلاقات الخارجية في الحزب الشيوعي اللبناني، بيروت، تشرين الأول 2010.
12. العبيدي، محمد عبد الرحمن، "سياسة تركيا الخارجية تجاه منطقة القوقاز"، جامعة الموصل:مجلة الدراسات الإقليمية،العراق، 2012.
13. العلق، عامر علي راضي: "ملاحم جديدة فى العلاقات التركية-الروسية"، دراسات دولية صادرة عن مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد 40، بغداد، نيسان 2009.
14. العلو، سقراط: "سوريا ضحية الجغرافي"مدخل جيوسياسي" لفهم تعقيدات الأزمة السورية"، المركز الديمقراطي العربي، مصر، آب 2016.
15. قدورة، عماد يوسف: "روسيا وتركيا، علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 15، قطر، تموز 2015.
16. النعيمي، زياد عبد الوهاب: "الرؤية الأمريكية في دور تركيا الإقليمي"، جامعة الموصل، دراسة صادرة عن مركز الدراسات الإقليمية، العراق، 2009.
17. نور الدين، محمد: "الأهمية الجغرافية لتركيا"، دراسة صادرة عن المركز العربي للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2016.
18. ودكا، جاكوب -سارة كوسميس، "الاتحاد الأوروبي وتركيا في عصر ما بعد الربيع العربي: رسم خريطة المصالح الإستراتيجية في الجوار المضطرب"، مجلة رؤية تركية، إسطنبول، عدد الخامس عشر، ربيع 2014.
19. الورغى، جلال: "الازمة الروسية-التركية، محددات التاريخ والجغرافيا والتطلعات لادوار جديدة"، دراسة صادرة عن مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، ديسمبر 2015.

## ت. الصحف والجرائد.

1. أردوغان يدعو الأتراك في أوروبا الى انجاب خمسة أطفال وليس ثلاثة"، جريدة النهار، بيروت، العدد الصادر بتاريخ 2017/3/17.

2. "روسيا تتوقع اشتداد معاناتها الاقتصادية بسبب العقوبات الغربية"، جريدة المستقبل، بيروت، العدد: 5417، 2015/4/22، ص10.
3. "فلاديمير بوتين نئب يكره الأنوف الغليظة ويلقي أعداءه في المرحاض"، صحيفة العرب، العدد: 8327، 2013/9/21، ص12.
4. بيرشيدسكي، ليونيد: الأزمة القبرصية.. أفق الحل، جريدة الاتحاد، الإمارات، العدد: 15171، 19/1/2017، ص35.
5. جاد، يوسف: "بوتين: اسقاط الطائرة طعنة في الظهر"، صحيفة الوسط، البحرين، العدد 4826، 23 نوفمبر 2015، ص24.
6. جول، زاهد محمد: "آفاق العلاقات التركية الروسية وطموحاتها"، جريدة القدس العربي، لندن، العدد 8728، 7/2/2017، ص22.
7. حمدان، خيربي: "النفوذ التركي في غرب البلقان والدور الروسي المساند"، صحيفة العربي الجديد، لندن، العدد 998، 26/5/2017، ص20.
8. دباغ، باسم: "قبرص في قلب الصراع بين روسيا وتركيا"، صحيفة العربي الجديد، لندن، العدد: 459، 4/12/2015، ص2.
9. السعد، محمد نجيب: آسيا الوسطى.. ساحة صراع وتنافس دولي"، صحيفة الوطن، عمان، العدد: 11717، 12/9/2015، ص14.
10. عبد الرزاق، سعيد: "تركيا ستتسلم صواريخ «إس 400» الروسية مبكراً"، جريدة الشرق الأوسط، لندن، العدد 14278، 31 ديسمبر 2017، ص18.
11. عبد الرزاق، سعيد: "تركيا تخطط لزيادة التبادل التجاري مع روسيا إلى 100 مليار دولار؟"، جريدة الشرق الأوسط، لندن، العدد 13902، 20/12/2016، ص15.
12. عبد الرزاق، عدنان: تركيا: "عدد السكان يزيد 3 ملايين نسمة خلال 2017 بسبب حوافز الحكومة"، صحيفة العربي الجديد، لندن، العدد 1226، 9 يناير 2018، ص18.
13. العبد الله، علي: "الناتو وروسيا وجهاً لوجه"، جريدة الحياة، لندن، العدد: 1045، 13/9/2014، ص8.
14. العمري، مأمون: العلاقات الروسية - التركية تقارب مصالح وتحالف قوي"، صحيفة الأنباط، الأردن، العدد: 4230، 4/3/2017، ص5.

15. القيلوبي، رامي: "النزيف المالي يعيد روسيا إلى أكبر أزمة اقتصادية"، جريدة العربي الجديد، لندن، العدد 503، 17 يناير 2016، ص10.
16. القيلوبي، رامي: "انقلاب اغسطس 1991.... مقدمة لانتهاج الاتحاد السوفياتي الجديد"، جريدة العربي الجديد، لندن، العدد 719، 20/8/2016، ص6.
17. كوش، عمر: "هل انتهى حلم تركيا الأوروبي"، العربي الجديد، لندن، العدد: 826، 2016/12/5، ص20.
18. منصور، د. زياد: إيران وروسيا... توجس من التاريخ وشراكة مصالح أكثر من خيار استراتيجي"، جريدة الجمهورية، بيروت، العدد: 860، 6 ايار 2014، ص16.
19. ميزان القوى العسكرية بين روسيا وتركيا، جريدة الأنباء، الكويت، العدد: 14289، 2015/11/27، ص26.
20. نور الدين، محمد: "تركيا مجدداً في دائرة الخطر الروسي"، جريدة الحياة، بيروت، العدد 11299، 1994/12/21، ص5.

### ث. الأطروحات والرسائل:

1. بو زيدي، عبد الرزاق، التنافس الأمريكي الروسي في منطقة الشرق الأوسط (دراسة حالة الأزمة السورية 2010-2014)، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر-بسكرة، تونس، 2015 .
2. بو عمامة، زهير: سياسة إدارة الرئيس بيل كلينتون في إعادة بناء نظام الأمن في أوروبا ما بعد الحرب الباردة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008.
3. دردير، منى محمد: "السياسة الخارجية الروسية تجاه إيران خلال الفترة (2000-2011)، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، 2013.
4. العمري، منصور: "الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة من (1121-1220هـ/1709-1805م)"، دراسة تحليلية نقدية، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية، الرياض، 2010.

5. عوض، نرمن عزت: "الاستمرار والتغيير فى السياسة الخارجية الروسية تجاه دول اسيا الوسطى والقوقاز (1991:2010)", رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، العلوم السياسية، القاهرة، 2013.

6. محمد، احمد سالم: " السياسة الروسية والامريكية تجاه الازمة السورية واثرها على النظام الدولى والامن الاقليمى"، أطروحة دكتوراه، (جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2016).

### ج. تقارير.

1. الحاج، سعيد: " اتجاهات السياسة الخارجية التركية بعد انقلاب 15 تموز"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 31/8/2016.

2. الحاج، سعيد: " ناغورنو كاراباخ: ساحة صراع جديدة بين روسيا وتركيا"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2/5/2016.

3. حلوم، منذر بدر: تقرير بعنوان " أرض بلا شعب... روسيا وسياسة دعم النمو السكاني"، صحيفة العربي الجديد، لندن، 13 سبتمبر 2014.

4. الرنتيسي، محمود سمير: "العلاقات التركية-الروسية: مستقبل التعاون الاقتصادي و الخلاف السياسي" مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 11 ديسمبر 2014.

### ج. المراجع الإلكترونية.

1. "الاتحاد السوفياتي من الهيمنة الى الافول"، موسوعة الجزيرة، الدوحة، 20/10/2016، <http://www.Aljazeera.net/encyclopedia/countries> (تاريخ الاطلاع على الدراسة: 2017/3/16)

2. "الأزمة التركية الروسية الديناميات والمسارات، محطات رئيسة فى العلاقات الروسية - العثمانية والعلاقات الروسية التركية"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2015. <http://studies.aljazeera.net> (تاريخ الدخول: 2017/3/9).

3. أزمة مالية بانتظار روسيا إذا هبط النفط الى 30 دولار للبرميل"، العربية نت، لندن، 7  
<https://www.alarabiya.net/ar/aswaq/economy/2015/12/07>، 2015/12/  
[/أزمة-مالية-بانتظار-روسيا-إذا-هبط-النفط-إلى-30-دولاراً.html](http://www.alarabiya.net/ar/aswaq/economy/2015/12/07)، (تاريخ  
الدخول: 26/3/2017).
4. أشتيوة، بثينة: "7 ملفات تضع العلاقات الروسية التركية على المحك"، ساسة  
بوست، 28/11/2015، [https://www.sasapost.com/tension-between-](https://www.sasapost.com/tension-between-russia-and-turkey-files/)  
[russia-and-turkey-files/](https://www.sasapost.com/tension-between-russia-and-turkey-files/) (تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 19/3/2017).
5. الاقتصاد التركي خلال عقد العدالة والتنمية"، رؤية تركية، إسطنبول، 2014  
<http://rouyaturkiyyah.com>/الاقتصاد-التركي-خلال-عقد-العدالة-والت/ (تاريخ  
الاطلاع على المقال 28/6/2017).
6. الأناضول: المقاولات التركية تشكل 35% من إجمالي سوق المقاولات بالعالم، تركيا بوست،  
2017/2/15 <https://www.turkey-post.net/p-188435> (تاريخ الاطلاع على  
المقال 30/3/2017).
7. باطرفي، د. خالد محمد: "مكاسب التقارب الروسي-التركي"، جريدة الخليج العربي  
الإلكترونية، الإمارات، بحث مأخوذ من موقع الجريدة الإلكتروني:  
<http://www.alkhaleejlarabi.com/print/1186>، (تاريخ الدخول: 10/8/2016).
8. البيلي، أحمد: إنجازات حضارية للعثمانيين، Syria-news، دمشق، 7/10/2007،  
[http://syria-news.com/readnews.php?sy\\_seq=63199](http://syria-news.com/readnews.php?sy_seq=63199) (تاريخ الاطلاع على  
المقال: 16/3/2017).
9. بدران، وليد: "كيف سقط الاتحاد السوفياتي"، هافينغتون بوست عربي،  
بريطانيا، 9/2/2017، <http://www.huffpostarabi.com>، (تاريخ الاطلاع على  
مقال: 17/3/2017).
10. بلومبيرغ: أمريكا وروسيا يتعاونان في سوريا ضد تركيا"، ترك برس الالكترونية،  
إسطنبول، 2017/3/11، مقال نشر على موقع الصحيفة الالكترونية:  
<http://www.turkpress.co/node/31894>، (تاريخ الدخول: 15/5/2017).

11. تركيا وروسيا علاقات وثيقة تتخللها أزمات، وكالة الأناضول، موقع الجزيرة، <http://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2016/12/6/تركيا-وروسيا-علاقات-وثيقة-تتخللها-أزمات-عابرة> ( تاريخ الاطلاع على المقال 201/2/12).
12. تشيجوف يوضح كيف أخطأ الاتحاد الأوروبي في التعامل مع روسيا، موقع العهد الاخباري، 2018/1/22، <https://alahednews.com.lb/fastnews/442481> (تاريخ الاطلاع على المقال 2018/3/6).
13. توقيع مشروع خط أنابيب السيل التركي لنقل الغاز الطبيعي"، رئاسة الجمهورية التركية، أنقرة، 2016/10/10، <https://www.tccb.gov.tr> ( تاريخ الاطلاع على المقال: 2017/4/17).
14. جوكدار، آشور: موسكو: اتفاقيات هامة ستوقع في القمة التركية الروسية، وكالة الأناضول، 2017/3/10، [#768009](https://aa.com.tr/ar/دولي/نوفاك-اتفاقيات-هامة-ستوقع-في-القمة-التركية-الروسية/768009) (تاريخ الدخول: 2018/3/12).
15. جول، محمد زاهد: مستقبل الصناعات التركية الروسية المشتركة، الخليج انلاين، 2017/6/12، <http://alkhaleejonline.net/articles/1497253657358649500/مستقبل-الصناعات-العسكرية-التركية-الروسية-المشتركة/>، (تاريخ الإطلاع على المقال: 2018/2/22).
16. حطيني، محمد: "في اسباب التقارب التركي الروسي"، الوطن الفلسطينية، فلسطين، 2016/9/7، <http://www.watan.ps/ar/?Action=Details&ID=122397> (تاريخ الاطلاع على المقال: 2017/4/24).
17. خضير، محمد ياس: "التدخل العسكري الروسي في سوريا وأفاقه المستقبلية"، مركز المستقبل للدراسات الإستراتيجية، 2015/9/21، مقال نشر على الرابط الإلكتروني التالي: <http://mcsr.net/news79> (تاريخ الدخول للاطلاع على المقال: 12/3/2017).
18. خنفر، وضاح: "الأزمة التركية الروسية بين مرارات التاريخ وضرورات الجغرافيا"، هافينغتون بوست عربي، بريطانيا، 3/12/2015،

[http://www.huffpostarabi.com/wadahkhanfar/-](http://www.huffpostarabi.com/wadahkhanfar/)

[2827\\_b\\_8706176.html](http://www.huffpostarabi.com/wadahkhanfar/2827_b_8706176.html) ( تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 17/3/2017).

19. دلي، خورشيد: "الورقة الكردية في الصراع الروسي-التركي"، الجزيرة نت، الدوحة، 3/12/2015، <http://www.aljazeera.net> (تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 14/5/2017).

20. دياب، أحمد: أبعاد الصراع التركي - الروسي وتداعياته: مجلة السياسة الدولية، 2016، ص:1، نشر المقال على موقع مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية: <http://rawabetcenter.com/archives/18561> (تاريخ الاطلاع على المقال: 2017/3/24).

21. سلام، مروة: عدد السياح الروس الوافدين الى تركيا قد يبلغ 5 ملايين في 2017، REUTER، 2017/2/23،

<https://ara.reuters.com/article/businessNews/idARAKBN1620SO>

(تاريخ الاطلاع على المقال: 2017/3/30).

22. سوخوف، ماكسيم: "ما مدى اكتمال التطبيع بين روسيا وتركيا؟"، AL-MONITOR، 13/3/2017، <http://www.al-monitor.com.rocess-erdogan-putin-> (تاريخ للإطلاع على المقال: 17/4/2017).

23. "سوريا وتركيا...نزاعات التاريخ المستمرة"، معهد ليفانت للدراسات، كندا، 2015، <http://levantri.com> (تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 2017/3/19).

24. السيد، علاء الدين: "هل يشبه التدخل الروسي في سوريا حرب السوفييت في أفغانستان؟" 19 أكتوبر 2015، صحيفة ساسة بوسـت الإلكترونية،

( تاريخ <https://www.sasapost.com/soviet-invasion-afghanistan/> ) الدخول للإطلاع على المقال: 2017/3/9).

25. شادي، هاني: "روسيا والربيع العربي: مصالح ومخاوف"، بوابة الثانوية العامة، مصر، 2012/5/16،

(تاريخ <http://www.thanwya.com/vb/showthread.php?p=4496661> ) الدخول للإطلاع على المقال: 3/12/2017).

26. شوشة، وليد: " أمريكا وانقلاب تركيا الفاشل"، نون بوست، 21/7/2016، <http://www.noonpost.org/content/12946>، (تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 2017/4/17).
27. الشيمي، أحمد حسين: "عرض كتاب مترجم العلاقات التركية - الأمريكية نحو شراكة جديدة"، إسلام أون لاين، 15/2/2015، <https://islamonline.net/10935>، (تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 2017/3/21).
28. الصيفي، صلاح: "بترول بحر قزوين وصراع القوى الكبرى"، الإسلام اليوم، برلين، 2007/6/5، <http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-58>، [9444.htm](http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-58)، (تاريخ الدخول: 17/3/2017).
29. العاني، مظفر مؤيد: " تركيا وروسيا..توتر سياسي وتآلف اقتصادي"، تركيا بوست، اسطنبول، 25 /5/2015، <http://www.turkey-post.net/p-100924>، (تاريخ الدخول: 2017/3/26).
30. العصفوري، شريف: "ديناميكا العلاقات التركية الروسية"، موقع الطريق، 2/1/2017، <http://www.el-tareeq.net>، (تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 3/30/2017).
31. "العلاقات الاقتصادية بين روسيا وتركيا"، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، 2015، <http://www.bayancenter.org/2015/11/961>، (تاريخ للإطلاع على المقال: 30/3/2017).
32. العلاقات التركية الأوكرانية..تناغم سياسي واقتصادي في مواجهة التغول الروسي"، ديلي صباح، إسطنبول، 2016/3/9، مأخوذ من الموقع الإلكتروني: <http://www.dailysabah.com/arabic/turkey/2016/03/09/turkish-ukrainian-relations>، (تاريخ الإطلاع على المقال: 2017/5/4).
33. غايرلي، فريد: قفزة في التبادل التجاري بين روسيا وألمانيا، 2017/5/2، RT Arabic، <https://arabic.rt.com/business/876453> -قفزة-التبادل-التجاري-روسيا-ألمانيا/، ( تاريخ الإطلاع على المقال: 2017/6/28).



34. فريدمان، جورج: "استراتيجية تركيا"، نيسان 2012، ترجمة: السوريون الأحرار، السوريون الأحرار، حلب، مايو 2012، <https://freesyriantranslators.net> (تاريخ الاطلاع على المقال 10/3/2017).
35. فيسنا، روسكايا: "في مجال الأسلحة: ماذا يمكن أن تقدم كل من تركيا وروسيا لبعضهما البعض؟"، نون بوسنت، 2017/5/12، <http://www.noonpost.org/content/17952> ( تاريخ الإطلاع على المقال: 2017/9/14).
36. فيله، ديتشه: "روسيا والاتحاد الأوروبي . مصالح استراتيجية وعلاقة صعبة"، dw، ألمانيا، 2007/5/15، <http://p.dw.com/p/AYkl>، (تاريخ الإطلاع على المقال: 2017/5/23).
37. قاسم، عبد الستار: روسيا وتركيا.. أربعة أسباب رئيسية لطفي صفحة الخلافات، الجزيرة، الدوحة، 2016/8/11، مأخوذ من موقع الجزيرة، <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2016/8/11> -روسيا- وتتركيا-أربعة-أسباب-رئيسية-لطي-صفحة-الخلافات (تاريخ الاطلاع على المقال 2018/5/13).
38. قلالة، نور الدين: "روسيا وتركيا: زواج كاثوليكي"، إسلام أون لاين، الدوحة، 2016/5/9، <https://islamonline.net/18229>، (تاريخ الدخول للاطلاع على المقال 2017/3/9).
39. كيريسنتشي، كمال: "خيارات تركيا الاستراتيجية بين الشرق والغرب"، ترجمة الخليج الجديد، الخليج الجديد، 2014/12/22، <http://thenewkhalij.news/node/7311> (تاريخ الدخول: 2017/4/1).
40. "ما أبرز مجالات التعاون بين روسيا وتركيا؟"، RT العربية، 2016/6/30، <https://arabic.rt.com/news/830160> -روسيا-تركيا-تطبيع-العلاقات-أبرز-المجالات (تاريخ الاطلاع على المقال 2017/3/30).

41. مانكوف، جيفري: "رجب طيب أردوغان وفلاديمير بوتين في مؤتمر صحفي في اسطنبول"، صحيفة نون بوسـت الإلكترونية، 28/2016، <http://www.noonpost.org> (تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 16/3/2017).
42. مجدي، سمير: "القرم والطاقة" .. محددات العلاقات التركية الأوكرانية"، دوت مصر، القاهرة، 9/3/2017، <http://www.dotmsr.com/details/233201> (تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 2017/4/8).
43. المصري، أحمد: "الصناعات العسكرية التركية.. مراكز القوة، تركيا بوسـت، إسطنبول، 10/12/2015، <http://www.turkey-post.net/p-95472/>، (تاريخ الاطلاع على المقال: 2017/3/20).
44. المنعم، خالد عبد: "أردوغان بين تجميد عضوية الاتحاد الأوروبي والعلاقة مع موسكو"، موقع البديل، القاهرة، 23/11/2016، <https://elbadil.com/2016/11/أردوغان-بين-تجميد-عضوية-الاتحاد-الأور> (تاريخ الدخول 17/4/2017).
45. ميير، هنري وأونوانت: "الروسي الذي وصل بين بوتين وإردوغان وترامب"، ترجمه: عرب 48، موقع صحيفة عرب 48، فلسطين، 8/2/2017، <https://www.arab48.com>، (تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 2017/9/19).
46. "النظام السياسي في تركيا (نظام الحكم - المؤسسات)"، مركز سورية للبحوث والدراسات، دمشق 2014، <http://www.umayya.org/?s=النظام+السياسي+في+تركيا> (تاريخ الدخول للإطلاع على المقال: 2017/3/3).
47. النظام السياسي في روسيا، وزارة التعليم والبحث العلمي لروسيا الاتحادية، <http://ar.russia.edu.ru/>، (تاريخ الاطلاع على المقال 2017/3/18).

## 2. باللغة الأجنبية:

أ. الكتب:

1. Dacey, Julien Barnes & Daniel Levy: "**The Regional struggle for Syria**", **European Council on Foreign Relation**, London, July 2013.
2. Fleet, Kate: **The Cambridge History of TURKEY**, Vol 1: Byzantium to Turkey 1071–1453, Cambridge University Press, 2009.
3. Friedman, George: " **The Next 100 Years: A Forecast for the 21st Century**", Doubleday, United States (January27, 2009).
4. Karpat–Kemal H: **The Ottoman State and its Place in the World History**, E.J.Brill, Leiden, 1974.
5. Kiniklioglu, Suat:"**Turkey and Russia: Partnership by Exclusion**", Turkish Policy Quarterly: vol.8, no2, Ankara, June 2006.
6. Kissinger, Henry A: **Domestic Politics and Foreign Policy**, in: **James N. Roseau**, International Politics and Foreign Polic, The Free Press, New York, 1969.
7. Larrabee, F.Stephen: **Troubled Partnership: US Turkish Relations in an Era of Global Geopolitical Change**, (United States: RAND Corporation, 2010).
8. Lo, Bobo: "**Russian Foreign Policy in the Post–Soviet Era: Reality, Illusion and Mythmaking** ", (New York: Palgrave Macmillan UK, 2002).
9. Mirzoyan, Alla: "**Armenia, the Regional Powers, and the West**", Between History and Geopolitics, 2010.
10. Nation, R.Craig: "**war in The Balkan's 1991–2002**", Strategic Studies Institute, Washington, August 2003.
11. Oliker Olga and David A Shlapak: **U.S. Interests in Central Asia: Policy Priorities and Military Roles**, RAND Corporation, 2005.

12. Rabasa. Angel, F. Stephen Larrabee: **the Rise of Political Islam in Turkey**, RAND Corporation, California, 2008.
13. Spector. Ivar: **The Soviet Union and the Muslim world, 1917–1958**, University of Washington Press; First Edition, 1959.
14. Uslu, Nasuh: **the Turkish–U.S. Relationships between 1947 and 2003: The History of a Distinctive Alliance**, (Nova Science Publishers, Inc. New York, 2003).

ب. الأبحاث والدراسات.

1. Abazi, Enika: "Kosovo Conflict and the Post–Cold War Order: Russia and Turkey Policies", **Turkish Review of Balkan Studies**, Istanbul 2016. (Accessed: 19/9/2017).
2. Aktürk, Şener: "Russian–Turkish Relations in the 21st Century, 2000–2012", **center, Turkish Studies**, Istanbul, January 2013. (Accessed: 21/5/2017).
3. Cavanaugh, Carey: "Renewed Conflict on Nagorno–Karabakh", **Center for Preventive Action**, February 2017. (Accessed: 20/9/2017).
4. Gezen, Metin: "Russia's Move to Bance, turkey's energy transit role", **tarkish weekly**, 2007. (Accessed: 21/9/2017).
5. Gumpel, Werner: Economic and political Development in the Central Asian Turkish Publics, "**Eurasian Studies**, Summer 2, 1994. (Accessed: 3/5/2017).
6. Kozhanov, Nikolay: "Russia's Relations with Iran" **The Washington Institute for Near East Policy**, June 2012. (Accessed: 23/7/2017).

7. O'Neil, Patrick H: The Deep State: An Emerging Concept in Comparative Politics, University of Puget Sound, **United States**, August 2013. (Accessed: 23 /5/2017).
8. Russian gas to Turkey via West Line falls by 40 percent, **Anadolu Agency**, ISTANBUL, 20.11.2014, (accessed: 24/12/2017).
9. Yesilada,Birol:"EU–Turkey Relations in the 21st Century", **Routledge**, London, 2013. (accessed: 4/6/2017)

#### ت. الصحف والجرائد.

1. Küçük, Mustafa: "*Rusya oyunu doğru oynamadı*", **hurriyet Daily News**, Ankara, 22/11/2014.

#### ث. قاموس.

1. Saunders, Robert A, Vlad Struko: "**Historical dictionary of the Russian Federation**", Scarecrow Press, 2010.
2. Yeşiltaş–Murat, Ali Balcı: "**A Dictionary of Turkish Foreign Policy in the AK Party Era A Conceptual Map**", Republic of Turkey Ministry of Foreign Affairs Center for Strategic Research (SAM), Ankara, 2013.

# الملاحق

## ملحق رقم 1

خريطة توضح الحدود الجغرافية لروسيا. (250)



المصدر: موقع مرسل الإلكتروني - خريطة روسيا

<sup>250</sup> الخريطة مأخوذة من موقع المرسل الإلكتروني: <https://www.almsal.com/post/382105>

## ملحق رقم 2

خريطة توضح الحدود الجغرافية لتركيا وممراتها المائية. (251)



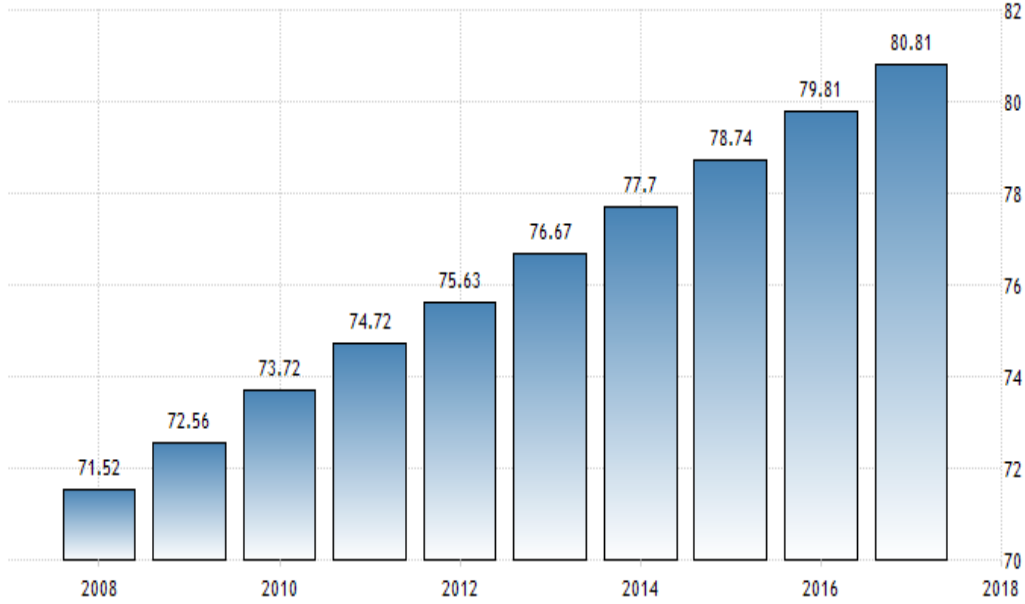
المصدر: موقع مرسل الإلكتروني - خريطة تركيا

251 الخريطة مأخوذة من موقع ويكيبيديا الإلكتروني: [https://ar.wikipedia.org/wiki/جغرافيا\\_تركيا](https://ar.wikipedia.org/wiki/جغرافيا_تركيا)



### ملحق رقم 3

رسم بياني يظهر معدلات النمو السكاني في تركيا ما بين عامي 2008 - 2016.<sup>(252)</sup>



المصدر: موقع tradingeconomics الإلكتروني

<sup>252</sup> الرسم البياني مأخوذ من الموقع الإلكتروني: <http://cdn.tradingeconomics.com/charts/turkey>

[population.png?s=tur+sp.pop.totl&v=201702141703t&lang=all](http://cdn.tradingeconomics.com/charts/turkey/population.png?s=tur+sp.pop.totl&v=201702141703t&lang=all)

## ملحق رقم 4

رسم بياني يظهر معدلات النمو السكاني في روسيا ما بين عامي 2005 - 2016. (253)

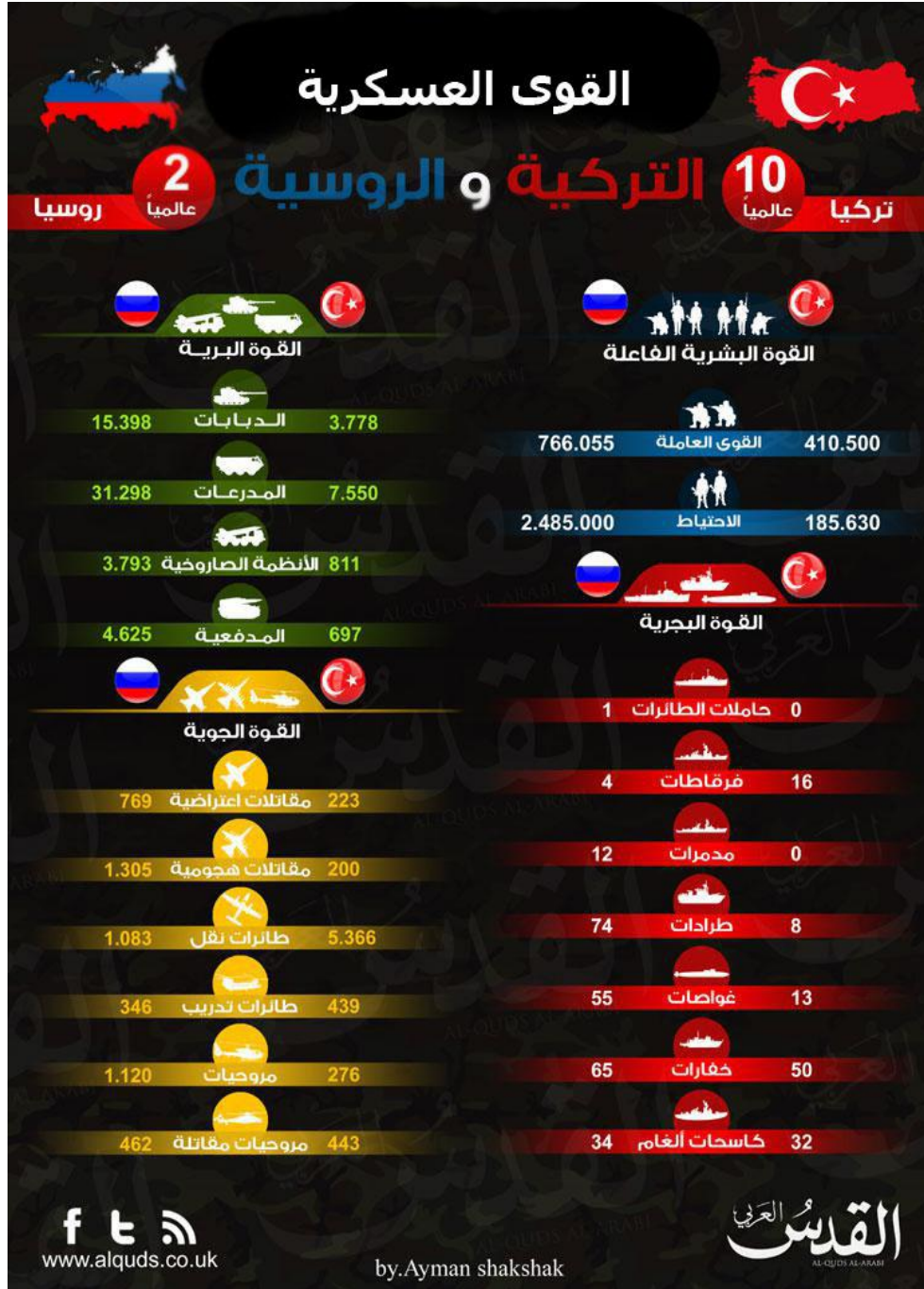


المصدر: موقع tradingeconomics الإلكتروني

<sup>253</sup> الرسم مأخوذ من الموقع الإلكتروني: <https://ar.tradingeconomics.com/russia/population>

## ملحق رقم 5

الرسم البياني التالي<sup>(254)</sup> يوضح ميزان القوى العسكرية كل من روسيا وتركيا.

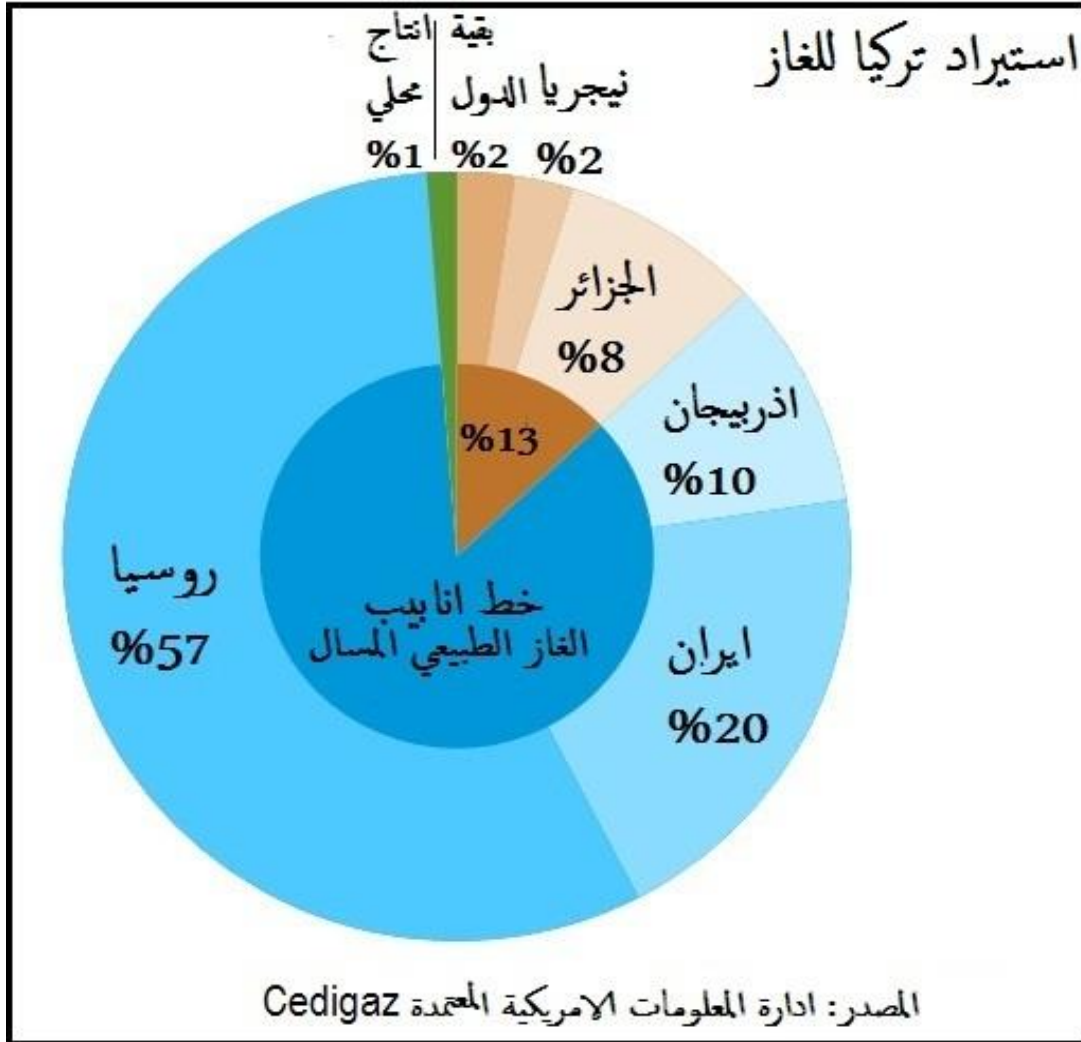


<sup>254</sup> الرسم البياني مأخوذ من موقع صحيفة القدس العربي: [http://www.alquds.co.uk/wp-](http://www.alquds.co.uk/wp-content/uploads/2015/11/268.jpg)

[content/uploads/2015/11/268.jpg](http://www.alquds.co.uk/wp-content/uploads/2015/11/268.jpg)

## ملحق رقم 6

رسم بياني يظهر حركة ومصدر إستيراد تركيا للغاز. (255)



<sup>255</sup> مركز البيان للدراسات والتخطيط، "العلاقات الاقتصادية بين روسيا وتركيا"، بغداد، 26/11/2015، البحث نشر على الرابط الالكتروني التالي: <http://www.bayancenter.org/2015/11/961>، (تاريخ الدخول: 30/3/2017).

## ملحق رقم 7

أنابيب النفط والغاز المارة عبر تركيا. (256)

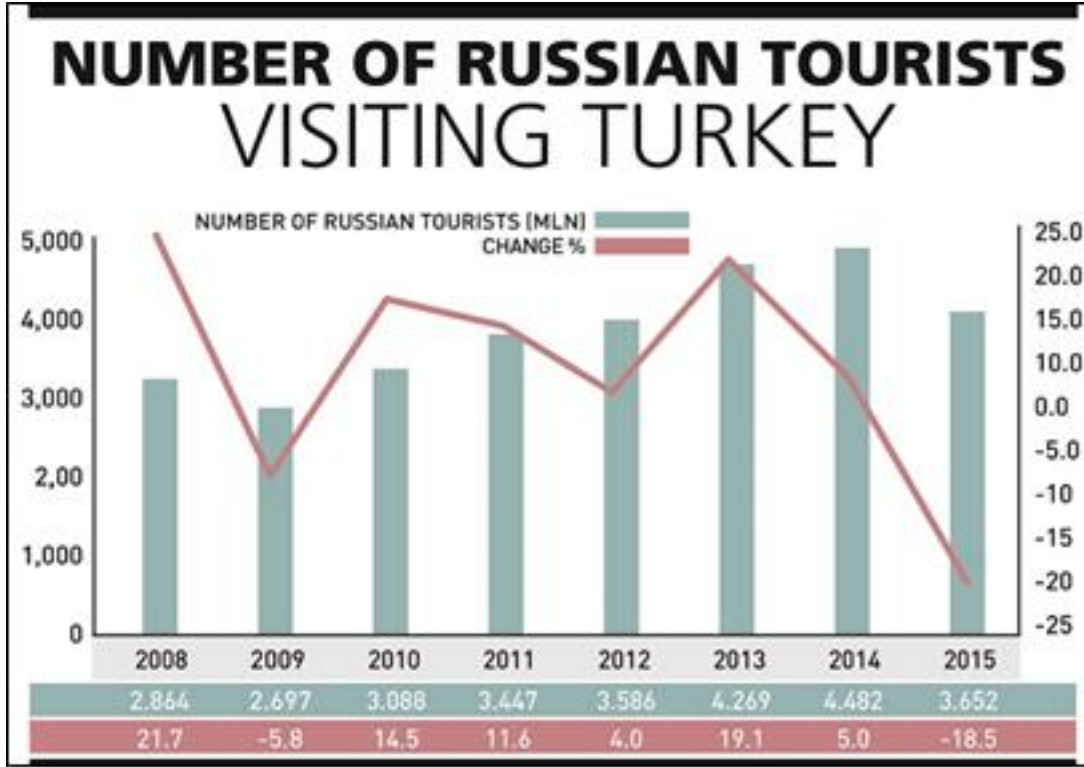


المصدر: إدارة المعلومات الأمريكية للطاقة.

<sup>256</sup> مركز البيان للدراسات والتخطيط، المرجع نفسه.

## ملحق رقم 8

عدد السُّيَّاح الروس الوافدين إلى تركيا. (257)

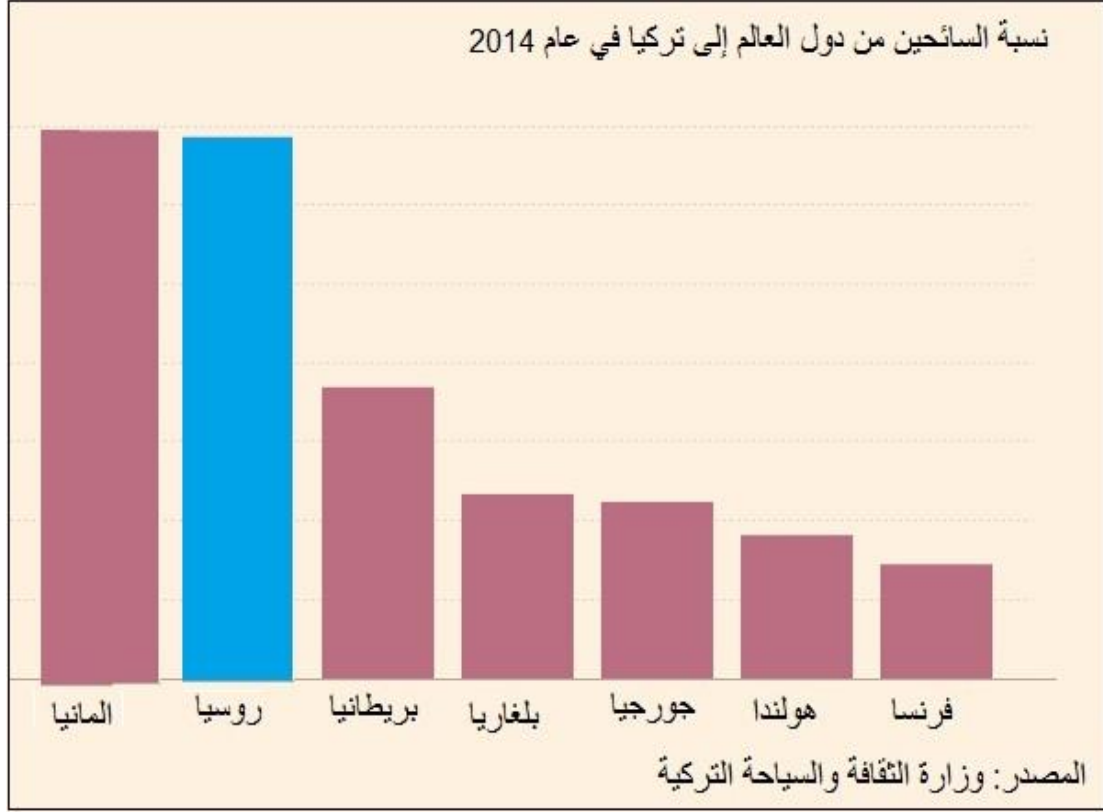


المصدر: موقع الطريق الإلكتروني.

<sup>257</sup> الرسم البياني مأخوذ من موقع الطريق الإلكتروني : [http://www.el-tareeq.net/Article.aspx?Article\\_ID=9892&art](http://www.el-tareeq.net/Article.aspx?Article_ID=9892&art)، (تاريخ الدخول: 3/30/2017).

## ملحق رقم 9

يظهر نسبة عدد السائحين الروس المتقاربة مع عدد السائحين الألمان. (258)

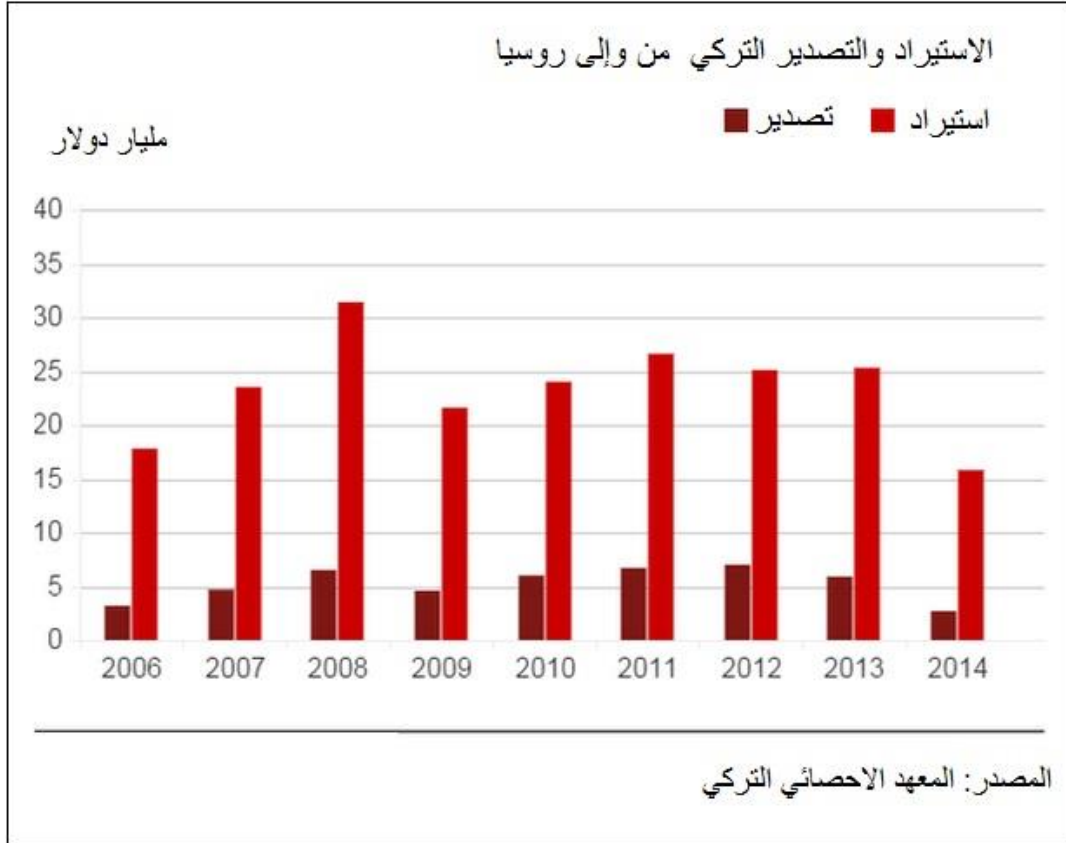


<sup>258</sup> الرسم البياني مأخوذ من موقع الطريق الإلكتروني، المرجع نفسه.



## ملحق رقم 10

يظهر الرسم حجم التبادل التجاري بين تركيا وروسيا ما بين عامي 2006-2014. (259)



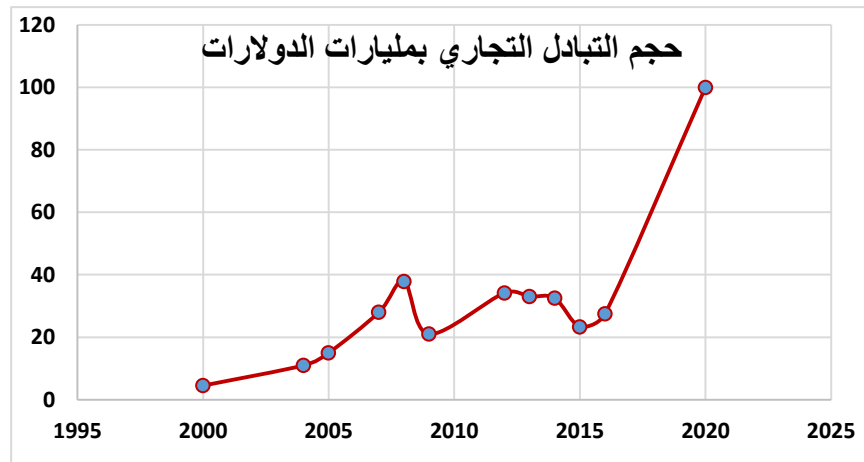
<sup>259</sup> مركز البيان للدراسات والتخطيط، المرجع نفسه.



## ملحق رقم 11

حجم التبادل التجاري بين تركيا وروسيا ما بين عامي 2000-2016.

السنة	حجم التبادل التجاري
2000	4.5 مليار دولار
2004	11 مليار دولار
2005	15 مليار دولار
2007	28 مليار دولار
2008	37.8 مليار دولار
2009	21 مليار دولار
2012	34.2 مليار دولار
2013	33 مليار دولار
2014	32.5 مليار دولار
2015	23.3 مليار دولار
2016	27.5 مليار دولار
2020	الهدف 100 مليار دولار



المصدر: موقع الجزيرة للدراسات

## الفهرس

1	المقدّمة.....
7	القسم الأوّل: إطار العلاقات التركيّة - الروسيّة.....
8	الفصل الأوّل: مراحل ومتغيّرات العلاقات التركيّة - الروسيّة.....
9	المبحث الأوّل: تطور العلاقات التركيّة - الروسيّة منذ عهد السلطنة العثمانية ولغاية العام 2016م.....
9	أولاً: مرحلة الأحداث والصراعات (1298م - 1917م).....
17	ثالثاً: مرحلة التوتر وعدم الاستقرار (1991 - 2000) م.....
20	رابعاً: مرحلة التعاون والتنسيق (2000-2016) م.....
24	المبحث الثاني: متغيّرات العلاقات التركيّة - الروسيّة.....
25	أولاً: المتغيّرات في العلاقات التركيّة-الروسيّة (1298-1917)م.....
28	ثانياً: المتغيّرات في العلاقات التركيّة-الروسيّة (1917-1991)م.....
31	ثالثاً: المتغيّرات في العلاقات التركيّة-الروسيّة (1991 - 2000) م.....
33	رابعاً: المتغيّرات في العلاقات التركيّة-الروسيّة (2000-2016) م.....
36	الفصل الثاني: محدّدات العلاقات التركيّة-الروسيّة.....
37	المبحث الأوّل: المحدّدات الداخليّة للعلاقات التركيّة - الروسيّة.....
37	أولاً: المحدّد الجغرافي.....
39	ثانياً: الموارد الطبيعيّة.....
40	ثالثاً: المحدّد البشري.....
42	رابعاً: محدّد الشخصية.....
43	خامساً: المحدّد السياسي.....
46	سادساً: المحدّد العسكري.....
49	المبحث الثاني: المحدّدات الخارجيّة للعلاقات التركيّة - الروسيّة.....

50.....	أولاً: المحدّات الإقليمية في العلاقات التركيّة - الروسيّة.
56.....	ثانياً: المحدّات الدوليّة في العلاقات التركية-الروسية.
57.....	1.العلاقات الروسيّة - الإيرانيّة.
59.....	2.العلاقات التركيّة-الأمريكيّة.
61.....	3. موقف روسيا وتركيا من الإتحاد الأوروبي.
64 .....	القسم الثاني: مستقبل العلاقات التركيّة-الروسية بين التعاون الاقتصادي والخلاف السياسي.
65 .....	الفصل الأول: مجالات التقارب بين تركيا وروسيا وقضايا الخلاف.
66.....	المبحث الأول: دوافع التقارب التركي - الروسي.
66.....	أولاً: دوافع التقارب التركي - الروسي.
66.....	1.الدافع الاقتصادي.
69.....	2.الدافع الإستراتيجي.
72.....	ثانياً: مجالات التقارب التركي-الروسي.
73.....	1. مجال الطاقة.
73.....	أ.مشروع "السيّل التركي".
74.....	ب.الطاقة الكهربائيّة.
74.....	ت.الطاقة النوويّة.
75.....	ث.مجال السّيّاحة.
76.....	ج.مجال البناء.
77.....	ح.التبادل التجاري.
78.....	خ.التعاون العسكري.
80.....	المبحث الثاني: قضايا الخلاف التركي-الروسي.
80.....	أولاً: الصراع في سوريا.
83.....	ثانياً: الأزمة الأوكرانيّة.
85.....	ثالثاً: الأزمة القبرصيّة.

88.....	رابعاً: أزمة البلقان.....
91.....	خامساً: الأزمة الأرمنية - الأذربية.....
95 .....	الفصل الثاني: مستقبل العلاقات التركية - الروسية.....
97.....	المبحث الأول: آفاق التعاون المتبادل بين روسيا وتركيا.....
98.....	أولاً: إطفاء الأزمات بين البلدين.....
102 .....	ثانياً: علاقة تركيا بالغرب.....
106 .....	ثالثاً: الإتفاقيات الاقتصادية.....
110 .....	المبحث الثاني: العلاقات التركية - الروسية... نظرة مستقبلية.....
110 .....	أولاً: العلاقات الروسية - التركية من الخصومة إلى التعاون.....
125.....	الخاتمة.....
129 .....	لائحة المراجع.....
145.....	الملاحق.....
157.....	الفهرس.....